محورية حديث الثقلين

في العقيدة والأحكام

د. صلاح الدين الحسيني

مقدمة

((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين، وعلى صحبه المنتجبين.

وبعد:

فإن حديث الثقلين من الأحاديث التي يجهلها أغلب المسلمين، والتي غابت أو غيبت عنهم، بفعل سياسات التجهيل، التي قام ويقوم بها أعداء أهل البيت عليهم السلام، وبسبب المحاولات الدؤوبة والمستمرة لطمس وتغييب حقيقة أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم، امتدادا لما أسس له الأوائل من حقد وبغض وضغائن ضد أمير المؤمنين عليه السلام وضد أهل بيته والأئمة من ولده عليهم السلام. وبالرغم من تواتر الحديث عند كل طوائف المسلمين، وكثرة رواته من الصحابة والتابعين، واشتهاره في أغلب صحاح ومسانيد المسلمين وكتبهم الحديثية، إلا أن أغلب علماء أهل السنة والجماعة لايعرفونه بل ويجهلونه، وحتى لو عرفوه فإنهم يحاولون التقليل من شأنه ولا يطيقون سماعه، أو يؤولونه بتأويلات لا تمت بصلة إلى المعاني والمضامين التي يؤكد الحديث عليها في موضوعه ومضمونه.

ولقد بحث العديد من علمائنا الأجلاء هذا الحديث، ولكن التركيز كان أكثر ما يكون على سنده ورواته، ولم يكن هناك تركيز على الحديث من حيث المتن، إلا من قلة قليلة من الباحثين. مع أن الحديث يعتبر محورا أساسيا ومركزيا من محاور الدين الإسلامي، والذي تدور حوله بل وترتبط به عشرات الأحكام العقائدية والشرعية.

ولأجل استنفار العقول نحو محورية الحديث، آليت على نفسي الخوض في مضمار متن الحديث، لعلي أضع خطوطا عريضة أقدمها بين يدي القارئ العزيز، لنصل معا إلى حقيقة واحدة، وهي أن دين الله تعالى المأخوذ من الكتاب والعترة الطاهرة، مترابط مع بعضه، ومنسجم في عقائده وأحكامه مع ضرورات الحياة في كل نواحيها، ولا يتطرق إليه التناقض أو الإختلاف، لأنه من مصدر واحد من الله تعالى الذي خلق هذا الكون فأبدعه.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٨٢ ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾.

فكما لا يدخل الخلل أو التناقض في أنظمة الكون الفسيح، لأنها من بديع صنع الله، وتتجلى فيها قدرة الله تعالى، فكذلك ينطبق الأمر على النظام الديني والمنهجي الإسلامي والإيماني، الذي أنزله الله تعالى إلينا من خلال رسولنا الأكرم وأهل بيته المعصومين.

وهذا قد بينه حديث الثقلين، من خلال متونه المختلفة، وهو ما سنقوم بشرحه في هذ البحث المتواضع، والذي بينت فيه أنه لايوجد على وجه الأرض أحد يطبق مضامين ومواضيع حديث الثقلين، غير الشيعة الإمامية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأما غيرهم فلا وجود لحديث الثقلين عندهم.

سائلا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وعنوان محبة ووفاء وولاء، لرسولنا محمد وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين، وهدية متواضعة منا لأمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم الصلاة السلام، عسانا ننال محبتهم وحبهم، كما ونتضرع إليه تعالى أن يكرمنا بزيارتهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، إنه نعم المولى ونعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور صلاح الدين الحسيني

محورية

حديث الثقلين

في العقيدة والأحكام

روى الترمذي وغيره عن زيد بن أرقم قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حَبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قيل وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الأكبر كتاب الله عز وجل. سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم).

وروى في كنز العمال عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (يا أيها الناس! إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض، حوضي عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه عدد النجوم قدحان من ذهب وفضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.) حديث الثقلين من الأحاديث المجمع على تواتره والمشهور جدا عند كل طوائف المسلمين، وهو متواتر لفظا ومعنى، ويتطابق ويتلازم مع العشرات من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، ويرتبط ارتباطا وثيقا وتلازميا بها من حيث الدلالة ووضوح المعنى.

ولا أريد طرح الحديث في هذا البحث من حيث السند، فلقد استوفى البحثَ في سنده العشرات من علماء المسلمين شيعة وسنة، وألفوا الكتب التي تُظهر بشكل واضح جلي تواتره وإجماع المسلمين على ذلك.

ولكنني سوف أتطرق إلى المتن في هذا البحث من حيث الدلالة والتطبيق، ومن حيث ارتباط الحديث بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، التي تشترك معه في

المعاني من باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، أو من باب تلازمها وتطابقها في المعنى والمضمون.

بعبارة أخرى ربط الحديث بكل ما يتعلق بموضوعه ومضمونه مع القرآن والحديث، وهو الأمر المهم جدا والذي غاب أو غُيِبَ عن كثير من المسلمين بفعل التأويلات الخاطئة، أو من خلال تحويل المعنى إلى مسارات تخالف واقع متن الحديث ودلالاته وتطبيقاته، من أجل إبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام وعن خطهم وهديهم وصراطهم المستقيم.

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبغضون لأهل البيت عليهم السلام، فلقد ظهر الحديث بأجلى صوره في صحاح ومسانيد وسنن المسلمين، وثبت تواتره بشكل قطعي لا يقبل الشك.

ولكن المسلمين غاب أوغُيبَ عنهم أن العمل بالحديث المتواتر واجب، وتطبيقه ضرورة شرعية لابد من العمل بها، وهو كالعمل بالآيات القرآنية القطعية الثبوت القطعية الدلالة، من خالف في تطبيقها فقد ارتكب إثما عظيما، ومن أنكرها فقد خرج عن ملة الإسلام.

وعلى ذلك كان لابد من النظر في متن الحديث نظرا مستنيرا، من أجل الوصول إلى معانيه ومضامينه الحقيقية، وحتى تظهر الحقائق التي غيبها علماء السوء من أجل طمس حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام، مع ضرورة لفت النظر إلى أنني لا أدعي الإحاطة في معاني ومتعلقات الحديث، وإنما هي نظرات من مستبصر في حقيقة أهل البيت وأحقيتهم عليهم السلام.

المتواتر والآحاد:

ومن الغريب والعجيب جدا أن يترك علماء المسلمين النظر في هذا الحديث مع اشتهاره وتواتره، ويستبدلون به رواية مقطوعة السند وهي المجودة في موطأ مالك، ووضعوا في متنها بدل جملة (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وضعوا بدلا منها (كتاب الله وسنتي)، كل ذلك حقدا وبغضا على أهل البيت عليهم السلام.

ومع وضوح وضع رواية كتاب الله وسنتي، إلا أن أغلب علماء المسلمين يعتمدونها في خطبهم ومحاضراتهم، وأذكر مرة أن أحد إخواننا المؤمنين قد بين وضع هذه الرواية لأحد العلماء من خطباء المساجد في بلادنا، وأثبت له أن الواجب هو العمل بالرواية المتواترة، والمفاجأة كانت أن ذلك الخطيب لا يعلم عن حديث الثقلين شيئا، واعترف أنها المرة الأولى التي يسمع عن مثل هذا الحديث، فطلب منه الأخ المؤمن أن يوضح ذلك في خُطَبه فكما يقال إذا عرفت فالزم.

لكن وللأسف لم يستجب ذلك العالم الذي يخطب على منبر رسول الله إلى أمر الله ورسوله، بل استجاب إلى ما فيه تحقيق لرغبات النفس والأهواء، وكانت النتيجة أن قاطع ذلك الخطيب الأخ المؤمن من الزيارة جزاءً له على إظهاره الحقيقة التي فيها رضى الله ورسوله، حيث اعتبرها جريمة نكراء.

وفي مرة سأل أحدهم مفتي المدينة عندنا عن حديث الثقلين، فأجابه بأن هذه الأحاديث أحاديث شيعة، ثم راجعني ذلك السائل فقلت له بل هي أحاديث أهل السنة وموجودة في الصحاح والسنن والمسانيد وبينت له مواقعها، فعاد ليسأل فضيلة المفتي عنها وأنه وجدها في كتب الأحاديث عند أهل السنة، فأجاب المفتي بأنها نعم موجودة ولكننا لا نعمل بها، وهكذا كانت الفتوى من فضيلة المفتي.

وأكثر ما يقال في رواية كتاب الله وسنتي، أنها حديث آحاد هذا إن صحت، وحديث الآحاد لايعارض المتواتر بل ويجب تقديم الحديث المتواتر على حديث الآحاد، لأن الحديث المتواتر مقطوع بصدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من حيث الثبوت مثله مثل القرآن الكريم، وهذا هو الموجود في كتب الأصول.

ثم إننا لو أخذنا تلك الرواية بعين الإعتبار، فإنها أيضا تنطبق على حديث الثقلين، لأن السنة لا بد لها ممن يعيها ويحفظها ويدونها ويبلغها للناس بشكلها وصورتها التي أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله، وبمراجعة مرحلة الصحابة وما بعدها نجد أن أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هم الذين تفردوا بحفظ ورعاية ووعاية وتبليغ

سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، بينما ترك المسلمون سنة رسول الله ومن بينهم عدد كبير من كبار الصحابة بل وإنهم منعوا من تدوينها ونشرها وظل ذلك المنع ساريا إلى أن جاء عصر التدوين عند أهل السنة بعد القرن الثاني للهجرة النبوية.

وأيضا فإن النصوص الشرعية التي وردت عند كل فئات المسلمين وطوائفهم تشير إلى أخذ سنة رسول الله وتعلمها من أهل البيت عليهم السلام، وعليه فإن تلك الرواية إن صحت تشير بشكل واضح إلى أهل البيت عليهم السلام.

وحديث الثقلين ومن خلال تواتره ومتونه المختلفة، يتضمن محطات هامة جدا يجب التوقف عندها، استنبطتُها من المتون المتعددة لحديث الثقلين في صحاح ومسانيد وسنن المسلمين، تلك المحطات الهامة التي تغافل عنها وعن البحث في مضامينها ومواضيعها علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة.

ولأن حديث الثقلين ومن خلال كل عباراته يعتبر من الأحاديث المحورية التي تدور حولها وترتبط بها عشرات الآيات والأحاديث، ويرتبط الحديث أيضا ارتباطا وثيقا بموضوع الإمامة وولاية أهل البيت وكذلك عصمتهم وبضرورة اتباعهم والإقتداء بهديهم وأيضا يرتبط بموقعيتهم عليهم السلام وأهميتهم في تحديد المؤمن والمنافق.

وهناك في حديث الثقلين عشرات القضايا الإسلامية المحورية والمصيرية ترتبط ارتباطا وثيقا بأهل البيت عليهم السلام من ناحية العقائد والأحكام وهو ما سألفت النظر إليه من خلال نظراتنا وشرحنا البسيط لجمل وعبارات الحديث.

فكان لابد من الوقوف على كل تلك المحطات المحورية الهامة بشيء من التفصيل، حتى تتبين أهمية حديث الثقلين في دين الإسلام، وضرورة تطبيقه بتمامه من قبل كل المسلمين، وحتى يُنظر لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله على أنها وحي من الله تعالى يجب أن تحمل على محمل العناية والإهتمام الشديد، لأنه صلى الله عليه وآله لاينطق عن الهوى وأن طاعته هي طاعة الله تعالى ومعصيته هي عين معصية الله تعالى.

قال تعالى في سورة الحشر الآية ٧ ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾.

إهتمام الرسول بتكرار حديث الثقلين:

فمن المحطات الرئيسية في الحديث أن النبي الأكرم قد ذكر الحديث على مرآى ومسمع كل المسلمين في أكثر من مناسبة، مما يدلل على أهميته للمسلمين، فلقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد عودته من الطائف، وفي حجة الوداع على جبل عرفات وفي منى أيضا، وذكره في خطبته الشهيرة المتواترة بعد عودته من حجة الوداع وقبل الوصول إلى المدينة في غدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة، كما ذكره في المدينة المنورة من على منبره الشريف أكثر من مرة، وكذلك قبل وفاته في الحجرة النبوية الشريفة، وكانت الحجرة غاصة بالمسلمين وهو يوم رزية الخميس كما وصفها ابن عباس رضي الله عنه.

وهذا التكرار المستمر من رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصا في الأماكن العامة والمناسبات الكبيرة التي عادة ما يجتمع فيها خلق كثير، كموسم الحج والأعياد وعند العودة من الحج وفي أيام الجمعة، وهو ما كان يفعله رسول الله وفي كل مناسبة دائما يلقي على الناس حديث الثقلين بكل ما يحمله من مضامين، وهذا ينبئ عن أهمية عظيمة، ومحورية أساسية وضرورية للحديث، ولأجل مركزيته في العقائد والأحكام، كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائما وبشكل مستمر يلفت النظر إلى أهمية حديث الثقلين.

ثم إن عدد الرواة للحديث من الصحابة والتابعين يفوق الحصر، مما يدل على أن غالبية المسلمين قد سمعوا الحديث ووعوه، ونقلوه لمن بعدهم، وهذا كان من الأسباب الرئيسية التي جعلت الشيعة الإمامية يلتزمون بمضامين الحديث منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومنا هذا، بينما بقية المسلمين لا يعملون به بل لا يعرفه الكثير من علمائهم، ومنهم من لا تستطيع آذانهم سماعه. ولأجل إقامة الحجة على العباد كان عدد رواة الحديث من الصحابة

وغيرهم كبيرا جدا، حتى تكون الحجة أبلغ وأوضح أمام جميع الناس، فلله الحجة البالغة التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها.

وإليك أخي الكريم عبارات حديث الثقلين عبارة عبارة، أوضحها وأشرحها محاولا ربطها مع النصوص، ومظهرا تلازمها مع العديد من الأحكام والعقائد.

إني فرطكم على الحوض

وردت جملة إني لكم فرط وإني فرطكم على الحوض في العديد من متون حديث الثقلين، ومعناها أن رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول إني متقدمكم وسابقكم على الحوض في القيامة الكبرى، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، أنتظركم هناك أيها المسلمون، حتى أرى ما فعلتم بأمر الله ووصيتي لكم، وسوف تسألون عن ذلك.

حقيقة الحوض:

ما هو الحوض؟. ولماذا اختار الرسول صلى الله عليه وآله السبق والإنتظار على الحوض؟. وما هي أهمية الحوض بالنسبة إلى المسلمين؟.

روى في صحيح مسلم عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي آنفا سورة، فقرأ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وأنحر. إن شانئك هو الأبتر**﴾ .ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟. قلنا الله ورسول أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول إنه من أمتي، فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك.

وأهمية الحوض يوم القيامة كبيرة جدا، فالعطش يومئذ شديد، والناس في كرب عظيم، وشربة ماء في ذلك الموقف غالية الثمن، لا يستحقها أحد إلا ضمن شروط مخصوصة، حددها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل انتقاله إلى الرفيق

الأعلى، وبين لنا صفات من يشرب من الحوض ومن يمنع من الشرب. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، في ذلك الموقف حيث تنجلي الحقيقة وتظهر.

روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد قال، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها: (فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي).

فمن أوفى بتلك الشروط، شرب من الحوض شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ولا يسود وجهه أبدا، وأما من خالف وغير وبدل فإنه يحال بينه وبين الحوض فلا يشرب مع أن عدد الآنية على الحوض عدد نجوم السماء، وهو من حيث السعة فإنه يسع الجميع.

وعليه فإن من لم يحدد له موقعا على الحوض في هذه الدنيا ولا يعمل لذلك، فلن يسعفه الحال في ذلك الموقف العظيم، يوم القيامة يوم العطش الأكبر.

قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٠٦-١٠٧ .﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾.

روى الطبري في جامع البيان قال، حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله :﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ ... الآية، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: "والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولن رب أصحابي أصحابي، فليقالن إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وقوله :﴿**وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله**﴾ هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل :﴿**ففي رحمة الله هم فيها خالدون**﴾.

وعليه فإن هذه المحطة من حديث الثقلين تبين أن هناك الحوض وهو الكوثر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر المسلمين عليه، وأن هناك شروط وعهود ومواثيق، من استوفاها في الدنيا فإنه يكون مع الشاربين في يوم العطش العظيم، وأما من أحدث في دينه ونافق وخالف، فإنه سوف يُذاد عن الحوض كما يُذاد البعير.

وأما شروط الورود على الحوض، فهي موجودة في متن الحديث حيث يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه تارك لنا الكتاب أي القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام من بعده، من اتبعهما فإنه لن يضل أبدا، ومن خالفهما فإنه لا محالة ضال، وسوف يجد من يمنعه من الورود على الحوض يوم الورد المورود.

ولذلك كانت أهم الشروط التي تجيز الورود على الحوض والشرب منه هي التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة معا، والوفاء بالعهد مع أهل البيت عليهم السلام، من خلال موالاتهم ومحبتهم والإقتداء بهديهم، وسوف نفصل في هذا الموضوع أكثر عندما نحتاج إلى التفصيل.

إن الناظر المدقق في متن حديث الثقلين وفي متونه المختلفة أيضا، يجد أن في بدايته إشارة إلى الحوض، ثم يجد موضوع الحوض مكررا مرة أخرى في آخره عبارة (حتى يردا علي الحوض) وهما الكتاب والعترة الطاهرة، فعندما يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله في بداية الحديث أنه سابق ومنتظر على الحوض، فإنه يؤكد على ضرورة الإلتفات إلى ماهية الحوض وأهميته للناس في ذلك الموقف العظيم، فكان لابد من معرفة الحوض ومعانيه وأوصافه وتشويق الناس إلى نعمة الورود عليه، فكان هذا الكم الهائل من الأحاديث التي توضح للناس كل معاني الحوض.

ومن المهم جدا هنا أن أذكر القارئ الكريم، أن جميع علماء المسلمين اتفقوا على أن أحاديث الحوض وأوصافه وشروط الورود عليه متواترة، حتى أن من تشدد منهم في شروط الحديث المتواتر، اعتبر حديث الحوض من الأحاديث

المتواترة، وهذا كما قلت تأكيد واضح على ضرورة أن لا يغيب موضوع الحوض عن أحد من المسلمين.

وقد روى البخاري في صحيحه، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للأنصار (إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض). قال أنس: فلم نصبر.

وروى النسائي وغيره عن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن تسعة، فقال: إنه ستكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض.

لاحظوا كيف جعل رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله الحوض محطة التقاء مركزية في يوم القيامة، وذلك من خلال أحاديثه الشريفة التي ركزت على معنى الحوض وحقيقته، وكل ذلك من أجل أن يركز المسلم وينتبه إلى كيفية الوصول إلى الحوض، وحتى يتجنب كل الموانع ويجتاز كل العوائق التي تحول بينه وبين لقاء رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام على الحوض.

روى الترمذي، والبيهقي عن أنس قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن.

أما لماذا ينتظر رسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض؟ وماذا ينتظر هناك؟ وما هي الأمور التي سوف نسأل عنها حتى يؤذن لنا في الشرب؟ وماهي شروط الورود على الحوض التي يجب أن نحققها في الدنيا؟ ومن سيكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسقي قسما من الناس ويذود قسما آخر؟. فإن جواب كل تلك الأسئلة سوف يأتي في محله. لكنه من المهم أن نعرف أن في الحديث أمر يدل على بداية غاية وهي الحوض، وفي آخره

نهاية غاية وهي عبارة حتى يردا علي الحوض، وما بين البداية والنهاية أمور كثيرة يفصلها حديث الثقلين تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

روى الحاكم في المستدرك وصححه عن مصعب بن عبد الرحمن عن أبيه قال: افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، ثم انصرف إلى الطائف فحاصرهم ثمانية أو سبعة، ثم ارتحل غدوة وروحة، ثم نزل ثم هجر، ثم قال (أيها الناس إني لكم فرط، وإني أوصيكم بعترتي خيرا موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا مني أو كنفسي فليضربن أعناق مقاتلهم وليسبين ذراريهم، فرأى الناس أنه يعني أبا بكر أو عمر، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: هذا).

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله :﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين.

يوشك أن أدعى فأجيب

هذه العبارة من حديث الثقلين، ترتبط أيضا بحديث الولاية، وتتطابق معه حتى في نفس الموضوع والمضمون، حتى أنك تجد أن بعض الروايات تدمج بين حديث الثقلين وحديث الولاية، مما يؤكد وحدة الموضوع والمضمون، والتي تبرز في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام.

فقد روى في مجمع الزوائد عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع نهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهن، فقم ما تحتهن من

الشوك، وعمد إليهن فصلى عندهن، ثم قام فقال: يا أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟. قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً. قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟. قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد. ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه. (يعني علياً عليه السلام) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم قال: يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون على الحوض، حوض أعرض ما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

هذا التطابق والتشابك في الموضوع بين الآيات والأحاديث، أمر يجب الإلتفات إليه دائما، لأن ذلك يبين المحور الأساسي الذي تقوم عليه تلك الآيات والأحاديث التي سوف نعرضها، وكذلك تبين المحور الأساسي الذي يقوم عليه بحثنا هذا، وهو ولاية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وسوف يجد الباحث المنصف من خلال التطابق الذي سأحاول أن أوضحه في كل جمل وعبارات حديث الثقلين مع العديد من الآيات والأحاديث ليجد أن ولاية أهل البيت عليهم السلام هي محور أساسي في جزئيات الإسلام وكلياته، وبشكل واضح ومتلازم يوضح الإرادة الإلهية في أمر الوصاية والولاية لأهل البيت عليهم السلام.

ولنعد إلى جملة (يوشك أن أدعى فأجيب) والتي وردت أيضا بألفاظ مختلفة في متون أخرى، والمهم هو أن نحاول معا أن نستنبط مراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من تلك الجملة.

وصية رسول الله:

إن الرسول محمد صلى الله عليه وآله يخبر المسلمين كافة أن موعد لقائه بربه قد اقترب، (وهذا ظاهر في لفظة يوشك وهي من أفعال المقاربة) وأن الإنتقال إلى الرفيق الأعلى قد آن أوانه، وأن واجب النبوة والرسالة يوجب عليه أن يوصي المسلمين بوصية، فكما علمنا أن نوصي، وأن لا ينام أحدنا إلا ووصيته تحت وسادته، فها هو عليه وآله الصلاة والسلام يوصي كل تلك الحشود من المسلمين وفي أكثر من موقف حتى يعلمهم وصيته، وأنه يريد أن يطبق ما علمهم من أمر الوصية استجابة لأمر الله تعالى.

قال تعالى في سورة البقرة الآية: ١٨٠ ﴿**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين**﴾.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما حق امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده).

ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ليست كأية وصية، بل يجب أن تحمل على محمل الجد، وأن يطبقها المسلمون من بعده، ولكنهم أنكروا أن يكون رسول الله قد أوصى، ويتهمونه بأنه أمر بالوصية ولم يوص.

روى البخاري في الصحيح قال حدثنا طلحة ابن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله.

إن في منطوق ومفهوم حديث الثقلين دلالة واضحة على موضوع الوصية، لا ينكرها إلا الجهلاء أو المنافقين المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، وهذه الوصية قد نادى بها رسول الله منذ بداية دعوته وحتى يوم وفاته، فحديث

الدار كان من الأحاديث التي تحمل معنى الوصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليه السلام.

فقد روى في كنز العمال عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني عبد المطلب! إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت: يا نبي الله! أكون وزيرك عليه؟ فأخذ برقبتي ثم قال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. ورواه الطبري وأحمد وغيرهما كثير.

ولقد كرر رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الوصية طيلة حياته وفي مواقف ومناسبات متعددة، ثم أحب الله تعالى أن يؤكدها على المسلمين كافة، لأن الوصية هنا ليست شأنا شخصيا من رسول الله بل هي أمر وجَعل إلهي، فأراد الله أن يؤكدها بعد عودة رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، فأنزل الله تعالى على رسوله أمرا بإبلاغ الوصية للمسلمين، وأنزل قوله تعالى من سورة المائدة. الآية: ٦٧ ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ إن عليا مولى المؤمنين ﴿**وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾.

وبعد أن بلغ رسول الله المسلمين ما أمره الله تعالى فيما يتعلق بالوصية بالإمامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، نزلت أيضا آية

أخرى، وهي آية إكمال الدين وتمام النعمة، فكان إكمال الدين بالأمر بولاية علي عليه السلام، وتمام النعمة على المسلمين بموالاته وإمامته عليه السلام، ولذلك نستطيع ومن خلال تطابق المعاني أن نطلق على حديث الثقلين حديث كمال الدين وتمام النعمة. وكذلك حديث الولاية (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) نستطيع أيضا أن نطلق عليه حديث إكمال الدين وتمام النعمة.

وبعد أن أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته أمام الناس كافة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، استنفرت قريش، واستنفر المعترضون على أمر الله ورسوله، المعارضون لإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ونتيجة لإستنفار المعترضين على إرادة الله تعالى ووصية رسوله صلى الله عليه وآله، فقد حصلت حادثة هامة جدا، تبين حقيقة أخرى مرتبطة بحديث الثقلين، وهي أن كل من رفض الأمر الإلهي فيما يتعلق بالإمامة والولاية واعترض على ذلك، فإن مصيره العذاب الواقع الذي ليس له من الله دافع.

فلقد ذكرت مصادر المسلمين كافة، أن الحارث بن النعمان الفهري أتى النبي صلى الله عليه وآله على ناقة وكان بالأبطح (أبطح المدينة المنورة) فنزل وعقل ناقته، وقال للنبي صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه، يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إلَه إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ... ثم ذكر سائر أركان الإسلام ... ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا منك أم من الله؟. فقال صلى الله عليه وآله: والله الذي لا إلَه إلا هو، هو أمر الله.

فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول :﴿**اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم**﴾ فما وصل إلى راحلته، حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالى ﴿**سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج**﴾.

محاولة الرسول تدوين الوصية:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كل تلك التأكيدات الشفوية على مسمع كل المسلمين، أراد أن يجعل الوصية مكتوبة مدونة قبل وفاته بثلاثة أيام، فأمر الصحابة ومن حضر عنده من الجموع، أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتابا ووصية حتى لا يضلوا بعده أبدا. وسنتطرق إلى موضع تلك الحادثة وتطابقها مع حديث الثقلين في محلها إن شاء الله تعالى.

ثم وفي آخر لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم أكد معنى الوصية وموضوعها ومضمونها للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد سمع وشاهد ذلك كل من حضر في الحجرة النبوية الشريفة.

روى الهيثمي في مجمع الزوائد، والطبراني في الكبير عن علي بن علي الهلالي عن أبيه قال (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرفه إليها، فقال: "حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟". فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال: "يا حبيبتي أما علمت أن الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلي أن أنكحك إياه، يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا. أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله، وهو عمك حمزة بن عبد المطلب وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما. يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين آخر الزمان كما

قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً. يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإن الله عز وجل أرحم بك وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً وأرحمهم بالرعية وأعدلهم بالسوية وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي).

إني تارك فيكم

وعليه فإن الرسول قد أوصى، وأكد على الوصية، من خلال ما ذكرت من بعض الدلائل، ولكننا عند العودة إلى متن حديث الثقلين نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله يطابق كل الأدلة على الوصية لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام مع متن حديث الثقلين وذلك في عبارة (إني تارك فيكم) أو بلفظ آخر (تركت فيكم) أو (مخلف فيكم) أو (خلفت فيكم).

وهذه الألفاظ تؤكد وبشكل آخر، أنه صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوف يترك هذه الدنيا وينتقل إلى الرفيق الأعلى، ولكنه سوف يترك ما في وجوده يمثل وجود رسول الله، ويكون دوره من دور موقعية رسول الله في هداية المسلمين وتبيين ما يختلفون فيه. فيتحدث رسول الله من وجهة نظر المطمئن على أمته أنني تركت فيكم ما يؤكد على وجودي بينكم، فإنه لن ينقطع الدور الرسالي بانتقالي إلى الرفيق الأعلى، بل إن الرسالة سوف تستمر فيما تركته عندكم، وسوف أكون معكم وبينكم من خلال ما خلفته فيكم. تركت فيكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده، ليبينوا لكم ما تختلفون فيه من بعدي، وليهدوكم إلى الصراط المستقيم، وليعلموكم أمور دينكم، فهم ولاة الأمر الذين أوجب الله عليكم طاعتهم وموالاتهم، فيجب عليكم معرفة أئمتكم وولاة أمركم حتى تطيعوهم. ويجب عليكم قبولهم والإقتداء بهديهم وسلوك طريقهم.

طاعة أولي الأمر:

قال تعالى في سورة النساء الآية ٥٩ ﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

روى في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ .إيانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الأوصياء، طاعتهم مفروضة؟. قال نعم هم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

وروى في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية قال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، فقيل إن الناس يقولون فماله لم يسم عليا وأهل بيته في كتابه، قال، فقولوا لهم نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل طوفوا أسبوعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، ونزلت ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾، ونزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقال أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، وقال لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وقال إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة، فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين من أهل بيته، لادعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال

صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أم سلمة ألست من أهلك؟. فقال إنك على خير، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي.

وفي هذا المعنى وردت عشرات الآيات وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة، فكل الآيات التي تأمر بطاعة رسول الله واضحة الدلالة بوجوب إتباع كل ما يأمر به صلى الله عليه وآله، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولا يمكن أن يوصي رسول الله بشيء إلا وهو على بصيرة من ربه أن ذلك الموصى به هو مراد الله تعالى، وأن متابعة الموصى به تحمي الأمة من الضلال والزيغ، وتحمي إستمرارية الدعوة المحمدية، كما لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله موجود بيننا. قال تعالى في سورة الحشر الآية ٧ ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾.

أي أن ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى به، هو أمر الله تعالى وهو مراده سبحانه.

مقومات أولي الأمر الذين أوصى بهم رسول الله:

ولذلك ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين حقائق كثيرة، تكشف لكل منصف حقيقة وأحقية ما تركه لنا من بعده، وجاءت الآيات تؤكد ذلك المعنى وتبعتها الأحاديث الشريفة أيضا، بأن ما تركه لنا رسول الله من بعده هو الهدى والصراط المستقيم والسبيل القويم المنجي من الضلال ومن العذاب الأليم.

روى السيوطي في الدر المنثور قال: أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما نزلت ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال "أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال (أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي).

وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول "﴿**إنما أنت منذر**﴾ ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر علي ويقول :﴿**لكل قوم هاد**﴾.

وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة، عن ابن عباس في الآية. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (المنذر أنا والهادي علي بن أبي طالب عليه السلام).

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساكر، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا المنذر، وعلي الهادي.

وروى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك أن النبي -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعلي عليه السلام (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي). ورواه الديلمي وفي كنز العمال.

وحتى يبين رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ترك بعده قائدا عظيما وإماما قدوة للناس قال: (يا علي أنا أقاتلهم على تنزيل القرآن وأنت تقاتلهم على تأويله). رواه الخوارزمي والقندوزي الحنفي وابن حجر في الإصابة، ورواه في كنز العمال، وغيرها كثير.

وأخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله: "عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :﴿**فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون**﴾ نزلت في علي بن أبي طالب، أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي. رواه السيوطي في الدر المنثور.

وروى في مجمع الزوائد عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن المحطات المهمة التي تبين حقيقة ما خلفه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله آية الولاية، وهي قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٥٥ ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾..

روى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاله مجاهد والسدي، وحملهم على ذلك قوله تعالى :﴿**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ .وذلك أن سائلا سأل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعطه أحد شيئا، وكان علي في الصلاة في الركوع وفي يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه.

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿**إنما وليكم الله ورسوله ...**﴾ الآية. قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

وروى الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي عليه السلام سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فنزع خاتمه فاعطاه السائل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلمه ذلك، فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين....** ﴾ إلى آخر الآية. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل المسجد، جاء والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم يصلي، فإذا سائل فقال: يا سائل، هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: لا، إلا ذاك الراكع (لعلي بن أبي طالب) أعطاني خاتمه.

وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فنزلت ﴿**إنما وليكم الله**﴾ الآية.

وروى ابن جرير وغيره عن مجاهد في قوله ﴿**إنما وليكم الله ورسوله...** ﴾ الآية نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راكع.

وروى ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم مثله.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أتى عبد الله بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر، فقالوا يا رسول الله، ان بيوتنا قاصية لا نجد من يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد، وإن قومنا لما رأونا قد صدقنا الله ورسوله وتركنا دينهم أظهروا العداوة وأقسموا ان لا يخالطونا ولا يؤاكلونا، فشق ذلك علينا، فبيناهم يشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ ونودي بالصلاة صلاة الظهر، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم. قال: من؟ قال: ذاك الرجل القائم. قال: على أي حال أعطاكه؟ قال: وهو راكع. قال: وذلك علي بن أبي طالب، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وهو يقول ﴿**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ المائدة الآية ٥٦.

وبالإضافة إلى كل ما ذكرنا من روايات تؤكد أنها نزلت في علي أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أن تدعيم المعنى وبشكل أكبر وأقوى فإنني أضيف آيات أخرى تدل على مقومات الأئمة الذين خلفهم لنا رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده لعلها تعطي صورة أوضح لمن يحاول أن يشكك في إختيار الله تعالى للمسلمين.

حيث أنها لم تكن المرة الوحيدة التي لا يستجيب لنداء الله ورسوله سوى أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، فكل المسلمين يعرفون سبب نزول سورة الدهر عندما قال الله تعالى في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بعدما تصدقوا بطعامهم أياما متتالية وكانوا محتاجين لذلك الطعام حيث أنهم

كانوا يوفون بنذر نذروه لله تعالى من خلال الصوم فمدحهم الله تعالى وأنزل سورة الدهر.

قال تعالى في سورة الإنسان الآيات ٧ – ٩ ﴿**يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾.

ثم إليك آية النجوى التي لم يطبقها إلا أمير المؤمنين عليه السلام ولن يطبقها أحد غيره، عندما أمر الله تعالى المسلمين إذا أرادوا أن يناجوا رسول الله صلى الله عليه وآله فعليهم أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، فلم يستجب أحد لذلك الأمر الإلهي سوى علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال تعالى في سورة المجادلة الآية ١٢ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**﴾.

روى الحاكم في المستدرك وغيره كثير عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى .﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾.

قال عليه السلام: كان عندي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد، فنزلت :﴿**أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**﴾(المجادلة: ١٣)الآية.

وروى القرطبي في الجامع عن ابن عمر أنه قال: ابن عمر: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله :﴿**إذا ناجيتم الرسول**﴾ الآية قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله

أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما قال ذلك: امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا ﴿**أأشفقتم**﴾ الآية فوسع الله عليهم ولم يضيق.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي قال: ما عمل بها أحد غيري.

وروى السيوطي أيضا قال أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقدموا صدقة فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، فإنه قد قدم دينارا فتصدق به، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال. ومن أحب أن يعرف عن تلك العشر خصال فليراجع كتاب الكافي وغيره من كتب الحديث.

ومن الدلائل والمقومات على حقيقة ما خلفه وتركه لنا رسول الله من بعده فهم أولي الأمر الذين اجتباهم واختارهم الله لنا وهم علي والأئمة من ولده عليهم السلام الروايات التالية.

روى السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب).

وروى السيوطي والطبراني والحاكم عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

ثم إن هناك عشرات الحوادث والمسائل التي عجز عن معرفتها والإجابة عليها كل الصحابة بعد رسول الله، فلم يكن يحل كل تلك المسائل والإشكالات أو يجيب عن المسائل المستعصية إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكتب الصحاح والسنن شاهدة على ذلك، ولا يتسع المقام لذكرها كلها في هذا البحث، لكنها كلها تبين أعلمية ومعرفة وشجاعة وأفضلية أمير المؤمنين الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وآله ليبين لأمته ما يختلفون فيه من بعده، ولقد شهد بذلك كل الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر.

فلقد روى في فتح الباري شرح صحيح البخاري عن رواية سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وروى مالك قال: لم يكن أحد من الصحب يقول: اسألوني إلا علي بن أبي طالب.

وروى السيوطي وغير أن عمر كان يقول: لولا عليّ هلك عمر واتفق له مع أبي بكر.

وروى في مجمع الزوائد عن أبي ذر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم لعلي: يا علي من فارقني فارق اللّه ومن فارقك فارقني. ورواه البزار.

حقيقة الإستغفار:

ومما يلفت النظر في تبيان أهمية ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته، وتركه بعد وفاته، وأوصى بالتمسك به حتى يكون سببا للنجاة من العذاب، ونجاة من الزيغ والضلال، وهو الإستغفار والمغفرة والغفران، ويتمثل المعنى الحقيقي في هذه الكلمات من خلال قوله تعالى في سورة الأنفال الآية: ٣٣ ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾.

والإستغفار الحقيقي معناه ولاية الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام والدخول في طاعتهم وموالاتهم والإقتداء بهديهم، وهذا المعنى تستطيع أن تستنبطه مما سأذكره من آيات وأحاديث من خلال ترابطها مع بعضها وتلازمها في المعنى والمضمون والموضوع.

فالإستغفار في الآية معناه الأمان من العذاب والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة، ومعناه التسليم لأمر الله، ومعناه الإستسلام.

أليس الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام أمان ونجاة وبعد عن الضلال والهلاك؟.

وذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن عكرمة ومجاهد أن معنى يستغفرون في الآية هو يسلمون ويستسلمون.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: الاستغفار على نحوين: أحدهما في القول، والآخر في العمل. فأما استغفار القول فإن الله يقول ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول**﴾ وأما استغفار العمل فإن الله يقول ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ (الأنفال الآية ٣٣) فعنى بذلك أن يعملوا عمل الغفران.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في هذه الأمة أمانان: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاستغفار، فذهب أمان، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبقي أمان، يعني الاستغفار.

وروى الترمذي والسيوطي في الجامع الصغير عن أبي موسى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنزل الله علي أمانين لأمتي ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾، ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة). ورواه الحاكم عن أبي هريرة.

ولو طابقنا معاني الإستغفار التي هي الأمان والنجاة من العذاب والإستسلام لأمر الله ورسوله، مع بعض الأحاديث التي سوف أذكرها لك، لوجدنا وبشكل واضح لا يستشكل على أحد أن الإستغفار معناه الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام، وهو التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة.

فقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن سلمة بن الأكوع قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي). ورواه أبو يعلى في مسنده.

وروى الحاكم في المستدرك عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (أهل بيتي أمان لأمتي).

وروى الحاكم عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا، فصاروا حزب إبليس).

وعليه فإن أهل البيت عليهم السلام أمان لنا من الإختلاف ومن العذاب ومن الضلال، وقد بينت الأحاديث السابقة أن الله ترك لنا بعد رسول الله أمان وهم أهل البيت عليهم السلام.

ثم انظر إلى الحديث الآتي، الذي يحدد معنى الإستغفار والغفران والمغفرة بأنه الدخول في ولاية أهل البيت عليهم السلام والتمسك بهم وبهديهم وطاعتهم والإعتراف بإمامتهم بعد رسول الله وبشكل واضح.

فقد روى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد الخدري قال، سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له (. ورواه الطبراني في الكبير والأوسط. ورواه في كنز العمال عن أبي ذر.

ومعنى الحديث أن من دخل في ولايتهم عليهم السلام غفر له، مما يؤكد معنى الإستغفار بأنه الأمان بأهل البيت والنجاة من العذاب بمتابعة أهل البيت، والهداية بالإقتداء بأهل البيت، والمغفرة بالدخول تحت طاعتهم.

وإليك الآية التالية التي تبين ترابط معنى المغفرة والتوبة والعمل الصالح والهداية والإهتداء بولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم.

قال تعالى في سورة طه الآية ٨٢ ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾.

روى الطبري في الجامع قال حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، قال: سمعت ثابتا البناني يقول في قوله :﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾ قال: إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كلمات الله:

وقال تعالى في سورة البقرة الآية ٣٧ ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾.

فهم عليهم السلام كلمات الله، فليست كلمات الله تعالى في الآية تختص بالكلام المحكي والمدون، وإنما تعني أشخاصا معينين، وهم النبي محمد والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وهذا وارد في القرآن الكريم في غير الآية المذكورة، بحيث يكون المقصود بكلمات الله أشخاصا معينين، كقوله تعالى في خصوص نبي الله عيسى عليه السلام.

قال تعالى في سورة النساء الآية ١٧١ ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن النجار عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: (سأل بحق محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، ألا تبت علي فتاب عليه).

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس أن آدم عليه السلام قال: (اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم).

وروى في بحار الأنوار عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما نزلت الخطيئة بآدم و أخرج من الجنَّة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم أدع ربك، قال يا حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال قل ربِّ أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان إلا تبت علي ورحمتني، فقال له آدم يا جبرئيل سمِّهم لي، قال قل اللهم بحق محمد نبيك وبحق على وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت علي فارحمني، فدعا بهن آدم فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهن إلا استجاب الله له.

وبذلك يتوضح أيضا معنى كلمات الله، فقد ثبت أن النبي محمد والأئمة المعصومين هم كلمات الله التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم.

وهم عليهم السلام أيضا الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، فمن اتبعهم اهتدى ومن اهتدى كان على الحق ومع الحق، ومن تركهم وترك ولايتهم وهداهم ضل، ومن ضل كان على الباطل ومع الباطل، ولا يعرف الحق إلا بهم، فهم الحق وأهل الحق.

قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٨ ﴿**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**﴾.

وقال تعالى في سورة يونس. الآية: ٨٢ ﴿**ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون**﴾.

وقال تعالى في سورة الشورى الآية ٢٤ ﴿**ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور**﴾.

الوسيلة إلى الله تعالى:

ولتوضيح معنى الإستغفار والغفران والمغفرة وكلمات الله المرتبطة ارتباطا وثيقا بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولاية أهل البيت وإمامتهم، يجب أن نبين معنى الوسيلة إلى ذلك.

قال تعالى في سورة المائدة الآية ٣٥ ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾.

وقال تعالى في سورة الإسراء الآية ٥٧ ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا**﴾.

والوسيلة هي القربة، والتقرب إلى الله تعالى بمحابه وبما يرضيه، وهي الإيمان كما ورد في عدد من الروايات.

فلقد روى العديد من علماء أهل السنة وكذلك الشيعة أن الوسيلة هم الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

ولقد طبق التوسل بالنبي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وعلمه للناس، كما طبق ذلك الصحابة وتوسلوا برسول الله وأهل بيته.

فقد روى الحاكم في المستدرك عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه -: أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني. قال: إن شئت أخرت ذلك وإن شئت دعوت. قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمن، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه، فتقضيها لي، اللهم شفعه في وشفعني فيه. ورواه الترمذي، وفي كنز العمال ومجمع الزوائد.

والتوسل بالنبي وأهل البيت عليهم السلام مشروع في حياة النبي وبعد وفاته.

فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه. فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضأة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حين أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ائت الميضأة

فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

ولقد توسل الأعرابي برسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته وعلى مرآى ومسمع الصحابة ولم يعترض عليه أحد، ومع أنه أعرابي أي أنه ليس متبحرا في علوم الدين، لكنه فهم مشروعية التوسل من الآية القرآنية مباشرة.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٦٤ ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**﴾.

روى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن علي عليه السلام قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحثا على رأسه من ترابه؛ فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ... الآية**﴾، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال: حج أعرابي إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أناخ راحلته، فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر، ووقف بحذاء وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا، مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم تنزيله ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**﴾ .وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في، ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فتلا هذه الآية ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا**

تسليما﴾ .صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، فأجابه ملك: صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة.

ثم إن الصحابة قد توسلوا بأشخاص معينين كما يروي ذلك البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون.

ولقد بينت في كتابي الإبتلاء سنة إلهية على بساط العبودية أن النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، هم الوصلة بين العبودية والربوبية وهم الوسيلة إلى الله تعالى، وهم من أعظم أبواب القبول عند الله تعالى فراجعه في محله.

حقيقة الإيمان:

ثم قضية أخرى هامة جدا ترتبط بحديث الثقلين، وكذلك مرتبطة في كل النصوص التي تتعلق بولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي قضية الإيمان، فهو والأئمة من ولده الإيمان كله، هذا ما أكدته الآيات والأحاديث وأقدم بعضها من أجل الإستدلال على أن الإيمان هو ولاية علي والأئمة المعصومين من ولده.

فلقد ربط رسول الله صلى الله عليه وآله حب وولاية علي عليه السلام بالإيمان، وبغضه وترك موالاته بالنفاق.

روى مسلم في صحيحه وأحمد في المسند والترمذي في السنن عن زر بن حبيش قال قال علي رضي الله عنه (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إلي، أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).

وفي النسائي وغيره (أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. (وروى في كنز العمال عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه رأفة).

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب). ورواه في كنز العمال.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي يوم برز لعمرو بن عبد ود العامري: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

وقال فيه بعد ما قتله: ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين.

روى في تفسير القمي، قال: حدثني جعفر بن محمد معنعنا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس. قلنا: وما هي؟ قال: سماه الإيمان فقال :﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ الآية.

وبإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ .قال: فالإيمان في بطن القرآن علي بن أبي طالب عليه السلام. فمن يكفر بولايته فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

وبناءً على ذلك كان أمير المؤمنين الإيمان كله، فكأن الآيات والأحاديث تشير إشارة صريحة على أهمية إمامة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، حيث ربطت موضوع ولايته وإمامته بالإيمان.

ومن أجل أن يتوضح المعنى أكثر فإنني أضيف بعض الروايات التي تبين ارتباط العشرات من الآيات القرآنية بقضية الإيمان وبولاية وإمامة أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

فقد روى في كنز العمال عن ابن عباس قال) ما أنزل الله سورة في القرآن إلا كان علي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما قال لعلي إلا خيرا. (وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: ما نزلت (يا أيها الذين آمنوا) إلا كان علي بن أبي طالب رأسها وأميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله فما ذكر علي إلا بخير. ورواه الطبراني وأبو نعيم.

وروى ابن عساكر وغيره كثير عن ابن عباس قال (ما نزل في أحد في كتاب الله ما نزل في علي بن أبي طالب).

السر في ترابط النصوص مع حديث الثقلين:

إن كل ما ذكرت من آيات وأحاديث توضح ما ذهبنا إليه من أن حديث الثقلين وما يتعلق في إمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام تتداخل وترتابط في معاني ومضامين آيات عديدة جدا وتتلازم معها، وذلك أبلغ تصريح وأوضح بيان لحقيقة ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله فينا من بعده، وكذلك بالنسبة لموضوع الإمامة والولاية أيضا.

وعليه فإن وصية رسول الله المتَضَمنَةُ في حديث الثقلين، صارت واضحة المعالم من خلال تطابق وتلازم وتصاقب الآيات والأحاديث مع بعضها، مع ملاحظة أنها غير متناقضة ولا يدخلها الخلل أو الإختلاف، بل هي مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا، يدل دلالة واضحة على القدرة الإلهية المتينة، في كلام الوحي الصادر من رب العزة سبحانه وتعالى. وأنها كلها من نبع واحد ومصدر واحد وهو الشارع المقدس، وهذه من المعجزات الواضحة التي يعجز عنها كل البشر، فكل ما روي في علي بن أبي طالب والأئمة من أهل البيت عليهم السلام سواء كان ذلك في الآيات القرآنية أو في الأحاديث النبوية، ومن أي اتجاه أخذتها أو بحثتها أو دققت النظر فيها، فإنها قطعا ستوصلك إلى موضوع محوري أساسي وهو حديث الثقلين بكل ما يحمله من معاني ومضامين. وكما قلت فإن في ذلك دلالة واضحة على أنها من مصدر واحد وهو الله تعالى.

بينما لو نظرت إلى ما ذكرته كتب الصحاح والسنن من فضائل مصطنعة ووضعية في حق كثير ممن لم يجعل الله لهم فضائل أو مناقب، من الأمراء السفهاء أو الحكام الظلمة أو من خلال وضع أحاديث تحتوي على أحكام تلبي رغبات ذوي السلطة والنفوذ، وتبرر ارتكابهم للعديد من المخالفات، أو ربما

يصل الحد إلى اتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا يليق بمقام النبوة ومنزلة الرسالة.

ولأجل كل ذلك فإنك لن تجد في معاني كل تلك الأحاديث ومضامينها ما يدل على ترابطها ودقة إحكامها وتوثيقها، لأنها من وضع الوضاعين المتملقين لمن كان يبغض أهل البيت عليهم السلام، أقول ذلك لأصحاب العقول السليمة والبصائر المتفتحة.

وأنني أدعوا كل مسلم منصف أن يطبق الميزان الذي وضحته الآن، حتى يتبين له صحة ما ذهبت إليه، وحتى تظهر له التناقضات الواضحة التي تخالف معاني النبوة ومنازل الرسالة الإلهية، التي كانت سببا رئيسيا في ظهور الخلافات والتخلف بين المسلمين. والميزان هو أن كل ما جاءنا عن الله تعالى لايمكن له أن يتناقض أو يدخله النقص أو الخلل، ولا يمكن أن يؤدي إلى الخلاف والنزاع والحيرة، لأنه من الله الخالق المدبر.

وأما إذا وجد الخلل والتناقض في الأحكام، أو تناقض الأحاديث مع الآيات فإن ذلك يعنى أن المتناقض ليس من الله تعالى بل من وضع البشر. ولذلك كان رسول الله دائما يحذرنا من هذا التناقض قائلا إذا وجدتم حديثي يخالف كتاب الله فاعلموا أنني لم أقل ذلك.

فقد روى في الكافي عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: "خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنى فقال: (أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله، فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله، فلم اقله).

وروى البيهقي عن الأصبع بن محمد بن أبي منصور أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الحديث على ثلاث فأيما حديث بلغكم عني تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني لا تجدون في القرآن موضعه، ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه، وأيما حديث بلغكم عني تقشعر منه جلودكم، وتشمئز منه قلوبكم وتجدون في القرآن خلافه فردوه.

وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث، فاعرضوا حديثهم على القرآن، فما وافق القرآن فحدثوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به.

وروى البيهقي أيضا عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنه سيأتي ناس يحدثون عني حديثا فمن حدثكم حديثا يضارع القرآن فأنا قلته، ومن حدثكم حديثًا لا يضارع القرآن فلم أقله.

فليس من المعقول أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة البسملة في الصلاة ثم تأتي أحاديث أخرى صحيحة تنفيها، وليس من المعقول أن يأمر القرآن الكريم بمسح القدمين في الوضوء ويفعل ذلك رسول الله وعشرات الصحابة ثم يأتي حديث آخر يوجب الغسل. وليس من المعقول أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالوصية وتأتي أحاديث تنفي عنه أنه أوصى. وليس من المعقول أن يحرم الله ورسوله على المسلم الإنتحار ثم تجد حديثا في صحيح البخاري يتهم رسول الله بأنه هم بالإنتحار عدة مرات. وليس من المعقول أن يحرم الإسلام على المسلم أن يمس أو يختلي بامرأة أجنبية لا تحل له ثم يأتي حديث يقول أن رسول الله أباح رضاعة الكبير. وليس من المعقول أن يستبدل حديث الثقلين ولا يعمل به من أجل حديث منقطع السند من وضع أولئك الوضاعين، أو من أجل الحقد والبغض لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك المئات من المسائل والفضائل والأحكام المتناقضة التي إن دلت على شيء فإنها تدل على عدم صدورها من قبل الشارع المقدس. ولا مجال هنا للتفصيل أكثر في التناقض والأمور الخلافية حتى لا نخرج عن صلب الموضوع. لكنك بمراجعة بسيطة لصحيح البخاري أو صحيح مسلم تستطيع اكتشاف كل تلك التناقضات بكل سهولة ويسر.

بينما وكما لاحظنا شدة الترابط والدقة في إبراز الموضوع من جوانب عديدة بين الحديث الصادر عن رسول الله قطعا وبين كل الآيات القرآنية والأحاديث

الصحيحة، لأن مصدرها هو الشارع المقدس جل شأنه، وليس الأهواء والشهوات ومصالح الحكام وذوي النفوذ والنفوس المريضة.

وكذلك إذا نظرت إلى علم الأئمة سلام الله تعالى عليهم فإنك تجدها كلها صادرة من مشكاة واحدة ولاتتناقض ولا يتطرق إليها الخلل، فكل إمام منهم كان يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي عن رسول الله عن جبرئيل عن الله تعالى، ولم يختلف إمام عن إمام في شيء، بينما لو نظرت إلى من لم يأخذ علمه عن الله تعالى ولا من رسول الله وأهل البيت، تجد أن كل واحد منهم يختلف ويتناقض مع الذي قبله وهكذا دواليك.

إن من نظر وتفكر وتدبر في القوانين الإلهية، وفي النظام الكوني الرباني أو في نظام الحياة بشكل عام، فإنه يستبعد التناقض والإختلاف فيها، لأنها صادرة من الله الخالق المدبر الذي خلقها ودبر شؤونها على وجه إعجازي يدل على قدرته تعالى وإحكام صنعه.

قال تعالى في سورة الملك الآية ٣ ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾.

وكذلك كلام الله تعالى وقرآنه المجيد لا يمكن أن يتناقض أو يدخله النقص أو الخلل لأنه من الله تعالى خالق الكون والإنسان والحياة.

وكذلك ينبغي أن تكون أحكام الشريعة الصادرة من رب العزة الخالق المدبر، فإن العقل السليم يقتضي أن تكون محكمة واضحة، بعيدة عن التناقضات كل البعد، لتكون شريعة كاملة واضحة بينة، تدل ومن خلال أحكامها على أنها من الله تعالى وتدل على قدرة الله تعالى، وتدل على علم الله ومعرفته بما يحتاج إليه الناس.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٨٢ ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾.

ولذلك حث القرآن الكريم في مئات الآيات الإنسان على النظر والتفكر والتدبر في بديع صنع الله تعالى، حتى يصل إلى حقائق الإيمان.

وهكذا بالنسبة إلى موضوع الولاية والإمامة، فإنه ينسجم انسجاما تاما مع نصوص الدين الإسلامي ولا يتناقض أو يتعارض معها أبدا، لأنها صادرة من رب العزة جل شأنه، مثلها مثل بقية أنظمة الكون، وكذلك بالنسبة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لو نظرت إليهم ودققت في أمرهم، فإنك تجد التجلي الإلهي ساطع نوره فيهم، فهم كلمات الله تعالى التي لا يمكن أن توصل إلا إلى الهداية والفلاح والرضوان.

ما إن تمسكتم بهما

ثم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن الوظيفة والتكليف الشرعي تجاه ما خلفه وتركه فينا، هو التمسك، وحتى لا نضيع في بحر الحيرة أتبع كلامه الشريف بلفظة (بهما)، أي أن ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك به شيئين اثنين ليس غير، وهذه معرفة بمضمون الإرادة الإلهية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم، أن ما أوصى بالتمسك به هما شيئين وهما الكتاب والعترة كما يبين ذلك حديث الثقلين.

وأما كلمة التمسك فهي تحمل جملة كبيرة من المعاني، فمن معانيها الإعتصام والإتباع والطاعة والإقتداء والولاية والإستغفار والإيمان والإنابة والحب والعشق والتوجه والإخلاص والمتابعة والمراقبة والسلوك وغيرها من المعاني التي تشترك معها في المعنى وترتبط في الموضوع والمضمون.

وهذه الكلمة تتطابق وترتبط مع العديد من الآيات والأحاديث في الموضوع والمضمون والمعنى، فكما أن الحديث يأمر بالإعتصام والتمسك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام، فإن هناك آيات ومن خلال تطابق المعنى والمضمون تأمر بالتمسك بالكتاب والعترة. ومن تطابق مضمون حديث الثقلين من ناحية التمسك والإعتصام، تحديدا بالكتاب والعترة الطاهرة واعتبارهما شيئا واحدا، والتأكيد على أنهما لا يفترقان ولن يتفرقا ولن يفترقا، ولقد ورد في بعض

متون الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (ما إن تمسكتم به) مما يدل على أنهما شيء واحد، فهذا يعني أن كل أمر موجود في القرآن الكريم يأمر بالتمسك والإلتزام بالكتاب يدخل فيه ضمنا العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، و كذلك كل أمر يأمر بالإعتصام أو الموالاة أو الطاعة وكذلك كل الألفاظ التي تتفرع عن معنى التمسك التي ذكرت بعضا منها، فهي أيضا تعطي معنى التلازم بين الكتاب والعترة.

وإليك بعض الشواهد على ذلك، معززة بأدلة من الحديث النبوي الشريف، حتى تتوضح قاعدة التطابق والتلازم والتصاقب بين حديث الثقلين وبين الآيات والأحاديث.

قال تعالى في سورة آل عمران. الآية: ١٠٣ ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾.

فقد روى القندوزي الحنفي، قال: أخرج الثعلبي بسنده عن أبان عن جعفر الصادق عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله عز وجل ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

وروى القندوزي الحنفي أيضا قال: أخرج صاحب كتاب المناقب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله، إذا جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول ﴿**واعتصموا بحبل الله**﴾، فما جعل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبي صلى الله عليه وآله بيده في يد علي، وقال: تمسكوا بهذا هو حبل الله المتين.

وقال تعالى في سورة النساء الآية: ١٧٥ ﴿**فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما**﴾.

تبين الآية الشريفة أن من آمن بالله، وتمسك واعتصم بالكتاب والعترة الطاهرة بحسب أمر الله بالتمسك بهما كما في حديث الثقلين، فسيدخله في رحمته ويبعده عن سخطه وعذابه، ويتفضل عليه بمعرفة إمامه، الذي يبين له معالم دينه، ويهديه ولن يضله كما في الحديث عندما يقول لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، فإنه يهديه إلى الصراط المستقيم صراط أهل البيت عليهم السلام، الذي

إن تمسك واعتصم به في الدنيا أرشده في الآخرة ليكون مع النبي وأهل بيته عليهم السلام على الحوض، ليشرب شربة هنيئة لا يظمأ بعدها أبدا.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية: ١٧٠ ﴿**والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾.

ويمسكون هنا معناها يعتصمون، وهذا يعني التمسك الحقيقي بالقرآن من خلال فهم معانيه وتطبيق تعاليمه من دون مخالفة في التطبيق، وهذا الفهم لا يتأتى إلا من خلال أخذه ممن يفهم معانيه وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لأنهم عدل القرآن وهم الذين يبينون كل تفاصيله وتعاليمه بالمعنى الذي أراده الله تعالى.

ولقد روى في بحار الأنوار عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن الله يقول (لا يمسه إلا المطهرون) يعني لا يناله كله إلا المطهرون، إيانا نحن عنى الذين أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا وقال (وأورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ٣٢ / فاطر. فنحن الذين اصطفانا الله من عباده، ونحن صفوة الله، ولنا ضرب الأمثال، وعلينا نزل الوحي.

وأعتقد أن الحديث الذي روته كتب أهل السنة فيه الإجابة الواضحة والصريحة، أن فهم دقائق القرآن، هو عند عدل القرآن الكريم علي وأهل البيت عليهم السلام، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول فيه (علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا على الحوض).

وقال تعالى في سورة البقرة الآية: ٢٥٦ ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾.

روي في معاني الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب، فانه لا يهلك من أحبه وتولاه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: أن العروة الوثقى هي مودتنا أهل البيت.

وأظن أن معنى التمسك بالعروة الوثقى، واضح لكل منصف أنه الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، لأنه لا انفصام لهما بدلالة الحديث عندما يقول عن الكتاب والعترة أنهما لن يفترقا أو لن يتفرقا.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية ٣ ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**﴾.

والإتباع معناه الأخذ والتمسك، والتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة هو المعنى الظاهر في الآية، وأن ما أنزل توضحه الآية ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ .وكذلك تبينه الآية من سورة الحشر ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾.

وقوله تعالى في سورة النساء الآية ٨٠ ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ .مع ملاحظة ارتباط كل تلك الآيات بحديث الثقلين والأمر بالتمسك بالعترة الطاهرة.

وعليه فإن التمسك بهما معا هو المطلوب الواجب تطبيقه على كل المسلمين، ولا يجوز للمسلمين أن يفصلوا بين الأمرين بأن يقولوا حسبنا كتاب الله، ويفصموا ما أوثقه الله تعالى.

لأن المسلمين عندما تركوا أهل البيت تركوا القرآن أيضا، وهذا ما سنبينه عند شرحنا لموضوع عبارة كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن شاء الله تعالى.

لن تضلوا

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته العظمى من خلال عبارات حديث الثقلين، أنه سابق ومنتظر على الحوض، وأنه ترك وخلف فينا كتاب الله والعترة النبوية الطاهرة، حتى يقوما مقامه في ترسيخ معاني النبوة وامتداد الرسالة، وأوصى بهما، وبالتمسك بهما، وإتباعهما والإقتداء بهديهما.

ولقد رأيتَ أيها القارئ العزيز تطابق الآيات والأحاديث مع متون حديث الثقلين المختلفة، في الدعوة إلى التمسك والإعتصام والإستغفار بِعِدل القرآن الكريم والعروة الوثقى والصراط المستقيم، أهل بيت النبوة والرحمة.

وبالتالي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد أن من أراد أن يكون سابقا معه على الحوض عليه أن يتبع وصيته، ويتمسك بالثقلين من بعده، كتاب الله وعترته الطاهرة من أهل البيت سلام الله تعالى عليهم.

فمن أوفى بتلك الشروط في الدنيا، من خلال اتباعهما والإقتداء بهديهما والتمسك بكل المعاني التي تنطبق على معنى التمسك والإعتصام بهما، فإنه أولا لن يضل طريقه في الدنيا، ثم يرد على رسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض في الآخرة ثانيا. لأن سلوك ذلك الطريق الذي أمر به الشارع المقدس من خلال التمسك بالثقلين، هو قطعا طريق يوصل إلى ما وعد به الله ورسوله من الهداية والرضى والرحمة والورود على حوض رسول الله وأهل بيته الطاهرين المعصومين.

حقيقة الحوض في الدنيا والآخرة:

وإذا طابقنا دلالة ومعنى الحوض الذي سنرد عليه بإذن الله تعالى، بدلالة ومعنى الحوض في الدنيا، وذلك للإرتباط الوثيق بينهما، ولأن حصول النتائج المرجوة في الآخرة هو تبع للحال الذي يكون عليه الإنسان المسلم في الدنيا.

فهي مطية المؤمن لنوال الآخرة، وهي دار العمل والبناء والإعداد لمرحلة ما بعد الدنيا، وهي دار تحقيق العهود والشروط التي قطعناها، والتي ألزمنا الأمر الإلهي بالوفاء بها، فالإنسان المؤمن يبني في هذه الدنيا إيمانه وعقيدته وولاءه وإخلاصه وعبوديته، حتى يحقق ويصل إلى كل ما يتطلع إليه في الآخرة، من الثواب العظيم والرضوان الأكبر، الذي أعده الله تعالى للمؤمنين في الآخرة.

قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٧٢ ﴿**ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا**﴾.

فمن عمي عن رؤية آيات الله البينات وحججه الواضحات في الدنيا ولم يبصرها، فإنه سوف يكون في الآخرة أعمى، فحاله هناك تبعا لحاله في الدنيا. والعمى المقصود في الآية هو عمى البصيرة، وهو العمى عن رؤية الحق

والهدى والصراط المستقيم، وهو العمى عن رؤية آيات الله وكلماته، وهو العمى عن رؤية ميناء سفينة الناجين الذي يوصل إلى شاطئ الأمان في الآخرة ويوصل إلى الشرب من الحوض وإلى النعيم المقيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وقال تعالى في سورة طه الآية ١٢٧ ﴿**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾.

وأما من تمسك بالحق واتبعه في الدنيا وكان على بصيرة من ربه، سالكا الصراط المستقيم راكبا سفينة الناجين، مطيعا لله ورسوله في الإهتداء بنور الكتاب والعترة الطاهرة، فإن الله تعالى سوف ينير له طريق الآخرة ويتميز بنوره مع المؤمنين، ويستحق بذلك الأجر الكريم والفوز العظيم.

قال تعالى في سورة الحديد الآية١١ – ١٢ ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم، يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم**﴾.

وقال تعالى في سورة الحديد الآية ١٩ ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**﴾.

فإذا طابقنا كل تلك الدلالات والمعاني، فإننا نتوصل إلى نتيجة هامة جدا، وهي أن من أراد الورود على الحوض في الآخرة، ويشرب من يد رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فعليه أن يرد الحوض في الدنيا ويعمل لذلك، وعليه أن يشرب من حوض الدنيا شربة علم وحب وولاء واقتداء ومتابعة لأهل البيت عليهم السلام لا يظمأ بعدها أبدا ولا يحتاج إلى شربة من عند غيرهم.

وعليه كان لابد من فهم دلالة ومعنى الحوض في الدنيا، وارتباطه بحوض الآخرة، فلا يمكن الوصول إلى الحوض في الآخرة إذا لم يصل إليه الإنسان في الدنيا.

ولقد توصلنا من خلال ما بينت من الأدلة التي مرت معنا، أن الحوض هو الكوثر، ولكن المقام هنا يقتضي تبيان معاني الكوثر، وارتباط تلك المعاني ببعضها، ومطابقتها بموضوع ومضمون حديث الثقلين.

روى مسلم في صحيحه عن أنس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة. ثم رفع رأسه متبسما. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال أنزلت علي آنفا سورة. فقرأ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر**﴾ .ثم قال أتدرون ما الكوثر؟. فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل. عليه خير كثير. وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة. آنيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم. فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن أنس قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قد أعطيت الكوثر، قلت يا رسول الله: ما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة، عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيتشعث أبدا، لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي.

لاحظ الحديث كيف يربط عدم الورود على الحوض بقتل أهل البيت، وليس المقصود من القتل هو القتل المعروف فقط، بل ينطبق على كل أنواع القتل المعنوي والإجتماعي والمادي، أو من خلال طمس الحقائق وتغييبها، أو إنتزاع الحقوق من أصحابها.

وهو ما حصل فعلا مع السيدة فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم،

فقد قتلوا جميعهم بأنواع القتل كلها المادي والمعنوي. وهو ما حصل ويحصل لذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعة أمير المؤمنين حتى يومنا هذا.

وبالعودة إلى سورة الكوثر، فلقد أخرج أصحاب العديد من التفاسير نزول هذه السورة بشأن فاطمة الزهراء والأئمة من ولدها سلام الله تعالى عليها. نذكر عددا مختصرا منهم روما للإختصار.

فمنهم البيضاوي في تفسيره، عند تفسير كلمة الكوثر قال (وقيل أولاده صلى الله عليه وآله وسلم).

ومنهم الفخر الرازي، في تفسيره الكبير، قال (الكوثر أولاده صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ومنهم شيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي، عند تفسير سورة الكوثر قال: إنّ المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر أقوالاً كثيرة منها: أنّ المراد بالكوثر أولاده عليه وآله الصلاة والسلام، ويدل عليه أن هذه السورة نزلت ردّاً على من قال في حقّه عليه وآله الصلاة والسلام أنّه أبتر ليس له من يقوم مقامه.

ولقد ورد في تفسير سورة الكوثر، أن الكوثر هي السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، والكوثر معناه الخير الكثير. ويعني ذلك أن لكثرة ذرية رسول الله من جهة ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها خاطب القرآن الرسول الأكرم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بأنه له الكوثر كرامة من الله تعالى له.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان: إنّ كثرة ذرّيّته هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبّي صلى الله عليه وآله وسلم، أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذرّيّة مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله إنّ شانئك هو الأبتر خالياً عن الفائدة.

وقد استفاضت الروايات أنّ السورة إنّما نزلت فيمن عابه صلى الله عليه وآله وسلم بالأبتر بعد ما مات ابنه القاسم وعبدالله، وبذلك يندفع ما قيل إنّ مراد الشانئ بقوله أبتر المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير، فردّ الله عليه بأنّه هو المنقطع من كلّ خير.

وبالجملة لا تخلو من دلالة على أنّ ولد فاطمة عليها السلام ذرّيّته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا في نفسه من ملامح القرآن الكريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعد كثرة لا يعادلهم فيها أيّ نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة.

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (إنّا أعطيناك الكوثر)، والقول الثالث: الكوثر أولاده. قالوا: لأنّ هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه ذرية يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكيّة وأمثالهم.

وقال أيضاً: إنّا إذا حملنا الكوثر على كثرة الأتباع أو على كثرة الأولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا إخباراً عن الغيب، وقد وقع مطابقاً له، فكان معجزا.

وقال الآلوسي في تفسيره: إنّ شانئك هو الأبتر، الأبتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر، وأمّا أنت فتبقى ذرّيّتك ... عليه دلالة على أنّ أولاد البنات من الذرّيّة.

وقال العلامة القزوينيّ: ووجه المناسبة أنّ الكافر شمت بالنبّي صلى الله عليه وآله وسلم حين مات أحد أولاده، وقال: إنّ محمداً أبتر، فإن مات مات ذكره. فأنزل الله هذه السورة على نبيّه عليه السلام تسلية له، كأنّه تعالى يقول إن كان ابنك قد مات فإنّا أعطيناك فاطمة، وهي وإن كانت واحدة وقليلة ولكنّ الله سيجعل هذا الواحد كثيراً.

هذه جملة من أقوال بعض علماء المسلمين، الذين يؤكدون على أن الكوثر هي على وزن فوعل وهي من صيغ المبالغة، وهي تدل على الكثرة، وهذه الكثرة هي ذريته صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى ذلك فإن الكوثر هم عترة الرسول الأكرم وذريته، بدلالة سبب نزول السورة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما ذكرنا أيضا فإن ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله قد جاءت من فاطمة الزهراء عليها سلام الله، والأئمة عليهم السلام كلهم من ولدها، فكانت هي سلام الله تعالى عليها الكوثر.

ومن كل ما ذكرنا يتضح أن الكوثر له دلالات ومعانٍ في الدنيا وهي فاطمة الزهراء والأئمة الأطهار والذرية الأبرار، وله دلالات ومعان في الآخرة وهي حوض رسول الله وأهل بيته في الآخرة، ولقد ذكرنا جملة من أوصافه في بداية البحث.

فمن أراد أن يرد الحوض في الآخرة، عليه أن يرده في الدنيا من خلال وروده على الأئمة من أهل البيت سلام الله تعالى عليهم، الذين حددهم الله ورسوله وجعلهم أئمة لنا، يقتدي بهم ويَتبع هداهم ويَتمسك بهم ويأتم بإمامتهم كما أمر الله تعالى وكما أوصى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يرووا عطش جهلنا وقلة فهمنا، ونواليهم كما أمر الله ورسوله، وننصرهم وننصر أولياءهم، ونعادي أعداءهم ونتبرأ منهم، ونشرب من حوض علمهم وهديهم وبيانهم شربة لا نظمأ بعدها إلى علم أحد غيرهم.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنا من خلال حديث الثقلين، أن من أراد الوصول إلى الحوض في الآخرة ويشرب من يدي شربة لا يظمأ بعدها أبدا، ولا يُرَدُ ولا يُذادُ عنه، فإن الطريق الموصل لذلك هو ورود الحوض في الدنيا من خلال التمسك والإقتداء بأهل البيت عليهم السلام، ومن خلال ولايتهم وموالاتهم وركوب سفينتهم وسلوك صراطهم المستقيم، فمن فعل ذلك فإنه لن يضل أبدا وسيرد علي الحوض في الآخرة.

وهذا ما أوصى به رب العالمين ورسوله الكريم، وهو الذي تركه فينا أمانا من الضلال وأمانا من العذاب بعد رسول الله، وهو ما أمر بالتمسك والإعتصام به عندما قال في حديث الثقلين وغيره من الأحاديث (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا)، أي لن تزيغوا ولن تضلوا إذا تمسكتم واعتصمتم ووليتم واقتديتم بأهل البيت عليهم السلام.

ومن المعروف في اللغة العربية أن (لن) أداة نفي تدل على التأبيد، أي أنه لا مجال للضلال أبدا وللأبد إذا تمسك العبد بأهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل على ضمان الهداية والتوفيق في الدنيا لعملية البناء فيها من أجل الوصول إلى ما وعد الله تعالى من جزيل الثواب في الآخرة، هذا من خلال مفهوم الشرط في العبارة.

وأما من خلال مفهوم المخالفة في علم اللغة، فإن من لم يتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة أو فرق بينهما فإنه ضال عن الصراط المستقيم لا محالة في ذلك، لأن عبارة (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) تدل دلالة قاطعة أن من لم يتمسك بهما معا يعتبر خارج عن خط الهداية والنجاة والأمان، موغل في خطوط الضلال والزيغ والإنحراف، فالهداية حق والضلال باطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

فهم عليهم السلام الحق الذي من تمسك به اهتدى ومن تركه ضل. وهم سواء السبيل، وهم الهدى الذي بينه الله تعالى، وهم الشفاعة، وهم ما أنزل الله عندما أمر رسول الله أن يبلغ ما أنزل إليه، وهم التقوى لأن من اتبعهم يقيه الله تعالى من النار، وهم سبيل الله، وهم الوسيلة، وهم الإيمان وغير ذلك من الأوصاف الكريمة الموجودة في العشرات من الآيات القرآنية، والتي يستطيع كل منصف مدقق أن يطابقها مع حديث الثقلين ليجد الترابط والتطابق واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار.

قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٨ ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل**﴾.

أي أنه من يترك إتباع أهل الإيمان والهدى وهم الأئمة الأطهار، ويستبدل بهم الجحود والنكران، فقد ضل الصراط المستقيم وترك خط الهداية فهو إذن من الضالين، لأن من تمسك بالإيمان بأهل البيت فلن يضل أبدا، ومن تركهم ضل الطريق.

وقال تعالى في سورة يونس الآية ٣٥ ﴿**أفمن يَهِدِّي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾ .وهنا دلالة واضحة منطقية

وهي أن من عينه الله تعالى لهداية الناس وأمر باتباعه والإقتداء به، هو الأحق بالإتباع لأن الحق معه وهو من أهله، وأما من يهدي الناس ولكنه بحاجة لمن يهديه فعلى الأمة أن تتبع من يهديه، هذا هو حكم العقل والمنطق.

وقال تعالى في سورة الفتح الآية ٢٦ ﴿**فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما**﴾.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية ٣٥ ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾.

وأما من خالفهم وترك نهجهم وسبيلهم فهو ضال ظالم فاسق صاد عن سبيل الله، فمن نظر في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن معاني الضلال والظلم والخروج عن جادة الصواب والصد عن سبيل الله ومشاققة الله ورسوله، فإنه يجد حديث الثقلين وولاية أهل البيت عليهم السلام هي المحور الرئيسي في مضمونها ومعانيها.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٦٠ ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا**﴾.

فهؤلاء يزعمون أنهم آمنوا، أي أنهم كانوا من المعروفين بين المسلمين أنهم مؤمنين، وقد سمعوا ووعوا حديث الغدير وحديث الولاية وآية البلاغ التي بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنزل إليه من ربه في ولاية وإمامة أمير المؤمنين من بعد رسول الله، فعرفوا ذلك وسمعوه ووعوه، وعاهدوا وبايعوا على التمسك بأهل البيت واتباع هديهم والإقتداء بهم، لكنهم بعد أن تركوا التمسك بهم واتباعهم، وقرروا أن يحتكموا إلى آهوائهم وطواغيتهم فقد ضلوا ضلالا بعيدا.

وقال تعالى في سورة النساء. الآية ١١٥ ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾.

أي من يعصي ويعادي رسول الله ويخالف طريقه ويترك أوامره من بعد ماتبين له من هو وليه وإمامه، ثم يتولى غيره ويترك صراط أمير المؤمنين وأئمة الهدى فإن مصيره إلى النار.

وقال تعالى في سورة النساء. الآية: ١٦٧ ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا**﴾.

أي صدوا ومنعوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وصراطه المستقيم، عن أهل البيت عليهم السلام وتفرقوا عنهم، ومن ترك أهل البيت ولم يتمسك بهم كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الكريم فقد ضل ضلالا بعيدا، لأن حديث الثقلين يقول لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

وقال تعالى في سورة الأحزاب الآية: ٣٦ ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**﴾.

فلا يمكن للمؤمن بعدما سمع ووعى إرادة الله تعالى ووصية رسوله بالتمسك بالثقلين أن يجعل لنفسه الإختيار، لأنه يعرف أنه إن ترك طاعة الله ورسوله ولم يتمسك بالثقلين معا فإنه والعياذ بالله من العاصين، لأن من يعصى قضاء الله والرسول بعد كل ذلك البيان فقد ضل ضلالا واضحا بينا.

وقال تعالى في سورة النساء الآية: ٦١ ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا**﴾.

أي إذا قيل لهم تعالوا إلى ولاية أهل البيت وإلى إمامتهم، رأيت المنافقين والحاقدين والحاسدين، يمنعون الناس من متابعة أهل البيت وولايتهم، ويصدون الناس عن معرفة حقوق وأحقية أهل البيت بتكفير أتباعهم وتفسيقهم، وهذه تنطبق على حادثة رزية الخميس، عندما صد المسلمون وعلى رأسهم عمر رسول الله عن كتابة كتاب الولاية والإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أيضا ما يحصل اليوم من صد عن سبيل أهل البيت وشيعتهم من خلال التكفير والتفجير والملاحقة والأذى والظلم.

وقال تعالى في سورة هود الآيتان: ١٨ – ١٩ ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون**﴾.

وهذه الآيات كأنها تحكي مشهد الأعراف، والذي سوف يأتي في محله من هذا البحث، حيث يقول الأشهاد وهم النبي والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. ويكشفون حقيقة كل إنسان من مبغضيهم ومن الذين كذبوهم وظلموا آل محمد وصدوا الناس عن سبيل الولاية والإمامة، ولم يسلكوا الصراط المستقيم.

وقال تعالى في سورة الكهف. الآية: ٥٧ ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا**﴾.

فلطالما ذكرهم الله ورسوله بآيات الله وكلماته، بعد أن عرفهم حقيقتها الكاملة، ومع ذلك فقد ظلموا وآذوا آيات الله وكلماته وهم العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، وأعرضوا عنهم بعد ذلك ونسوهم، حتى إن أحدهم يموت وهو لا يدري من هو إمامه ولا يعرفه.

وقال تعالى في سورة العنكبوت الآية ٦٨ ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين**﴾.

هذه أمثلة من الآيات القرآنية الشريفة، تبين في كثير من مضامينها ومعانيها الإرتباط الوثيق بينها وبين حديث الثقلين، وتدل أيضا على أن ولاية أهل البيت عليهم السلام والتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة طريق يوصل العبد المؤمن إلى الحوض في القيامة الكبرى.

فمن وصل خطه في الدنيا بخطهم عليهم السلام ووالاهم واقتدى بهديهم وأحبهم وودهم واتبعهم شرب يوم القيامة من حوضهم وكان من الناجين الآمنين يوم الدين.

الرحمة المهداة:

وبالعودة إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، فإنك تجد أنها تدل على معاني الرحمة للناس كافة، وحرصه الشديد صلى الله عليه وآله على ثبات الناس على الحق ومتابعته والتمسك به بعد انتقاله للرفيق الأعلى من خلال أمره بالتمسك والإعتصام بأهل البيت عليهم السلام، لأنه لا يريد لأمته أن تضل من بعده وتختلف، ويتأكد ذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ١٠٧ ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

وقال تعالى في سورة التوبة الآية ١٢٨ ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾.

ولحرصه صلى الله عليه وآله ووده للمؤمنين ومحبته لهم ورغبته في أن لا يضلوا بعده أبدا، جعل الروابط في ما بين الناس وأهل البيت من خلال المحبة والمودة لهم وموالاتهم ومتابعتهم جعل ذلك أجرا على الرسالة.

قال تعالى في سورة الشورى الآية ٢٣ ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور**﴾.

أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودر عرق بين عينيه، ثم قال (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي).

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها.

وأخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد، عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى**﴾، أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي.

حبهم حسنة:

ثم إن الآية الشريفة بعد طلب المودة لأهل البيت عليهم السلام وعترته الطاهرين، تشير إلى أن ولايتهم ومودتهم ونصرتهم هي حسنة كبيرة عند الله تعالى، وأن من يقترف الحسنة التي هي الولاية لأهل البيت سوف يزيده الله حسنا وكمالا في الدنيا بموالاتهم، وفي الآخرة بالورود على حوضهم صلوات الله تعالى عليهم.

روى السيوطي في الدر المنثور قال، أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﴿**ومن يقترف حسنة**﴾ قال: المودة لآل محمد.

وعليه كانت الحسنة هي حب آل محمد وولايتهم، وهي مرتبطة بحديث الثقلين ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتتطابق مع قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٠١ ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ .ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحث المسلمين على الدعاء بتلك الآية في كل العبادات وفي كل المواقف العظيمة عند الله تعالى التي تكون استجابة الدعوة فيها أوكد، ولقد روت صحاح المسلمين كلها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أكثر دعوة يدعو بها ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**﴾.

فقد روى زادان عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنّه قال: فينا في آل حم آية، لا يحفظ مودتنا إلاّ كل مؤمن. ثم قرأ :﴿**قُلْ لا أسألكُم عَليهِ أجراً إلاّ الموَدَّةَ في القُربَى**﴾.

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: خطب الحسن بن علي عليه السلام الناس حين قتل علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " ... وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى: (قُلْ لا أسألكُم عَليهِ أجراً إلاّ الموَدَّةَ في القُربَى ومَن يَقتَرف حَسَنَةً نَّزد لهُ فِيها حُسناً) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.

وهذا التأكيد الواضح والترابط الصريح بين الآيات وحديث الثقلين فيما يتعلق بموضوع ولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام، هذا الترابط والتلازم يدل على عظمة ومحورية وأهمية بل ومركزية إمامة أهل البيت وولايتهم في الإسلام وعند المسلمين، التي يجب أن لا تغيب عن بال أحد، فكما هي حاضرة في مضامين ومعاني المئات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فإنها (أي إمامة أهل البيت وولايتهم) يجب أن تكون حاضرة في كل نواحي الحياة وفي كل زمان ومكان.

رزية الخميس:

وأما الموضوع المهم بعد ما مر من ترابط وتطابق وتلازم، فإننا نأتي إلى قضية هامة جدا وهي تطابق حديث الثقلين مع أحاديث رزية الخميس في العديد من الجمل والعبارات بشكل صريح في المنطوق والمفهوم.

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده). قال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع).

فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه.

وروى البخاري وغيره قال حدثنا قبيصة: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا). فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. قال: (دعوني، فالذي أنا

فيه خير مما تدعونني إليه). وأوصى عند موته بثلاث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم). ونسيت الثالثة.

وفي رواية أحمد في المسند قال (وسكت سعيد عن الثالثة فلا أدري أسكت عنها عمدا، وقال مرة أو نسيها وقال سفيان مرة: وإما أن يكون تركها أو نسيها).

لاحظ التطابق بين عبارة لن تضلوا في الحديث وكذلك موضوع الوصية، مما يدل دلالة قاطعة على أن الموضوع الذي كان سيكتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هو ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وواضح من موضوع نسيان الراوي الوصية الثالثة في حديث رزية الخميس.

وهو واضح أيضا من رفض عدد كبير من الصحابة، فسح المجال للمسلمين أن يسمعوا ما كان يريد أن يكتب لهم رسول الله، ولذلك ورد في المتون المختلفة للرواية، إتهام رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر والهذيان، ثم ورد أيضا تنازعهم وارتفاع أصواتهم وصياحهم عند رسول الله، وهذا ليس فقط عصيان وتمرد على مقام النبوة ومنزلة الرسالة، بل كان رفع الصوت والتنازع من أجل إفشال ما كان رسول الله يريد أن يوَثقَه للمسلمين، حتى لا يضلوا بعده أبدا وهو الوصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه.

لاحظوا في الروايات قول عمر إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. ثم لاحظوا معي شدة التنازع والمخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله من قبل كبار الصحابة، فقد وصفت ذلك التنازع والإختلاف بشكل أوضح الرواياتُ التي سأذكرها من كتب أهل السنة، حتى يسقط تبرير علماء المسلمين لما فعله عمر ومن وافقه الرأي في يوم رزية الخميس.

روى في مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً". فكرهنا ذلك أشد الكراهة، ثم قال رسول الله: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر: ألا يسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف، إذا

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهن فإنهن خير منكم.

روى في مجمع الزوائد وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي أبداً. فأخذ من عنده من الناس في لغط، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم! فقال بعض القوم: اسكتي فإنه لا عقل لك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنتم لا أحلام لكم.

وروى في كنز العمال عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغسلوني بسبع قرب، وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالت النسوة: ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته، قال عمر فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هن خير منكم.

لاحظوا في الروايات قول الرسول لهم لا تضلوا، ولن تضلوا، ولا تختلفون من بعدي، وطابِقها مع حديث الثقلين، ومع حديث الولاية، ومع الروايات التي يبين فيها رسول الله صلى الله عليه وآله فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه يبين لأمته ما يختلفون فيه من بعده، وكذلك مع عشرات النصوص في أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وأحقيتهم وحقيقتهم، حتى تصل إلى وجه التشابه والتطابق في المضمون والموضوع بين حديث الثقلين وبين ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدونه ويوثقه للمسلمين بخصوص ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم رزية الخميس التي يندى الجبين عند سماع تفاصيلها.

لقد تناسى أولئك أن ما فعلوا هو عصيان واتهام بالباطل لرسول الله، كما أنه تمرد على رسول الله، ومنع له من أن يباشر مهامه في الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ ما أنزل إليه من ربه.

ثم إن في رفع الصوت على رسول الله والتنازع عنده والمخالفة له مشاققة لله ولرسوله، ومعصية واضحة لا يماري فيها إلا حاقد على رسول الله مبغض له ولأهل بيته.

وأعتقد أن جميع من يقرأ القرآن الكريم من المسلمين يعلم عقوبة معصية رسول الله ومشاققته ومعاداته وتسبب الأذى له، ولكنني أورد بعض الآيات للتذكير من أجل الملاحظة والمطابقة بين الآيات والأحاديث.

قال تعالى في سورة النساء. الآية ١١٥ ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾.

وقال تعالى في سورة الأنفال الآية ١٣ ﴿**ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**﴾.

وقال تعالى في سورة النور الآية ٦٣ ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

ثم إن في رفع الصوت فوق صوت النبي حبط للأعمال كما ذكرت ذلك الآيات الشريفة.

قال تعالى في سورة الحجرات الآية ٢ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾.

لاحظوا الآية أنها من سورة الحجرات وتطابق حصول حادثة رزية الخميس في نفس المكان، ثم تطابق سبب نزول الآية في أشخاص معينين وهم نفس الأشخاص الذين اتهموا رسول الله بالهجر ومنعوه من كتابة الوصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وهم الذين صدوا رسول الله عن سبيل الله وعن الصراط المستقيم، ورفضوا التمسك بما إن تمسكوا به فإنهم لن يضلوا أبدا.

في الحقيقة فإنهم قد ضلوا عندما رفضوا سماع ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكتبه لهم، بل لم يكتفوا بذلك فأعلنوا إرادتهم صراحة وعلى

مسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى مسمع كل من حضر من المسلمين.

ولقد تولى تبليغ تلك الإرادة عمر بن الخطاب عندما قال لرسول الله، لا نريد كتابك الذي تريد أن تكتبه لنا، ثم قال حسبنا كتاب الله، وفي ذلك دلالة واضحة على علم عمر ومن وافقه الرأي بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يوثق ويكتب للمسلمين قبل وفاته بأيام حتى لا يضلوا بعده.

وكلمة عمر تلك تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سيدون لهم في ذلك الكتاب الوصية بإمامة العترة الطاهرة وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه.

ثم إن في قولهم حسبنا كتاب الله تفريق لما جمع الله، وهما الكتاب والعترة كما في حديث الثقلين، فلقد أمر الله تعالى على لسان رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أن نتمسك بالكتاب والعترة معا، وأن نعتصم بهما معا، وأنهما لن يتفرقا أبدا.

فكانت تلك الدعوة للتفريق بينهما أول معول من معاول محاولات هدم الحوض في الدنيا، وذلك من خلال الشعار الذي رفعه عمر بن الخطاب ومن خلال الدعوات التي بقيت تنادي بطمس حقيقة اقتران الكتاب مع العترة الطاهرة، ولم تقتصر الدعوة على عمر فقط، بل استمرت تلك المحاولات وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، وسوف تجد المزيد من التفصيل عن ذلك عند التفصيل في موضوع لن يفترقا ولن يتفرقا.

ثم إن في إعراضهم عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتنازعهم واختلافهم ولغطهم ولغوهم وشقاقهم وظلمهم ورفع صوتهم ومعصيتهم وصدهم ومحاولتهم لفصم العروة الوثقى وكلمة التقوى تطابقٌ وتلازم مع العشرات من الآيات القرآنية التي تدور حول محور حديث الثقلين، وتتداخل في المعنى والمضمون والموضوع مع إمامة وولاية أمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام السلام واقترانهم بالكتاب.

ولو بحث القارئ العزيز عنها لوجدها في كل سورة من سور القرآن الكريم. لكن المقام لا يتسع في تفصيلها في هذا البحث، وما أحاوله هنا هو أن أستنفر العقول لتوضيح ارتباط حديث الثقلين بكليات الإسلام وجزئياته، ولأثبت أنه محور أساسي من محاور الإيمان والعقيدة والأحكام، من خلال تبيان الكلمات والعبارات التي تتطابق مع معنى الهداية والتمسك والطاعة والإعتصام بأهل البيت عليهم السلام وما يشبهها من الألفاظ في الآيات والأحاديث، أو المعاني التي تناقض التمسك والهدى والإعتصام، كالضلال والمعصية والتفريط والظلم والإعراض والمخالفة والتفريق بين ما جمع الله وما إلى ذلك.

قال تعالى في سورة النور الآيات ٤٨ – ٥٠ ﴿**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، بل أولئك هم الظالمون**﴾.

هذه الآية الشريفة كأنها توضح حقيقة ما حصل يوم رزية الخميس عندما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاب الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأعرض فريق من الصحابة عن الإستجابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان لسان حال أولئك المعرضين والمعترضين عمر بن الخطاب الذي رفع شعار حسبنا كتاب الله كما بينا في بحث سابق بالأدلة المفصلة.

كما أن الآية تنطبق أيضا على حوادث متعددة حصلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث كان العديد من الصحابة يعترض على حكم الله ورسوله، ومن تلك الحوادث حادثة اعتراض عمر بن الخطاب على حكم الله ورسوله في صلح الحديبية، ومنها اعتراضهم ورفضهم وكثرة لغطهم وصياحهم عندما حكم الله ورسوله أن يكون اثنا عشر إماما وخليفة للمسلمين كلهم من بني هاشم ومن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى في سورة النور الآية ٦٣ ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٦٥ ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾.

قال تعالى في سورة محمد الآية ٢ ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم**﴾.

لاحظ تطابق الآية في الموضوع والمضمون مع قوله تعالى في سورة المائدة.

الآية: ٦٧ ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ .ولاحظ إرتباط الإيمان بما نزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وآله يوم الغدير بخصوص ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنه هو الحق، وأن من آمن بولاية أهل البيت عليهم السلام ومضمون وموضوع حديث الثقلين، فإن الله تعالى يكفر عنهم سيئاتهم، ويبدلها بالحسنات.

وهكذا أخي الكريم لو نظرت في آيات غير التي ذكرنا، وحاولت أن تستكشف حقيقتها وحقيقة ارتباطها وتلازمها مع حديث الثقلين، فإنك سوف تتعرض لعشرات الآيات من القرآن الكريم تؤكد محورية الحديث في العقيدة والأحكام.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ويستمر حديث الثقلين في تبيان حقيقة ما ترك رسول الله وخلف من بعده، وبين أنهما شيئين اثنين وقال في غير مره أنهما خليفتين، وقال أيضا ثقلين، وبين بشكل صريح واضح لا يمكن أن يخفى على أحد أنهما كتاب الله وأهل البيت وأنهما لن يفترقا ولن يتفرقا، وبين أن الواجب هو التمسك بهما معا، وأن من فعل ذلك فإنه لن يضل أبدا.

والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لابد له ممن يبينه ويبين معانيه وتأويل آياته ويهدي الناس إلى ذلك ويعلمهم إياه، لأنه لا يمكن لمن يقول حسبنا كتاب الله أن يفهم القرآن لمجرد أنه يقرأ القرآن أولمجرد أن يقتني ذلك الكتاب، فلو جاز ذلك لادعى الطب مثلا كل من قرأ كتب الطب من غير أن يدرسه على يد متخصص نحرير في ذلك المجال من طريق التلقين، فلا يجوز فهم أي علم ولا يمكن أن يكون بدون من يلقنه للآخرين.

ولذلك كان من لطف الله تعالى بالناس أن جعل القرآن وجعل معه الأئمة الطاهرين المعصومين الهداة المهديين وقرن بينهم، إذ لا يمكن أن يفهم القرآن بحسب ما يريد الله تعالى إلا بوجود من يكون عدلا للقرآن، وهم العترة الطاهرة.

ولذلك وردت النصوص الشرعية المتضافرة والتي توضح هذا المعنى، وأنه لا يمكن أن يترك القرآن من غير وجود من يبينه، لأنه إن صح ذلك فمن الممكن أن يأتي أي إنسان يدعي العلم والمعرفة ليحدد مفاهيم القرآن بحسب رأيه العاجز وميوله النفسية والشهوانية الباطلة.

ولا يمكن ذلك، وهو مالا يرضاه الله تعالى ورسوله، ولذلك حدد الشارع المقدس أن الكتاب وأهل البيت مقترنان لا ينفصلان ولا يمكن الأخذ بأحدهما دون الآخر لأنهما لا يفترقان حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض.

وقد نوه الله تعالى في القرآن وكذلك رسول الله من خلال الحديث الشريف بذلك المفهوم، وإليك بعض من تلك النصوص مع أنك سوف تجد أن أغلب ما ذكر من آيات وأحاديث في هذا البحث كلها تبين المعنى الذي حددناه.

قال تعالى في سورة الواقعة الآية ٧٩ ﴿**لا يمسه إلا المطهرون**﴾ ومعنى الآية أنه لا يدرك معانيه الحقيقية كما يريد الله تعالى إلا أناس مطهرون من الله، أي أن الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولا يمكن لعقولنا القاصرة أن تعرف أولئك المطهرون إلا أن يعرفنا الله تعالى بهم، فإذا أردنا أن نعرف من

هم المطهرون؟. فإن الجواب من الله تعالى في آية التطهير من سورة الأحزاب الآية٣٣ ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ .والآية واضحة الدلالة بأن المطهرين الذين طهرهم الله تعالى تطهيرا هم أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين حددت هويتهم الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله في كل صحاح ومسانيد ومصادر المسلمين، وقال تعالى في سورة النحل ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ .وأهل الذكر هم عدل القرآن وهم أهل البيت عليهم السلام الذين نزل القرآن في بيوتهم، وأهل البيت أدرى بما فيه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). رواه الحاكم والطبراني والسيوطي عن أم سلمة.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال: لما نزلت ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال "أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي).

وقال صلى الله عليه وآله (ياعلي تقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل).

وقال صلى الله عليه وآله (يا علي أنت تبين لأمتي ما يختلفون فيه من بعدي).

وقال صلى الله عليه وآله (علي مع الحق والحق مع علي).

وقال صلى الله عليه وآله (أقضاكم علي).

وقال صلى الله عليه وآله (لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني).

وقال صلى الله عليه وآله (أنا مدينة العلم وعلي بابها).

وقال صلى الله عليه وآله أيضا عن أهل البيت (لا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تتخلفوا عنهم فتضلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم).

ولذلك كان لابد من توضيح معاني الكتاب ومعاني أهل البيت عترة رسول الله الطاهرة، ثم أوجه التشابه والتكامل بينهما، لأنهما شيء واحد، فحقيقة أحدهما هي حقيقة الآخر.

وهذا ظاهر من الحديث عندما يقول أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وهو ظاهر من قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٨١ ﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾.

روى في الكافي: عن الإمام الصادق، والعياشي عن الإمام الباقر عليهما السلام في هذه الآية، هم الأئمة عليهم السلام.

وفي المجمع أيضا عنهما عليهما السلام قالا: نحن هم.

وروى في تفسير القمي قال هذه الآية لآل محمد عليهم السلام، وأتباعهم.

روى صدر الأئمة موفق بن أحمد بن عن أبي بكر بن مردويه بسنده إلى علي عليه السلام، قال: تفترق هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة فإنها في الجنة، وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم :﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ وهم أنا وشيعتي. ورواه في كشف الغمة وفي بحار الأنوار.

وروى في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: قوله تعالى ﴿**وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ الأعراف الآية ١٨١ نزلت في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن أبي بصير قال: تلا أبو جعفر الباقر عليه السّلام هذه الآية ﴿**بَلْ هو آياتٌ بيّناتٌ في صدورِ الذينَ أُوتُوا العلم**﴾ . فقلت: أنتم هم؟ قال أبو جعفر عليه السّلام: مَن عسى أن يكونوا ونحن الراسخون في العلم؟.

أما من هم أهل البيت المقصودون في حديث الثقلين؟.

فهذا أمر لابد للشارع المقدس من تحديد معناه وتوضيحه، لأنه لا يمكن للبشر الذين تتجاذبهم الأهواء والرغبات النفسانية، أن يُترك لهم تحديد أئمتهم وولاة أمرهم الذين يتحدد بهم الهدى من الضلال، ويتعلق بهم أمر الدين، ويرتبط بهم مصير الأمة.

ولذلك تكفل رب العزة بتعريفهم وإظهارهم للناس كافة، طوال فترة حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وبشكل واضح لا يقبل الإلتباس، وتمتنع معه تأويلات المتشككين والمشككين المبغضين، الذين حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يصرفوا معنى أهل البيت إلى معان أخرى لا يرضاها الله تعالى ولا يرضاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد بينت في كتابي سبيل المستبصرين حقيقة أهل البيت عليهم السلام، وأن عبارة أهل البيت هي اصطلاح شرعي وضع الشارع المقدس له معنى خاصا أخرجه عن معناه اللغوي، وذلك مثل لفظة الصلاة في اللغة وتعني الدعاء، لكن الشارع المقدس أضفى على كلمة الصلاة معنى شرعيا خاصا صارت الكلمة تعرف به وهو الصلاة الشرعية وماتحويه من ركوع وسجود وقراءة وتسبيحات وصلاة على رسول الله وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولذلك صار للعبارة معنى شرعيا خاصا لايجوز أن يصرف عنه إلى غيره.

ولقد بين مراجعنا العظام وعلمائنا الأفاضل حقيقة أهل البيت وفضائلهم من خلال عشرات المؤلفات، ولكنني في هذا المقام أعرض بعض الأدلة من القرآن والحديث ليتبين للقارئ العزيز وبشكل مختصر من هم أهل البيت. حيث تتجلى الحقيقة الشرعية لأهل البيت عليهم السلام من خلال آية التطهير وآية المباهلة وغيرها من الآيات.

قال تعالى في سورة الأحزاب الآية ٣٣ ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

روى الطبري في جامع البيان عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (نزلت هذه الآية في خمسة: فيَ، وفي علي، وحسن، وحسين عليهم السلام، وفاطمة عليها السلام) ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

وروى الطبري وغيره عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، قالت: لما نزلت هذه الآية :﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فجلل عليهم كساء خيبريا، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) قالت أم سلمة: ألست منهم؟ قال: أنت إلى خير.

وفي رواية أخرى (إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم).

وروى الحاكم في المستدرك عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت:

في بيتي نزلت هذه الآية :﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ الأحزاب **٣٣**. قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم الصلاة والسلام، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. قالت أم سلمة: يا رسول الله، ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك خير أهلي، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق.

وروى الحاكم في المستدرك عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: جئت أريد عليا عليه السلام فلم أجده، فقالت فاطمة عليها السلام، انطلقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوه، فاجلس، فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل، ودخلت معهما.

قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسناً وحسيناً، فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوبه، وأنا شاهد، فقال :﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي.

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت (خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود. فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما دخل علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام. جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين

صباحا إلى بابها يقول، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ قال: هم أهل بيت طهرهم الله من السوء، واختصهم برحمته.

قال: وحدث الضحاك بن مزاحم. أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول (نحن أهل بيت طهرهم الله، نحن شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم).

وأخرج الطبراني عن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي باب علي، وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال، وأخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾ كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي عليه السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمكم الله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال وأخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

ولم تكتف النصوص الشرعية بتبيان أهل الكساء فقط بل إن هناك نصوص عديدة تبين عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح نذكر منها بعض ما روته كتب وصحاح أهل السنة.

فقد أخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود. أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (اثنا عشر كعدة بني إسرائيل).

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يكون اثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش.

ورواه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وسلم. فسمعته يقول (إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة). قال: ثم تكلم بكلام خفي علي. قال فقلت لأبي: ما قال؟ قال كلهم من قريش.

ثم إن الروايات التي تذكر الأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المتواترة والتي تفوق الحصر والتي تبين أنه من عترة رسول الله وأنه من ولد فاطمة وأنه الإمام الثاني عشر، تؤكد على المعنى الشرعى لعبارة أهل البيت الذي وضعه الشارع المقدس.

فقد أخرج الجويني في فرائد السمطين، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، إن خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدي، اثنا عشر، أولهم، أخي، و آخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله! و من أخوك؟. قال: علي بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي،الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما.

وهناك عشرات الروايات التي توضح معنى ومفهوم أهل البيت عليهم السلام، كما قلت استوفتها كتب وصحاح المسلمين، وما ذكرت هو مقدار يسير منها، من أجل ترابط البحث، والواجب مراجعة ما كتبه مراجعنا وعلمائنا في بيان حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم.

الكتاب والعترة حقيقة واحده:

ومما يدل أيضا على أن الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت شيء واحد، وأنهما متلازمان ومتكاملان، وأنهما حقيقة واحده، فالكتاب هو القرآن الصامت والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق، وهو ما روته كتب الحديث عند أهل السنة كحديث الثقلين وغيره من الأحاديث التي تبين معاني آيات عديدة من القرآن الكريم وارتباطه الوثيق بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

فقد روى الطبراني والحاكم والسيوطي وغيرهم كثير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

وهم عليهم السلام أهل الذكر المقصودون في الآية من سورة النحل ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ . وذلك من خلال تطابق الآية وتلازمها مع حديث الثقلين ومع الأحاديث التي تشير إلى علم أهل البيت والتي تعرضنا لعدد كبير منها في هذا البحث. فهم أهل الذكر وأهل القرآن والقرآن معهم وهم مع القرآن لا يفترقان.

ولو نظر القارئ في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، ودقق في أحاديث الصحيفة العلوية، لوجد أن كل تلك الأحاديث تقر وتعترف بأن فهم القرآن الكريم هو عند عِدل القرآن الكريم أهل البيت عليهم السلام.

وعلى ذلك فإنني سوف أذكر بعض الخطب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي يصف فيها القرآن الكريم ومن ثم مطابقتها مع أهل البيت عليهم السلام، ثم أذكر بعض الآيات القرآنية التي فيها وصف للقرآن الكريم، ومطابقتها أيضا مع أهل البيت عليهم السلام، وأُظهر أوجه التلازم بين الكتاب والعترة الطاهرة، حتى تتجلى حقيقة طبيعية ومنطقية أن فهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا من طريق أهل البيت عليهم السلام، ولذلك أكد حديث الثقلين تلك الحقيقة وقال أنهما لن يفترقا.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له وردت في نهج البلاغة (وكتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم

أركانه، وعز لا تهزم أعوانه، وكتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وينطلق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله).

ويقول عليه السلام (الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم).

وقال عليه السلام (اعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى. واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء – وهو الكفر والنفاق والغي والضلال –، فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنّه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه. (وقال عليه السلام (إن الله سبحانه وتعالى لم يعظ أحدا بمثل القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلوب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره).

فلو طابقنا متون خطب أمير المؤمنين عليه السلام التي يصف بها القرآن الكريم، مع كل النصوص التي تتعلق بأهل البيت عليهم السلام، لوجدنا أن تلك الخطب البليغة تتحدث أيضا عن وصف الأئمة من أهل البيت على اعتبار أنهما شيء واحد.

أما بالنسبة للآيات القرآنية والتي فيها وصف للقرآن الكريم فسنظهر عددا منها ووجه تطابقها وتلازمها مع أهل البيت عليهم السلام.

فكما أن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك هم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى في سورة فصلت الآية ٤٣ ﴿**وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ .فهم عليهم السلام عدل القرآن وأهله الذين يبينونه ويعرفون دقائقه، وهم الذين يبينون معانيه للناس، وهم الهداة المهديون، فلا يمكن أن يتطرق إلى كلامهم

الباطل لأنه عن رسول الله عن رب العزة، فبالتالي لا يمكن لأهل البيت عليهم السلام أن يفترقوا عن القرآن ولا يمكن أن يفترق القرآن عنهم بدلالة حديث الثقلين، ولذلك كان ما ذكر الله تعالى في القرآن من آيات تتعلق بالقرآن تنطبق عليهم انطباقا تلازميا لا انفكاك عنه أبدا، وكم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) وقال صلى الله عليه وآله (يا علي تقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم أنا على التنزيل) وقال أيضا (ياعلي أنا المنذر وأنت الهادي تبين لأمتي ما يختلفون فيه من بعدي) وغير ذلك من الأحاديث التي تبين فضيلة أمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأنهم هم الهداة وأنهم عدل القرآن وهم القرآن الناطق.

وكما قال تعالى في سورة الحجر الآية ٩ ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ .فكذلك هم جعلهم الله أئمة لنا ليحفظ بهم الدين والنهج القويم وصراط الله المستقيم، ولذلك كان من الطبيعي جدا أن يحددهم الله تعالى لنا ويعرفهم لنا، لأنه تعالى تعهد لنا بحفظهم وبيان حقيقتهم وأحقيتهم.

وكما أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فهم كذلك الهداة إلى صراط الله المستقيم.

وكما أن القرآن الكريم بشارة المؤمنين فأهل البيت عليهم السلام هم كذلك.

قال تعالى في سورة الإسراء. الآية ٩ ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**﴾.

وكما أنزل الله تعالى الكتاب على رسول الله ولم يجعل له عوجا، وجعله قيما على الخلق لينذرهم ويبشرهم، فأهل البيت عليهم السلام هم القيمون على الخلق، وهم ولاة الأمر الذين تجب علينا طاعتهم وموالاتهم ومتابعتهم والإقتداء بهديهم وسلوك صراطهم المستقيم، وركوب سفينتهم سفينة الناجين من الضلال المبين ومن غضب رب العالمين.

قال تعالى في سورة الكهف الآيات١ – ٣ ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا**﴾.

قال تعالى في سورة المائدة الآية ١٦ ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾.

ولذلك كانت كل تلك المضامين القرآنية تشمل معها أهل البيت ثقل رسول الله العترة الطاهرة، الذين أمرنا الله بطاعتهم واتباعهم والإقتداء بهديهم سلام الله تعالى عليهم.

وأترك للقارئ العزيز البحث عن آيات قرآنية أخرى تبين حقيقة القرآن الكريم حتى يطابقها مع العترة الطاهرة عدل القرآن وهداة الأمة والصراط المستقيم وسفينة النجاة.

وهكذا نكون قد عرفنا ماهو القرآن؟. ومن هم أهل البيت أولوا الأمر؟. وكيف ربط الشارع المقدس بينهما برباط وثيق وسماهم حبل الله المتين والعروة الوثقى والصراط المستقيم والتنزيل؟. وغير ذلك من المعاني السامية الرفيعة.

وكما أن المسلمين كانوا يعايشون القرآن الكريم في كل نواحي الحياة من رأس الهرم إلى أصغر فرد في المجتمع، فهو الدستور ومعجزة الرسول، وهو رمز المسلمين، ولذلك تجده في كل بيت من بيوت المسلمين، ويحمله المسلم معه في حله وترحاله، فكان له الحضور الدائم في كل صغيرة وكبيرة من نواحي الحياة، فكذلك يجب أن يكون عدل القرآن الكريم أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وكما أن القرآن الكريم محفوظ في الصدور، وموجود في بيوت المسلمين في أشرف الأمكنة وأكثرها تميزا واحتراما، وكما للقرآن الكريم من الإحترام والتقدير والتقديس في نفوس المسلمين، فيجب أن يكون أهل البيت عليهم الصلاة والسلام كذلك.

وكما كان الإهتمام بجمع القرآن وحفظه ورعايته والإهتمام به إلى أقصى الحدود، فكذلك كان الواجب على المسلمين الإهتمام بعدل القرآن الكريم أهل البيت عليهم السلام ورعايتهم واحترامهم وطاعتهم ومتابعتهم، وليس قتلهم

وانتزاع حقوقهم وإقصائهم من الحياة الشرعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وجميع شؤون الحياة.

وكما أن هناك مدارس تهتم بتحفيظ القرآن وتجويده، فكذلك يجب أن يكون هناك مدارس لبيان حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام.

ومما يدل أيضا على أن الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام شيء واحد، هو أن المسلمين عندما تركوا أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وأقصوهم عن جميع نواحي الحياة، عندما فعل المسلمون ذلك تركوا القرآن أيضا وهو في الحقيقة الواقع المظلم الذي يعيشه الناس منذ مئات السنين. وهو ما أثبت للقاصي والداني خطورة وخبث مقولة حسبنا كتاب الله في حادثة رزية الخميس، التي كانت سببا رئيسيا لتعاسة الأمة إلى يومنا هذا، فمن نتائج تلك المقولة وأثرها تُعرف مقاصد أصحابها الذين رفعوها وجعلوها شعارا، حقدا وبغضا لرسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ومحاولة منهم لفصم العروة الوثقى التي وثقها الله تعالى، محاربة لله ورسوله وصدا عن سبيل الله. ولكن أنى لهم ذلك ونحن نستشرف الوعد الإلهي بظهور قائم آل محمد الإمام الثاني عشر الإمام المهدي المنتظر الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملأها ظلما وجورا وزورا وبهتانا أصحاب دعوة فصل الكتاب عن العترة الطاهرة وأتباعهم ومن رضي بأفعالهم ووالاهم على ذلك، لتعود العروة الوثقى إلى موقعها الطبيعي، وتُظهر للنور حقيقة كلمات الله، ويعتصم الناس بحبل الله المتين، ويوصلهم إلى سفينة الناجين، ليسلكوا الصراط المستقيم، مع الطيبين الطاهرين أهل بيت النبي الكريم وشيعتهم الراضين المرضيين.

وكما أن المسلمين اليوم ينظرون إلى ظاهر القرآن الكريم ويعتبرونه كلام الله وأنه يجب أن يطبق في المجتمع وأن القرآن هو الحل، بمعنى أنهم أخذوا بالدعاية والإدعاء وتركوا التطبيق، فإنهم أيضا كذلك تجاه أهل البيت عليهم السلام، يدعون محبتهم وحبهم ظاهرا ويعادونهم باطنا.

وعليه فإن ما يحصل من قبل المسلمين تجاه القرآن الكريم يحصل مع الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام والعكس صحيح أيضا.

ولو دقق المدقق المنصف في ما ذكرناه لوجد أنه يتطابق ويتلازم مع آيات وأحاديث كثيرة منها آية المودة وهي قوله تعالى في سورة الشورى ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**﴾ .وكذلك آية التطهير وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ .وآية المباهلة وهي قوله تعالى في سورة آل عمران .﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ .وعشرات الأحاديث والروايات عند كل طوائف المسلمين كلها تدور حول محور حديث الثقلين. وأن الكتاب والعترة هما وصية الله ورسوله، وأنهما حقيقة واحدة، وشيء واحد متلازم مع بعضه البعض، وأعتقد أن الأمر صار واضحا بينا لا لبس فيه ولا شك.

نبأني اللطيف الخبير

ثم بعد بيان الوصية بالكتاب والعترة الطاهرة في حديث الثقلين، نأتي إلى عبارة في الحديث من ثلاث كلمات وهن (نبأني) و (اللطيف) و (الخبير وفي أحد المتون العليم).

فلماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجمع المسلمين كلمة نبأني؟ ولماذا اختار من أسماء الله الحسنى اللطيف الخبير؟.

يقول النبي صلى الله عليه وآله، أن الله تعالى الذي جعلني نبيا هو الذي اختار لكم الكتاب والعترة الطاهرة، وهو الذي أنبأني أنهما لن يفترقا، فلا يظنن أحد أنني أنا الذي اخترت ولاية علي لأنه أخي وابن عمي، وفرضتها عليكم كما يدعي بعضكم، فهو تعالى الذي اختار أهل بيتي وجعل منهم الأئمة الإثنى عشر ليكونوا أئمة لكم من بعدي حتى لا تضلوا، فأنا لا أنطق عن هوى، ولا عن

دوافع نفسانية أو قبلية، فلقد كنت أنا وأهل بيتي دعوة أبي إبراهيم، ونبوءة موسى، وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام. قال تعالى في سورة البقرة.

الآية: ١٢٤ ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ .وهو الذي قال في سورة آل عمران الآية: ٣٤ ﴿**ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾.

ولذلك كانت كلمة نبأني في الحديث لتذكير المسلمين بنبوته ورسالته، حتى تبطل دعاوى المدعيين، وتكون كلمة نبأني تأكيدا مشددا على محتوى حديث الثقلين.

ثم إن هناك أهمية أخرى لكلمة نبأني من حيث التطابق والتصاقب في المعاني والألفاظ، وهي تطابقها مع سورة النبأ من حيث اللفظ والمضمون.

فقد قال الله تعالى في سورة النبأ الآية: ١ – ٥ ﴿**عم يتساءلون، عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون، كلا سيعلمون، ثم كلا سيعلمون**﴾.

وقال تعالى في سورة ص الآيتان ٦٧–٦٨ ﴿**قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون**﴾.

روى في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال النبأ العظيم الولاية. وعن الباقر عليه السلام، سئل عن تفسير عم يتساءلون، فقال هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول (ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله نبأ أعظم مني).

وفي العيون عنه عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى).

وفي الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام (إني النبأ العظيم، وعن قليل ستعلمون ما توعدون).

وأما بالنسبة لأسماء الله تعالى اللطيف الخبير، فإنها جاءت في المعنى والمضمون المناسبين، من أجل التأكيد على معاني ومضامين حديث الثقلين، لأن اسم الله اللطيف، يتعلق باللطف الإلهي لعباده في كل جوانب الحياة، فالشريعة لطف إلهي، وأنظمة الحياة والكون لطف إلهي، والنبوة لطف، والإمامة لطف إلهي أيضا.

قال في القاموس المحيط (واللَّطِيفُ: البَرُّ بعبادِهِ، المُحْسِنُ إلى خَلْقِهِ بإيصالِ المنافِعِ إليهِم بِرِفْقٍ ولُطْفٍ، أو العالِمُ بخَفايا الأُمورِ ودَقائِقِها، واللُّطْفُ، بالضم من الله: التَّوْفِيقُ).

فالله سبحانه وتعالى لطيف بعباده لا يأمر إلا بما فيه الخير والصلاح والهدى لعباده، وينهى عن كل ما فيه ضلال وفساد وشر.

يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر. قال تعالى في سورة النحل. الآية: ٩٠ ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

ولو دقق المنصف في متن حديث الثقلين، لتيقن بأن أمر الله تعالى بإتباع الثقلين هو لطف إلهي، ولتيقن أيضا بأن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولاية علي وأهل بيته عليهم السلام هي لطف إلهي بعباده الذين يعجزون عن معرفة مراد الله منهم إلا أن يخبرهم الله تعالى بما ينفعهم ويهديهم ويصلحهم.

والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال في الحديث لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، فكان اختيار اسم الله تعالى اللطيف في محله، فبتوفيق الله تعالى لنا ولطفه بنا، كانت نبوة محمد صلى الله عليه وآله، وكانت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين من ولده، فقد لطف الله بنا ووفقنا لولايتهم حتى يبينوا لنا معالم ديننا ومراد الله تعالى منا، وهم ما يصلحنا

وعنوان نجاتنا وإيماننا، ولولا ذلك اللطف الإلهي لكنا والعياذ بالله من الهالكين.

وأما اسم الله تعالى الخبير، فهو الخبير بما كان وما يكون، وهو الخبير بما ينفع العباد ويضرهم، وهو الخبير ببواطن الأمور وما تخفي الصدور، خبير بمن يطبق أمر الله تعالى ووصية رسوله الكريم فيما يتعلق بولاية وإمامة أمير المؤمنين، خبير بمن يطبقه ظاهرا وباطنا، خبير بمن يدعي الولاية ظاهرا ويضمر العداء والبغض باطنا، خبير بمن عاهد عهدا ونقضه، خبير بمن حضر يوم الغدير وهنأ أمير المؤمنين بالولاية وبخ بخ له ثم بعد ذلك نقض بيعته وعهده. فالله سبحانه وتعالى هو اللطيف الخبير.

لن يفترقا ولن يتفرقا

ونأتي الآن إلى هذه العبارة من حديث الثقلين، والتي جاءت بصيغ مختلفة في متون مختلفة من حديث الثقلين، ولكن الملفت للنظر هو ورود كلمة الإفتراق بصيغتين، مرة يفترقا ومرة يتفرقا، مما يدل على أن لكل كلمة منهما دلالة مستقلة تشمل معانٍ مختلفة سنأتي عليها خلال البحث.

المهم هنا أن أداة النهي (لن) أنها أداة نفي تدل على التأبيد، بمعنى أن الكتاب والعترة الطاهرة لن يتفرقا ولن يفترقا أبدا. مما يدل على وجود إرادة تكوينية إلهية بأن الكتاب والعترة الطاهرة لن يفترقا ولن يتفرقا، وهو ما دل عليه حديث الثقلين وحديث الولاية وغيرها من النصوص الشرعية التي ورد الكثير منها في هذا البحث.

وأما ما هو الفرق بين كلمة تفرق وافترق، فهو أمر مهم جدا لتبيان حقيقة تلك الإرادة الإلهية التكوينية من خلال فهم الفوارق بين الكلمتين. فالإفتراق

والتفرق في اللغة يعني الإنفصال والإنفصام، وفرق أي فصل بين شيئين وباعد بينهما وفصمهما.

ولكن في عبارتي لن يتفرقا ولن يفترقا دلالة معينة خاصة لكل واحدة من الكلمتين تعطي مفهوم الإنفصال والتفرق معنى مختلف عن الكلمة الأخرى، فقد كانت تلك الدلالة في الإرادة الإلهية أن الكتاب والعترة الطاهرة هما العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولن يتفرقا ولن يفترقا لا من ذاتهما ولا بفعل فاعل خارج عنهما.

وبشكل سريع فإن جملة لن يتفرقا تدل على أن الكتاب وأهل البيت لا يمكن لأحدهما أن يتفرق عن الآخر من ذات نفسه، وأما معنى يفترقا فإنها تدل على أن الكتاب وأهل البيت لا يمكن أن يفترق أحدهما عن الآخر بفعل فاعل.

لن يتفرقا:

أما النقطة الأولى فيما يتعلق بكلمة يتفرقا، فمعناه أنه لا يمكن للكتاب أن يكون وحيدا بعيدا عن أهل البيت عليهم السلام، ولا يمكن له أن يختار ذلك أو يتحقق له، ولا يمكن لأحد أن يفهم القرآن ويعرف تأويله وأحكامه غير أهل البيت عليهم السلام، وكذلك بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام لا يمكن لهم أن يتفرقوا عن الكتاب ولا يمكن لهم أن يطلبوا ذلك، فلا يمكن أن يتحقق التفرق بين أهل البيت عليهم السلام وبين والكتاب.

لأن الإرادة الإلهية جعلتهم شيئا واحدا لا وجود لأحدهما من دون الآخر، فالكتاب هو القرآن الصامت، وهم عليهم الصلاة والسلام القرآن الناطق.

وبالتالي نستطيع أن نفهم حديث علي مع القرآن والقرآن مع علي، ومدى ارتباطه بحديث الثقلين، ونستطيع أن نفهم عمق التزام أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بأحكام الإسلام كلها حتى في أصعب الظروف التي مروا بها، فمع وجود كل العقبات والضغوطات والمظلوميات التي تعرضوا لها، فإنهم لم يتفرقوا عن القرآن ولم يتفرق القرآن عنهم.

ولو راجعنا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، لوجدنا أن الكبير والصغير من الصحابة ومن كل المسلمين، كانوا لا يستغنون عن علمه ومعرفته وحكمه وقضائه، وكان المثل الأعلى في فهم آيات القرآن وبيان معانيها وتطبيق أحكامها، ولذلك كان أمير المؤمنين يقول عن فهمه ومعرفته بالقرآن الكريم ويصرح عن ذلك بكل ثقة، وكان ينوه بذلك أمام كل الناس، ولم يجرؤ على فعل ذلك أحد من الصحابة غيره.

وقد كان عليه الصلاة والسلام دائما يقول ويردد: كنتُ إذا سألت رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أجابني، وإن فَنِيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آيةٌ في ليلٍ ولا نهار، ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنّة ولا نار، ولا سهل ولا جبل، ولا ضياءٍ ولا ظلمة .. إلاّ أقرأنيها وأملأها علَيّ وكتبتُها بيدي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، ومحكمها ومتشابِهَها، وخاصّها وعامّها، وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن نزلت إلى يوم القيامة، دعا اللهَ لي أن يُعطيَني فهْماً وحفظاً، فما نسِيتُ آيةً من كتابِ الله، ولا على مَن أُنزلت إلاّ أملاه علَيّ.

وفي خطبة له عليه السلام قال: أيُّها الناس، سلوني سلوني، فوَاللهِ لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلاّ حدّثْتكم عنها، بمَن نزلت، بليلٍ أو نهارٍ، أو في مقام أو في مسير، أو في سهلٍ أو في جبل .. وفيمن نزلت، أفي مؤمن أم في منافق، وما عنى به .. أخاصّةً أم عامّة.

وقال عليه السّلام: سلوني عن القرآن؛ فإنّ في القرآن علمَ الأوّلين والآخِرين، لم يَدَع لقائل مقالاً، ولا يعلم تأويلَه إلاّ الله والراسخون في العلم، وليسوا بواحد، ورسول الله صلّى الله عليه وآله كان واحداً منهم، علَّمَه اللهُ سبحانه إيّاه، وعلّمنيهِ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ لا يزال في عَقِبِهِ إلى يوم تقوم الساعة.

وقد ذكر في نهج البلاغة في الخطبة القاصعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والتي قال فيها: ... وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلةِ الخصيصة ... ولقد كنتُ أتَّبِعُه

اتّباعَ الفصيل أثَرَ أُمّه، يرفع لي في كلّ يومٍ من أخلاقه عَلَماً، ويأمرُني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كلّ سنةٍ بحِراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذ في الإسلام غيرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وخديجةَ وأنا ثالثُهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشُمّ ريح النبوّة. ولقد سمعتُ رَنّةَ الشيطان حين نزَلَ الوحيُ عليه صلّى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطانُ قد أيِس مِن عبادته. إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنّك لستَ بنبيّ، ولكنّك لَوزير، وإنك لَعلى خير.

ولقد روي المئات من المواقف التي تعرض لها أمير المؤمنين علي عليه السلام، عندما غير الصحابة وبدلوا بعد رسول الله، وبعد أن انتشرت الفتيا بالرأي، بقي عليه السلام القرآن الناطق الذي يحكم بالحق وللحق، لا يخشى في الله لومة لائم.

روى النسائي في سننه وغيره كثير عن مروان أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة، فقال علي لبيك بحجة وعمرة معا، فقال عثمان أتفعلها وأنا أنهى عنها، فقال علي لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من الناس.

وكلنا يعرف موقفه عليه السلام بعد موت الخليفة الثاني، عندما دعاه عبد الرحمن بن عوف للبيعة على كتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر وعمر رفض عليه السلام ذلك ولم يقبل أن يُدخِلَ بين الكتاب والعترة الطاهرة أي دخيل.

وكذلك كانت مواقف الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، كانت كلها قرآنا ناطقا ينطق بالحق الذي يرضاه الله ورسوله، وبالتالي تسقط كل الإتهامات الباطلة ضد أهل البيت وشيعتهم، إذ لا يمكن لأهل البيت عليهم السلام أن يتفرقوا عن القرآن الكريم أو أن يحكموا بما هو خارج عنه، ويكفي المنصف المدقق من ذوي العقول السليمة أن ينظر إلى الفقه الشيعي ويقارنه مع بقية المذاهب ليجد أن الإلتزام الكامل بالكتاب ومضامينه وأحكامه هي الأمر

الظاهر الواضح الذي يميزهم عن بقية المذاهب، التي تركت كتاب الله فضلا عن أهل البيت واتبعت الرأي والمصالح والقياسات الباطلة.

ونظرة منصفة أيضا من منصف مدقق ذو عقل سوي وبصيرة متفتحة إلى مناظرات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع خلفاء عصورهم وعلماء المذاهب المختلفة، فسيدرك حقيقة العترة النبوية الطاهرة واقترانها الأبدي بالكتاب. وسيدرك مدى سعة فهمهم للنصوص القرآنية وتأويلها بمراد الله عز وجل، وسيعتقد حقا أن كلامهم فوق كلام البشر ودون كلام الله.

أرجوا من القارئ العزيز مراجعة ما جمعه مراجعنا العظماء وعلماؤنا الأجلاء فيما يتعلق بسيرة أئمتنا من أهل البيت عليهم السلام.

كما لا يمكن للقرآن الكريم أن يتفرق عن أهل البيت عليهم السلام أو أن يستغني عنهم، ولذلك فإن الإرادة التكوينية في أن الكتاب والعترة الطاهرة لن ينفصلا عن بعضهما سوف تتجلى بكل وضوح عند ظهور الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي سوف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وستظهر الإرادة الإلهية على الكرة الأرضية بقيام دولة الكتاب وأهل البيت عليهم السلام.

ضرورة وجود الإمام في كل عصر:

ومن محطات حديث الثقلين الهامة جدا خصوصا العبارة التي نحن بصدد شرحها، أنه يؤكد على ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر وزمان، إذ لا يمكن أن يخلو عصر من العصور من إمام معصوم معين من الله تعالى، وهذا الأمر واضح الدلالة في كل عبارات حديث الثقلين التي تعرضنا لبيان بعضها، وخاصة جملة لن يتفرقا الواردة في عشرات الأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك الروايات المستفيضة عند كل مذاهب المسلمين التي سنمر على بعض منها في الصفحات التالية.

ولذلك كانت عقيدة المؤمن المخلص الصادق في إيمانه وولائه لله ولرسوله ولأئمته الإثنى عشر، هي الإعتقاد بوجود الإمام الحجة الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنه وعد الله الحق، وأنه وُلِد وأبوه هو الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري، وأنه منصوص على إمامته، وأنه من أهل البيت من ولد فاطمة الزهراء سلام الله تعالى عليها، وسيظهر في الوقت الذي اختاره الله تعالى لظهوره الشريف، وأن انتظاره عبادة.

والأمر المهم في وقتنا الحاضر هو الإعتقاد بضرورة وجود إمام معصوم في كل عصر وفي كل زمان، وهذا الوجود للإمام هو ضرورة تكوينية وضرورة شرعية.

روى الشيعة والسنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وروي أيضا عند كل طوائف المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام انه قال: (لا تخلو الأرض من قائم منا ظاهراً أو خافٍ، ولو خلت يوماً بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله).

وروي عن أهل البيت عليهم السلام (لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها).

ولو أضفنا إلى ما ذكرنا من الروايات، الروايات التي تتعلق بالإمام المهدي المنتظر عند كل طوائف المسلمين لوجدنا أن كل ما ذكرنا يتطابق ويتلازم مع حديث الثقلين من حيث ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر وزمان.

ولأهمية وضرورة هذا الإعتقاد، وضرورة معرفة إمام وصاحب العصر والزمان، وضرورة بيعة الإمام قبل أن يطرق الموت أبوابنا، فإن الواجب عليك أخي المؤمن أن تسارع في الإعتقاد بأن الكتاب وأهل البيت لن يتفرقا، وأن

تراجع ما كتبه علماؤنا ومراجعنا الأجلاء فيما يتعلق بصاحب العصر والزمان الإمام المهدي المنتظر قبل فوات الأوان وقبل أن يضيق الوقت عليك حتى تصحح مسارك، ولا تندم ساعة لا ينفع الندم.

قال تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٨ ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون**﴾.

لن يفترقا:

وأما الإفتراق في بعض متون حديث الثقلين من خلال عبارة لن يفترقا، فهو كما قلنا معناه الإنفصال والتفرق بين شيئين ولكن بفعل فاعل خارج عن الشيئين المتصلين والمقترنين معا.

وهذا يعني أن الإرادة التكوينية التي قررها الله سبحانه وتعالى في أن الكتاب والعترة الطاهرة، كما أنهما شيء واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر من ذات نفسه، ولا وجود لأحدهما من دون الآخر، ولا يمكن أن يتحقق لهما ذلك الإنفصال والإنفصام.

فكذلك أيضا بالنسبة للإرادة التكوينية للكتاب والعترة أنهما لا يفترقان عن بعضهما بعامل خارج عنهما، إي أنه لو حاول كل الناس أن يفصلوا الكتاب عن أهل البيت أو أهل البيت عن الكتاب، لما تحقق لهم ذلك مهما حاولوا وبذلوا الجهد الكبير في ذلك، لأن الإرادة التكوينية في منع التفرق والإفتراق تشمل العوامل الخارجية أيضا.

ولذلك فإن البحث في هذه النقطة يشمل عدة محاور، نطرحها على شكل أسئلة ثم من خلال النظر إلى حديث الثقلين وتاريخ المسلمين والنصوص الشرعية فإننا نتوصل إلى جميع مطالب هذه النقطة.

فهل حاول أحد من المسلمين القيام بعملية فصم العروة الوثقى التي لا انفصام لها؟.

وهل بقي من المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من يأخذ بوصيته في التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام؟.

ماذا فعل بقية المسلمين من غير المتمسكين بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. وبماذا يتمسكون؟.

هل ستتجلى تلك الإرادة الإلهية في ظهورها يوما على مساحة الكرة الأرضية؟.

فمن خلال ما مر معنا في البحث، تبين لنا بشكل قطعي لا يقبل الشك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بولاية أهل البيت عليهم السلام ومتابعتهم والإقتداء بهديهم، وتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يدعوا لذلك منذ بداية دعوته وحتى آخر يوم في حياته، كان دائما يأمر بالتمسك بالعروة الوثقى والصراط المستقيم وركوب سفينة الناجين.

حتى أن الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه في البحث أكثر من مرة، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض)، يتطابق مع حديث الثقلين تطابقا تاما في توضيح الإرادة الإلهية بأن أهل البيت مع القرآن والقرآن معهم وأنهما لن يفترقا أبدا.

ولم تكن تلك الدعوات من رسول الله صلى الله عليه وآله لولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام تلقى القبول عند طائفة كبيرة ممن لبسوا عباءة الإسلام في الظاهر وتجردوا عن الإيمان في بواطنهم. وكان من نتائج ذلك أن ائتلفت تلك الطائفة، وتحالفت أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وآله على رفض التمسك بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذت على عاتقها محاربتها بكل الوسائل المتاحة، وأهمها التخطيط المركز والمدروس بدقة متناهية لمرحلة وجود رسول الله في المدينة، والتخطيط لما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

محاولات التمهيد لفصل الكتاب عن العترة:

ولقد ظهرت بعض المحاولات من خلال معارضة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم طاعته، والتنقيص من علمه ومعرفته بشؤون الدنيا أثناء حياته وإيذائه ورفع الأصوات بين يديه والتنازع والإختلاف في حضرته وإيجاد رأي عام ضده، من أجل أن تسقط هيبته حتى تكون مخالفة رسول الله أمرا عاديا يتقبله المسلمون بشكل طبيعي.

وكذلك من خلال بث الشائعات ضده وضد أهل بيته وأزواجه وملاحقتهم وغير ذلك من أنواع الأذى الذي يحقق أهداف المخططين من قريش وأعوانهم، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما أوذي نبي مثل ما أوذيت). مما يدل على حقيقة ما ذهبنا إليه.

ولقد روت كتب الحديث والسير عند أهل السنة عشرات الروايات التي تصف ذلك أذكر بعضا منها على سبيل المثال وليس الحصر.

منها هروبهم من المعارك حيث كانوا يتركون رسول الله ومعه ثلة من المؤمنين، ثم يولون مدبرين كما حصل في أُحد وحنين. أو يكون خروجهم معه من أجل الدنيا وليس للدفاع عن رسول الله ودينه العظيم.

فقد عصوا أمر رسول الله عندما أمرهم في البقاء على الجبل، وكذلك هروبهم ورسول الله صلى الله عليه وآله جريحا مكشوفا للمشركين، ولولا دفاع أمير المؤمنين عنه لتمكنوا من قتله. وكذلك هروبهم من حنين وكان من بين الهاربين كبار الصحابة، ولولا نفر من بني هاشم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لتمكن المشركون من قتل رسول الله. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في المسلمين أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب، ولكنهم وبالرغم من نداء الرسول لهم ولوا مدبرين.

قال تعالى في سورة التوبة الآية ٢٥ ﴿**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾

ومنها اعتراضهم على رسول الله في صلح الحديبية، حيث اعترض عمر بن الخطاب على ذلك اعتراضا شديدا أدى به إلى الشك في نبوة محمد وقام بدعوة المسلمين للتمرد على رسول الله صلى الله عليه وآله، ويصف ذلك عمر بن الخطاب كما يروي السيوطي وغيره.

فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال عن صلح الحديبية (والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألست نبي الله؟ قال: بلى. فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به.

فأتيت أبا بكر، فقلت يا أبا بكر: أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه تفز حتى تموت، فو الله إنه لعلى الحق. قلت: أوليس كان يحدثنا إنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.

وروى في فتح الباري شرح صحيح البخاري قال أخرج البزار من حديث عمر نفسه مختصرا ولفظه " فقال عمر: اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي، وما ألوم عن الحق، وفيه: قال فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيت، حتى قال لي: يا عمر، تراني رضيت وتأبى.

ومنها معصيتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمرهم بعد الحديبية أن يحلقوا رؤوسهم ويذبحوا هديهم، فلم يفعلوا، وكان ذلك التمرد إمتدادا لتمرد عمر بن الخطاب على أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بصلح الحديبية، فتمرد المسلمون ورفضوا طاعة رسول الله وعصوا

أمره تأثرا بكلام عمر، وكأن الطاعة واجبة على المسلمين لعمر وليست واجبة على المسلمين في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.!

فقد ذكر الصابوني في مختصر تفسير بن كثير بعض تفاصيل ذلك التمرد، وبرره بأن المسلمين عصوا أمر رسول الله انتظارا منهم أن ينسخ الله حكم النبي، لكنه وللأسف الشديد لم يتدبر في خطورة الأمر على أنه معصية واضحة وتمرد علني على رسول الله من قبل بعض المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب.

روى في مختصر ابن كثير في تفسير الآية ﴿**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**﴾ ذكروا أن هذه الآية نزلت في سنة ست أي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وبين الوصول إلى البيت، وأنزل اللّه في ذلك سورة الفتح بكمالها، وأنزل لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان سبعين بدنة، وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا من إحرامهم، فعند ذلك أمرهم عليه السلام بأن يحلقوا رؤوسهم وأن يتحللوا فلم يفعلوا انتظاراً للنسخ حتى خرج فحلق رأسه ففعل الناس وكان منهم من قصَّر رأسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: "رحم اللّه المحلقين"، قالوا: والمقصرين يا رسول اللّه، فقال في الثالثة: "والمقصرين."

ومنها جذبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وشده من ثوبه بطريقة همجية أمام جموع المسلمين من أجل إسقاط هيبته صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أجل التقليل من شأنه وشأن طاعته، وذلك عندما قام للصلاة على عبد الله بن أبي.

روى الترمذي وغيره عن ابن عمر قال: جاء عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حين مات أبوه فقال: أعطني قميصك أكفنه وصل عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: إذا فرغتم فآذنوني، فلما أراد أن يصلي جذبه عمر وقال: أليس قد نهى اللّه أن تصلي على المنافقين، فقال: أنا بين الخيرتين: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، فصلى عليه.

وروى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب قال بعد تلك الحادثة (فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله).

وروى البخاري في صحيحه وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟

ومنها تركهم لرسول الله يخطب على المنبر يوم الجمعة، وخروجهم لاستقبال التجارة القادمة من الشام وإلى اللعب واللهو، حيث خرج المسلمون كلهم من المسجد يوم الجمعة وتركوا الصلاة وسماع خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يبق مع رسول الله سوى نفر قليل من المؤمنين منهم أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى في سورة الجمعة الآية ١١ ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**﴾.

ومنها تشاتم الصحابة بين يديه وتضاربهم بالنعال بحضرته. كما روت ذلك كتب الصحاح عند أهل السنة وغيرهم.

فقد روى السيوطي في الدر المنثور حادثة بين رجل من الأوس ورجل من الخزرج فقال هذا يا للأوس وقال هذا: يا للخزرج. فاضطربوا بالنعال والحجارة فتلاطموا.

ومنها رفع أصواتهم فوق صوت النبي، حيث كان الصياح ورفع الصوت من أبي بكر وعمر بين يدي رسول الله فأنزل الله تعالى في تلك الحادثة قرآنا يتلى.

قال تعالى في سورة الحجرات. الآية: ٢ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾.

ومنها صراخهم وصياحهم وكثرة لغطهم أمام رسول الله حتى يسقطوا هيبته ويضيعوا قيمة كلامه الشريف، كما ذكر في حادثة رزية الخميس.

وأيضا عندما عين رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماما وخليفة من بعده بأمر من ربه، فضجوا وكثر صياحهم ولغطهم وخالفوا أمر الله في طاعة

رسوله، وغطوا بصياحهم ولغطهم على كلام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لا يعرف أحد ماذا قال، وحتى يستطيعوا أن يضعوا ما يوافق أهواءهم إذا سئلوا عن ذلك كما في الحادثة التالية، التي وضعوا فيها بدلا من قول رسول الله (كلهم من بني هاشم)، استبدلوها ب (كلهم من قريش)، وغطوا على كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالصياح والصراخ واللغط.

روى أبو داوود في سننه عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفةً)،قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمةً خفيفةً. قلت لأبي: يا أبت ما قال. قال: كلهم من قريش.

ومنها عدم طاعتهم له في ما يتعلق بجيش أسامة، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله مصرا على إرسال الجيش بقيادة أسامة بن زيد وتحت قيادته كبار الصحابة منهم أبو بكر وعمر، لكن المسلمين لم يلتزموا بأمر رسول الله وإصراره، حتى أنه قال لهم بشكل صريح أكثر من مرة (أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عن بعث أسامة).

ومنها اتهامه بالباطل وإيذائه في العديد من المناسبات، ودونك سورة التحريم، وحادثة الإفتراء على أم المؤمنين السيدة أم إبراهيم مارية القبطية رضي الله تعالى عنها.

وكذلك ورد في القرآن الكريم الآيات القرآنية التي تحذر من أذى رسول الله أو الإستهزاء به أوالتمرد عليه والتحذير من مخالفته ومعصية أمره، ولولا وجود ذلك الأذى لما نزلت تلك الآيات تحذر من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيضا ورد في الحديث العشرات بل المئات من الروايات التي تظهر مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومعصيته أو الإستهزاء به والتي أظهر فيها أصحابها عدم احترامهم لشخصه الكريم ولمنزلة النبوة ومقام الرسالة، ذكرت قسما منها ويقتضي المقام ذكر بعضا آخر منها:

روى البخاري ومسلم عَنْ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم حنين آثر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ناسا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس

مائة مِنْ الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسا مِنْ أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة. فقال رجل: (واللَّه إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه اللَّه). فقلت: واللَّه لأخبرن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم! فأتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال: فمن يعدل إذا لم يعدل اللَّه ورسوله؟! ثم قال: رحم اللَّه موسى قد أوذي بأكثر مِنْ هذا فصبر.

وروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم أنه قال: بينما هو يسير مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مَقْفَلِهِ من حنين، فعلقه الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فقال: أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً.

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى :﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**﴾.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿**ان الذين يؤذون الله ورسوله**﴾ الآية. قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين أخذ صفية بنت حي رضي الله عنها.

وهناك المئات من قضايا الإيذاء لرسول الله والاستهزاء بشخصه الكريم مذكورة في القرآن الكريم وفي كتب الأحاديث لا يتسع المجال لذكرها، ذكرت العديد منها في كتابنا سبيل المستبصرين.

ثم قضية بناء مسجد الضرار، حيث قام المسلمون ببناء مسجد خارج المدينة من أجل سلب مركز قيادة رسول الله للمسلمين، وتحويل الأنظار عنه والتنقيص من قيمة مركز القيادة، ولقد ذَكَرتُ قصة مسجد الضرار بتفاصيلها في كتابنا سبيل المستبصرين تحت عنوان إغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فراجعها في محلها تجد تفاصيل دقيقة من الضروري لكل مسلم منصف أن يتعرف عليها.

ثم هناك محاولات قراءة التوراة بين يدي رسول الله ومحاولات فرض تعاليم اليهود وتدوينها للمسلمين حتى يتعاملوا بها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغضب لذلك غضبا شديدا، لأن في ذلك الأمر استخفافاً برسول الله وحطاً من شأن دين الإسلام. وكأن الذين طلبوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله يتهمون دين الإسلام بالنقصان، ويريدون أن يكملوا ما نقص منه من كتب اليهود وتعاليمهم، أو أن هناك مؤامرة من بعض المسلمين بالتنسيق مع اليهود، على إدخال فكر وثقافة يهود في أهم مصادر المسلمين، حتى يسهل التعامل مع محافلهم وأحبارهم في الفرصة المناسبة.

وكان باستطاعة أولئك أن يدخلوا الإسرائيليات في حياة المسلمين من دون أن يُطلعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ولكنهم أرادوا من ذكر الأمر وتكراره أمام رسول الله، أن يأخذوا ترخيصا وإقرارا شرعيا منه صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بنشر ثقافة يهود بين المسلمين، وعندما فشلوا في ذلك، كذبوا على رسول الله فيما بعد وادعوا على لسانه أنه قال (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، وبذلك أعطوا شرعية لماأرادوا وغطوا بهذا الترخيص على فعلهم المشين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذي يؤكد افتراءهم على رسول الله هو ما سأقدمه من روايات تبين بعضا من الحقيقة.

روى أحمد والبزار وفي فتح الباري عن جابر قال: نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتغير.

فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني وروى في مجمع الزوائد والطبراني عن أبي الدرداء قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله جوامع من

التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله، فقال عبد الله بن زيد الذي أُريَ الأذان: أَمَسَخَ الله عقلك، ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فسري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال اخرج أحمد عن عبد الله بن ثابت قال: "جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى السيوطي في الدر المنثور عن عمر بن الخطاب قال (انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا في يدك يا عمر؟ فقلت يا رسول الله، كتاب نسخته لنزداد به علما إلى علمنا، فغضب رسول الله حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة. فقالت الأنصار: أغضب نبيكم السلاح. فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لي اختصارا، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون. وفي رواية أخرى (فلا يهلكنكم المتهوكون).

وهنا لابد من التدقيق في عبارة رسول الله (ولا يغرنكم أو فلا يهلكنكم المتهوكون). من ناحية ربط معنى الهلاك الذي في العبارة، مع عبارات حديث الثقلين وحديث السفينة، من أجل فهم معنى الهلاك وهو ترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وترك ركوب سفينتهم ومخالفة إرادة الله تعالى ووصية رسول الله فيهم.

وأمر آخر يجب الإلتفات إليه في عبارة فلا يهلكنكم المتهوكون، من ناحية معنى الكلمة.

قال في النهاية: (المتهوكون: التهوك كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية. والمتهوك: الذي يقع في كل أمر).

وقال الجوهري: والتهوك أيضاً مثل التهور وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة. وقال الحسن المتهوكون المتحيرون.

فالمتهوكون هم الذين يقعون في الأمور بغير روية، ويتهورون في أخذها والتعامل معها، ولا يضيرهم ذلك ويتهورون في أخذها والتعامل معها، ولا يضيرهم إن كانت ترضي الله تعالى ورسوله أو تغضبهما، وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن الضريس عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها فقال يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارا.

ثم انتشر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته، حتى أنه اضطر لأن يخطب في المسلمين مراراً محذراً لهم من خطر أولئك الكذابة عليه، ولولا وجود أولئك الكذابين بين المسلمين لما حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم.

فقد روى في كنز العمال وكل صحاح ومسانيد المسلمين عن عدد كبير من الصحابة، والحديث متواتر عند كل طوائف المسلمين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من علم شيئا فلا يكتمه، ومن كذب علي عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار).

ثم كثرت محاولات الإستهزاء والسخرية والحسد والضغائن ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهم السلام وضد بني هاشم بشكل عام، حتى يسقط احترامهم بين الناس. وبالتالي تسهل عملية انتهاك حرماتهم وسلب حقوقهم وأحقيتهم، وتمر على أغلب المسلمين بشكل طبيعي واعتيادي.

روى في مجمع الزوائد وفي كنز العمال والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي رافع أن أم هانئ بنت أبي طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعملي فإن محمداً لا يغني عنك شيئاً، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي؟! وإن شفاعتي تنال حا وحكم!! وحا وحكم قبيلتان.

روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار أن عمر قال لها: غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله لاتنفعك شيئاً! فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء؟! ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت في حاء وحكم! لايسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته! فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: أبوك الذي تدعى له! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟ فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عني عفا الله عنك...

روى البخاري في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما كثير نفس الروايات السابقة لكن محاولة التغطية على القصة الحقيقية واضحة عند المقارنة بين المتون، ويستطيع المسلم المنصف أن يميز الحق ويعرفه وإليك الرواية.

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أمورا عظاما، ثم قال من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا. قال أنس فأكثر الناس البكاء حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأكثر رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول سلوني، قال أنس: فقام رجل فقال أين مدخلي يا رسول الله؟. فقال النار. قال: فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله. قال أبوك حذافة. قال ثم أكثر أن يقول سلوني، قال فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولا، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روى أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودر عرق بين عينيه، ثم قال: (والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي).

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني في الأوسط والصغير عن عبد الله بن جعفر قال: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أتيت قوماً يتحدثون فلما رأوني سكتوا، وما ذاك إلا أنهم استثقلوني! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أقد فعلوها؟، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟).

وروى الحاكم في المستدرك فيما يتعلق بإيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته.

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: إني لأمشي مع أبي، إذ مر بقوم ينقصون عليا رضي الله تعالى عنه، يقولون فيه. فقام، فقال: إني كنت أنال من علي، وفي نفسي عليه شيء. وكنت مع خالد بن الوليد في جيش، فأصابوا غنائم. فعمد علي إلى جارية من الخمس، فأخذها لنفسه. وكان بين علي وبين خالد شيء. فقال خالد: هذه فرصتك، وقد عرف خالد الذي في نفسي على علي.

قال: فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاذكر ذلك له.

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، وكنت رجلا مكبابا، وكنت إذا حدثت الحديث أكببت. ثم رفعت رأسي، فذكرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الجيش، ثم ذكرت له أمر علي. فرفعت رأسي، وأوداج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد احمرت. قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت وليه، فإن عليا وليه).

وبسب كل تلك المحاولات للنيل من أهل البيت عليهم السلام والحط من شأنهم، وبسب الحقد والبغض الذي انتشر عند الفئات الحاسدة لرسول الله وأهل بيته الأطهار، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردد على مسامع كل المسلمين، تلك الأحاديث التي فيها تحذير من بغض علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأهل البيت عموما، وكان يحذر أشد التحذير من أذيتهم، لأنه كان على علم بما يخططه لهم أعداءهم.

ولولا كثرة الحاقدين والمبغضين والحاسدين لرسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، لما كان هذا الكم الهائل من الأحاديث التي تحذر المسلمين من أذاهم وبغضهم، بل كانت بالإضافة إلى التحذير من ذلك تأمر بحبهم وموالاتهم واتباعهم والإقتداء بهديهم، وإليك بعض النماذج من الأحاديث التي تحذر المنافقين وتتوعدهم.

فقد روى مسلم وغيره كثير عن علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال له (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق).

وروى الحاكم والسيوطي عن سلمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض عليا فقد أبغضني).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (من فارق عليا فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله).

وروى الحاكم في المستدرك عن حيان الأسدي سمعت عليا يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على

ملتي، وتُقتَلُ على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا).

وروى أحمد والحاكم وبن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني).

وروى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي).

وروى السيوطي في الدر المنثور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أن الله اشتد غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي).

وروى في كنز العمال وغيره كثير أن النبي صلى اله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله).

وروى السيوطي في الجامع الصغير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله).

وروى السيوطي والحاكم والترمذي والمناوي وفي كنز العمال ومجمع الزوائد والطبراني وغيرهم كثير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (ستة لعنتهم وكل نبي مجاب، .... وذكر منهم ... المستحل من عترتي ما حرم الله).

ثم كانت محاولات ثني المسلمين عن كتابة كلامه الشريف وتدوينه، مبررين ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدث في الرضا والغضب.

تلك المحاولات التي كانت نتيجتها ضياع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفتح المجال لدخول ما ليس من السنة فيها، وكذلك تسهيل الأمر على السلطة الحاكمة أن تضع في السنة كل ما يفيد مصالحها وتحذف كل ما فيه تهديد لسلطتها، وفتح المجال للرأي والهوى في الأحكام الشرعية وغير ذلك من الأسباب التي كان سببها التخطيط لمؤامرة اغتيال السنة النبوية الشريفة في مهدها.

روى أحمد في مسنده عن عبد اللّه بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك

تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ورسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فقال: (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق) ورواه أبو داود وغيره كثير، وفي بعض الروايات: (بشرٌ يتكلم في الرضى والغضب).

أول عملية تفريق بين الكتاب والعترة الطاهرة:

وهكذا استمرت تلك المخططات المدروسة بدقة متناهية ضد رسول الله ووصيه أمير المؤمنين وضد أهل البيت وبني هاشم، والتي مهدت الطريق لعملية ضرب الصلة الوثيقة بين كتاب الله وعترة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أن جاء اليوم الذي تم فيه الإعلان الرسمي لأول عملية تفريق وفصل بين الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، حيث رفع أصحاب دعوات رفض الأمر الإلهي، الذين رفضوا أن يكون لأهل البيت عليهم السلام الدور الأساسي في الحياة والمجتمع، فقد رفع أولئك شعارا معارضا لوصية رسول الله مباشرة، وكان ذلك الشعار هو حسبنا كتاب الله، وانتدبوا لذلك عمر بن الخطاب ليكون أول من يعلن بدء عملية إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن الحياة التشريعية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية.

ولولا كل محاولات التعريض برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والطعن في عصمته، والإستهزاء به وأهل بيته، والكذب عليه ومعصيته ورفع الصوت عليه والتنقيص من مقام النبوة والرسالة، لولا كل ذلك لما تمكن عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة أن يعلنوا رفضهم لأمر الله تعالى ووصية رسوله، ولما تمكنوا من محاولة تدمير تلك الإرادة الإلهية التكوينية، ولولا كل ذلك لما استطاعوا أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله بالهذيان والهجر والخرف.

ومن العجيب أن تجد علماء المسلمين يبررون أفعال رزية الخميس ويتعرضون لشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل أن يدافعوا عن شخصية لطالما عارضت ورفضت وتمردت على مقام النبوة ومنزلة الرسالة، وإليك أخي المؤمن بعض الروايات من كتب وصحاح أهل السنة والجماعة بل ومن أصح الكتب عندهم، تبين بعض التفاصيل لعملية ضرب أول معول لرفض أمر الله تعالى ورفض أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإعلان العصيان العلني لمقام النبوة ومنزلة الرسالة، ورفع شعار حسبنا كتاب الله.

فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده). قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: (قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع).

لاحظوا كيف أن رسول الله يدعوهم ليكتب كتاب الوصية التي طالما أعلنها على الملأ وهي الوصية بالكتاب وولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، وقد ردوا عليه بقولهم لا نريد الكتاب والعترة معا وإنما عندنا كتاب الله حسبنا.

وهذا الحديث ومن خلال ردهم الذي ردوه على رسول الله، يدل دلالة قاطعة على أن الذي سيكتبه لهم رسول الله هو مضمون حديث الثقلين، حيث بينت في بحث سابق كيفية تطابق حديث الثقلين وحادثة رزية الخميس في كثير من المواقف والكلمات.

وروى البخاري وغيره قال حدثنا قبيصة: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: (ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا). فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (دعوني، فالذي أنا فيه خير

مما تدعونني إليه). وأوصى عند موته بثلاث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم). ونسيت الثالثة.

وفي رواية أحمد في المسند قال (وسكت سعيد عن الثالثة فلا أدري أسكت عنها عمدا وقال مرة أو نسيها وقال سفيان مرة: وإما أن يكون تركها أو نسيها).

وأما في هذه الرواية فبالإضافة إلى رفع شعارهم الذي أعلنه نيابة عنهم عمر ابن الخطاب، فإنهم تنازعوا وتصايحوا بين يدي رسول الله واختلفوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، ولكنهم بما قدموا من محاولات ذكرنا بعضها، جاء الوقت المناسب لهم حتى يكون بعد كل ما صنعوا أن يتنازعوا ويتصايحوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، ويَمُرُ الأمر بشكل طبيعي، بل وحتى تكون الطاعة في مجلس رسول الله التي أمر الله تعالى بها مرفوضة من قبل المسلمين، وتكون الطاعة لعمر بن الخطاب هي المسلم بها عند المسلمين.

بل وأكثر من ذلك وهو تجرؤهم على شخص رسول الله أمام كل المسلمين واتهام عمر بن الخطاب له بالهجر والهذيان والخرف، حتى لا يسمع المسلمون كلامه الشريف. بل ويكون كلام غيره مسموعا ومطاعا أكثر منه، وهذا هو الذي حصل وهو الذي مر ويمر عليه المسلمون من دون أن يهز شعرة واحدة في أبدانهم التي فقدت الشعور والإحساس برسول الله وطاعته وحبه ومودته، واستبدلته بطاعة وحب أعدائه المتربصين له ولوصيته.

روى في مجمع الزوائد عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً". فكرهنا ذلك أشد الكراهة ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء الستر: ألا يسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف، إذا مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهن فإنهن خير منكم.

لاحظوا في هذه الرواية بالإضافة إلى كل ما ذكرنا، قول عمر بن الخطاب الذي أكده الحديث المذكور. (فكرهنا ذلك أشد الكراهة)، فما الذي كرهه عمر بن الخطاب من رسول الله؟....

وهل يجوز لأحد من المسلمين أن يكره من رسول الله شيئا؟ ...، لأنه من المقطوع به عند كل المسلمين أن ذلك لا يجوز، بل إنه ينفى الإيمان عن كل من يكره من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا، والقرآن الكريم شاهد على ذلك.

قال تعالى في سورة النساء الآية ٦٥ ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾.

فالتسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المطلوب الشرعي من قبل كل المسلمين، وليس كراهية حكمه وأمره، فإن ذلك ينفي الإيمان، ويحبط الأعمال، ويسخط الرب.

ثم نقول للذين يبررون فعل عمر بتبريرات باطلة، يرفضها كل عقل سوي سليم من الآفات النفسية والتعصب الأعمى، فإن الأمر يبدوا واضحا غاية الوضوح عندما استهجن النسوة رفض أمر رسول الله من قبل عمر ومن معه، فقام النسوة بدعوة المسلمين لطاعة رسول الله وأن يأتوا بالدواة والكتف حتى يكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الوصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب علبه السلام، ولكن عمر صاح بالنسوة وذمهم واستهزأ بهم، لأنهم أمروا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وشتمهم في محضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك منه أشد الكراهة وغضب غضبا شديدا، وقال لعمر لماذا تأمر النسوة أن يسكتن وتنهاهن عن الدعوة لطاعتي وطاعة أمر ربي، دعوا النساء فإنهن خير ممن يدعوا لمعصية الله ورسوله، وخير ممن يتهم رسول الله بالهجر، وخير ممن يتمرد على رسول الله وعلى مقام النبوة ومنزلة الرسالة، دعهن يا عمر فإنهن خير منك وخير ممن رأى رأيك، ثم كره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبقى أولئك العصاة عنده، فقال لهم قوموا عني واخرجوا من عندي.

ثم أقول للذين يبررون فعل عمر ويعتبرون صياحه ولغطه واعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنعه من أن يكتب كتابا لن تضل الأمة من بعده إن اتبعوا ذلك الكتاب، واتهام رسول الله بالهجر والهذيان.

أقول لأولئك، لماذا كان الصحابة عندما يذكرون ما فعل عمر ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكون حتى تبل دموعهم الحصباء؟. ولماذا كانوا يطلقون على ذلك اليوم بيوم رزية الخميس؟. ولماذا أُطلق على تلك الحادثة بأنها رزية؟.

مؤامرة السقيفة:

ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وانتقل إلى الرفيق الأعلى، فجاءت المحاولة العملية لفصل دور أهل البيت عليهم السلام عن الإسلام، ونبذ وصية الله ورسوله بشكل مباشر وعلني، بعدما تهيأت كل الظروف المناسبة لذلك.

وكان أن اجتمع بعض المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعده، بينما كان أغلب الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله محتشدين، يبكون على رسول الله، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبنو هاشم منشغلين في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي أثناء كل ذلك ترك أولئك المجتمعون في السقيفة وصية رسول الله، وكل النصوص الشرعية التي تأمر بالولاية والوصية لأمير المؤمنين عليه السلام، ونسي أولئك عهودهم ومبايعتهم لأمير المؤمنين علي عليه السلام يوم أن أخذها عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم، وقال لهم يومها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله).

لقد تناسى أولئك كل ذلك، واستغلوا انشغال المؤمنين وأميرهم علي بن أبي طالب علي السلام في تجهيز رسول الله، وفي هذه الأثناء كان عمر بن الخطاب رافعا سيفه معلنا للناس، وتحت قوة التهديد والتخويف، أن محمدا لم يمت، ومن قال بأن محمدا قد مات فإن مصيره الموت، وبقي على تلك الحال حتى حضر أبو

بكر من خارج المدينة المنورة، فقد كان يقضى فترة نزاع رسول الله ومرضه خارج المدينة المنورة في السنح كما يروي البخاري وغيره.

وما أن عاد إلى المدينة حتى أخذ عمر بيده وتوجهوا إلى السقيفة، وخطب أبو بكر في المجتمعين، وخطب عمر وقام بمبايعة أبي بكر.

وقد روى البخاري في باب فضائل الصحابة عن عائشة قالت (فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقا، فردهم الله بذلك).

لاحظوا كيف أن عمر بن الخطاب استخدم كل وسائل التخويف والإرهاب، حتى لا يتذكر المسلمون بيعتهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحتى يبايعوا من اختاره عمر تحت التهديد والإكراه. ولذلك كان عمر مستعدا لقتل أي إنسان يخالف أهدافه ومراميه، وعندما اعترض الصحابي سعد بن عبادة زعيم الأنصار ورفض مبايعة أبي بكر، أمر عمر بضربه وقتله.

روى البخاري في صحيحه (فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل: قتلتم سعدا، فقال عمر: قتله الله).

ويروي البخاري أيضا قول عمر واعترافه بأن بيعة السقيفة كانت مغامرة خطيرة من قبله، خالفوا فيها أمر الله تعالى ووصية نبيه، يقول عمر بن الخطاب (فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها).

ويروى البخاري أيضا عن عمر بن الخطاب وهو يعترف بأن غالبية المسلمين لم يكونوا على علم بما يجري في السقيفة، ويعترف بأن عددا كبيرا من الصحابة لم يجمعوا على بيعة أبي بكر، قال (وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف منا علي والزبير ومن معهما).

لاحظوا في الآية التالية وهي تبين عملية الإنقلاب على إرادة الله تعالى ووصية رسوله الكريم في ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وأن الذين نقضوا عهودهم وتركوا بيعة أمير المؤمنين عليا عليه السلام لن يضروا الله شيئا، بل

إنهم في الحقيقة ضروا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله ووصية رسول الله ونقضوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم في حادثة الغدير.

وأما الذين صبروا على عهدهم وثبتوا على ولايتهم وتحملوا الأذى والظلم في سبيل وفائهم ومودتهم وحبهم لأمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فأولئك لهم حسن الجزاء والثواب، لأنهم من الشاكرين الثابتين الصابرين المحتسبين.

قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٤٤ ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**﴾.

ومما يدل على أن الإنقلاب في الآية هو على إمامة أمير المؤمنين والأئمة من أهل البيت عليم السلام هو تطابق لفظة الشاكرين في الآية مع آية المودة في المعنى واللفظ، عند ورود اسم الله تعالى الشكور.

وأما بالنسبة لأبي بكر، فقد خطب خطبة بعد عودته من السنح من خارج المدينة خطب قائلا (أما بعد من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

فهل كان يرى أن الناس يعبدون محمدا حتى يهدئ من روعهم؟. وهل خرج الناس عن إيمانهم وعقيدتهم؟ أم كانوا مثالا للصبر والتقوى؟ وهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف أن أصحابه يعبدونه وهو ساكت عنهم؟.

وعلى كل فإن حادثة السقيفة كانت التطبيق العملي في التفريق بين الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، وذلك واضح من اغتصاب حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وبالتالي تم عزل أهل البيت عليهم السلام عن موقعيتهم السياسية والقيادية.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته المسماة بالشقشقية كما يرويها في نهج البلاغة.

(أمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة، وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَ لَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَ يَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَ فِي الْعَيْنِ قَذًى، وَ فِي الْحَلْقِ شَجًا، أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابن الخطاب بَعْدَهُ.

ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى

(شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَ يَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِر) فَيَا عَجَباً بَيْنمَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَ يَخْشُنُ مَسُّهَا، وَ يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَ الِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَ شِمَاسٍ، وَ تَلَوُّنٍ وَ اعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَ شِدَّةِ الْمِحْنِ).

مهاجمة بيت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام:

تمت مؤامرة السقيفة كما خطط لها أشياخ قريش، ولم يبايع أمير المؤمنين علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام وبقية بني هاشم وعدد كبير من الصحابة الذين كانوا من شيعة علي والموالين له، مما اضطر أبو بكر وعمر أن يقوما بعملية ثانية لإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن المجتمع، والحط من شأنهم واحترامهم بين المسلمين، ومن أجل انتزاع البيعة منهم لأبي بكر، فكانت حادثة الهجوم على بيت علي أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله من الدنيا.

فقد قام المسلمون بأمر من أبي بكر وعمر بالهجوم على ذلك البيت الطاهر ومحاصرته وحرقه على من فيه، وقاموا بالإعتداء على السيدة فاطمة الزهراء وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها محسن، وتفاصيل تلك الحادثة تجدها في كتابنا سبيل المستبصرين في باب إغتيال فاطمة الزهراء عليها السلام فراجعه في محله، ولكن لا يقولن قائل أن هذا الأمر ليس صحيحا، فلقد اعترف أبو بكر نفسه بالحادث، ودونته صحاح ومسانيد أهل السنة فضلا عن الشيعة، وأيضا اعترف بالحادث شيخ النواصب بن تيمية في كتابه منهاج السنة وغيره من علمائهم من اعترف بذلك الحادث المخزي وأقر به.

روى في كنز العمال ومجمع الزوائد وغيرهم عن أبي بكر أنه قال (أما إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فأما الثلاث التي وددت أني لم أفعلهن، فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق على الحرب).

وآت ذا القربى حقه:

وهكذا استمر أبو بكر وعمر ومن معهما في عمليات إبعاد أهل البيت عن الحياة والمجتمع، فبعد أن أزاحوهم عن دورهم القيادي والسياسي، وفصلوهم عن الحياة التشريعية والإجتماعية، قام أبو بكر وبمباركة عمر بن الخطاب بمنع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من إرثها، وحرمانها من حقوقها، وانتزع منها ميراثها من رسول الله، وانتزع منها فدكا التي منحها إياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من ربه، قال تعالى ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾.

روى في كنز العمال عن أبي سعيد قال: لما نزلت ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة لك فدك.

وروى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد قال: لما نزلت :﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ .دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فأعطاها فدك.

ونتيجة لذلك غضبت فاطمة الزهراء عليها السلام على أبي بكر وعمر، وتوفيت وهي غاضبة عليهما كما ورد في صحاح المسلمين.

روى البخاري عن عائشة) أن فاطمة عليها السلام، ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا نورث، ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت).

روى البخاري في صحيحه عن المسور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في حق السيدة فاطمة الزهراء سلام الله تعالى عليها (غضبها من غضب الله، ورضاها من رضى الله).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله، ومن أرضاها فقد أرضاني، ومن أرضاني فقد أرضى الله).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).

وروى في الإصابة ومجمع الزوائد والطبراني في الكبير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عن ابنته فاطمة عليها السلام (إن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها).

قال تعالى في سورة الأحزاب الآية ٥٧ ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**﴾.

واستمر أبو بكر في حصاره الإقتصادي أثناء خلافته على أهل البيت عليهم السلام وقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ما أكدته الروايات من مصادر أهل السنة والجماعة.

فقد روى أبو داوود وغيره عن سعيد بن المسيب، قال: أخبرني جُبير بن مطعم أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا رسول اللّه، قسمت لإِخواننا بني المطلب، ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيء واحدٌ، قال جبير: ولم يقسم لبني عبد شمس، ولا لبني نوفل شيئاً من ذلك الخمس، كما قسم لبني هاشم وبني المطلب.

قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قَسْمِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يعطيهم.

وهكذا اكتمل الحصار بجميع أشكاله على أهل البيت عليهم السلام طيلة فترة أبي بكر الذي أوصى بالخلافة لعمر من بعده، الذي قال في عدة مواقف أبت قريش أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة، الذي اخترع قضية الشورى استكمالا لمخطط قريش في فصل الكتاب عن العترة الطاهرة.

قضية الشورى:

لقد كانت قضية الشورى التي صممها عمر بن الخطاب قبل وفاته، وترشيح ستة أشخاص من بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إستكمالا لمخطط إبعاد أهل البيت النبوي عن كل شؤون الحياة، فأمير المؤمنين الذي جعله الله تعالى أفضل إنسان بعد رسول الله، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي خير البشر فمن أبى فقد كفر). رواه في كنز العمال عن جابر. ورواه السيوطي عن ابن مسعود. ورواه السيوطي عن حذيفة بن اليمان. ورواه بن كثير في البداية والنهاية عن علي عليه السلام.

وأمير المؤمنين هو الذي شهد له كل الناس بالعلم والمعرفة والشجاعة والفضل والقضاء، وهو الذي كانت كل انتصارات المسلمين على يديه، وهو الذي قالوا

فيه أقضاكم علي، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يكن علي بن أبي طالب، لم يكن هناك أي شخص كفؤ لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

فشخص بهذا المستوى الذي يسمو على مستوياتهم في كل المجالات، عندما يرشحه عمر مع أشخاص دونه بكثير في تلك المستويات، فإنه يقصد بذلك مساويته بهم، ورفع لشأنهم على حساب التقليل والحط من شأن أمير المؤمنين عليه السلام، وبذلك ينظر المسلمون على أن أمير المؤمنين إنسان عادي مثله مثل غيره من المسلمين، وبناء على ذلك تطمس كل الحقائق والفضائل التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مئات المواقف في حق أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثم يصبح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بأمير المؤمنين عليه السلام هباءً منثورا لا قيمة له ولا وجود، وبالتالي تكون النظرة لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، نظرة دون العادية، وهو ما حصل بالفعل من ذلك اليوم وحتى يومنا هذا.

ولذلك فإنني أعتقد أن عملية فصل الكتاب عن العترة الطاهرة أُسس لها منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتزايدت في عصر الخليفة الأول والثاني بشكل مطرد، وأما ما حصل في العصور التي تلتها فهو نتيجة طبيعية لما أسسه الأوائل لعملية التفريق بين ما جمع الله تعالى وهما الكتاب والعترة الطاهرة.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية فيما يتعلق بقضية الشورى.

(حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلَّهِ وَ لِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَ طِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَ مَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَ هَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ

وَ مُعْتَلَفِهِ، وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ).

إذن في هذه المرحلة وُضِعَ أمير المؤمنين عليه السلام مرشحا مع عدة أشخاص، ليس لهم سابقة في الإسلام كسابقة أمير المؤمنين عليه السلام، وبالرغم من أن عملية الشورى بحد ذاتها هي معول من معاول فصل الكتاب عن أهل البيت عليهم السلام، وإبعادهم عن دورهم الأساسي في الحياة، إلا أنه قد فرضت شروط تعجيزية لا يمكن لأمير المؤمنين علي عليه السلام أن يقبل بها.

ولقد وضع أشياخ قريش ذلك الشرط، حتى يكون عقبة أمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في حال بقي أمير المؤمنين هو المرشح الأقوى للوصول إلى سدة الخلافة.

لقد اشترطوا على أمير المؤمنين أن يبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين من بعده، لقد أرادوا بذلك الشرط أن يضيعوا دور أهل البيت عليهم السلام في الإيمان والولاية، وأرادوا أن يجعلوا بين الكتاب والعترة الطاهرة ما يحول بين التقائهما ببعضهما.

وأيضا وجود ذلك الشرط والقبول به، هو اعتراف صريح بأفضلية الشيخين على علي عليه السلام، وهو ما لا يرضاه الله ورسوله، وهو ما يخالف الواقع والحقائق، وهو ما يخالف أيضا اعترافات أبي بكر وعمر بأفضلية علي عليه السلام عليهما.

ولذلك رفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الشرط طاعة لله ولرسوله، وحتى لا يفرق تلك الإرادة التكوينية بأن الكتاب والعترة الطاهرة شيء واحد لا يجوز افتراقهما ولا تفريقهما.

روى البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة قال (طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظتُ، فقال أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادعوا الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما، ثم دعاني فقال: ادع لي عليًّا، فدعوته فناجاه حتى ابهارَّ الليل، ثم

قام عليّ من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليٍّ شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذِّن بالصبح، فلما صلَّى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحَجَّة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهَّد عبد الرحمن ثم قال: أمَّا بعد يا عليُّ، إنّي قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً. فقال عثمان لعبد الرحمن: أبايعك على سنَّة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس).

وهنا سؤال مهم جدا يطرح نفسه، لماذا قال عمر في حادثة رزية الخميس حسبنا كتاب الله واكتفى بالكتاب، بينما في قضية الشورى لم يكتف بالكتاب وإنما بسنة رسول الله وسنة أبي بكر وعمر؟.

وروى أحمد في مسنده قال (سئل عبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا؟ قال: وما ذنبي. قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال: فيما استطعت ثم عرضتها على عثمان فقبلها).

وهكذا غُيبَ الأمام عن دوره، وعُزل أهل البيت عليهم السلام عن موقعيتهم التي اختارها الله لهم، وضاع حقهم وتاهت الأمة عن أحقيتهم، وتم لأشياخ قريش ما أرادوه من فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وبقي الأمر على تلك الحال في فترة عثمان بن عفان الخليفة الثالث.

وخلال تلك الفترة من العزلة بكل أشكالها على أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، ظل أمير المؤمنين يجمع القرآن كما جمعه رسول الله صلى الله عليه وآله وينقل السنة الصحيحة للحسن والحسين عليهما السلام ولشيعته المنتجبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين بقوا على عهدهم، ولم يمنعهم كل ذلك العنف والتعنيف من الخلفاء الثلاثة، أن يفوا بعهدهم ووعدهم وبقي الكتاب والعترة الطاهرة مقترنين على هذا المستوى كما أمر الله تعالى ورسوله.

بينما عند بقية المسلمين من غير شيعة وأنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كان الفصل واضحا بين الكتاب والعترة، بل لم يكن هناك أي دور لأهل البيت عليهم السلام، وكما ذكرت في بداية البحث أنه لا وجود للقرآن الكريم من غير أهل البيت، فإن المفاهيم القرآنية أيضا بدأت تنطمس مثلها مثل أهل البيت عليهم السلام، وبدأ القرآن كما أهل البيت عليهم السلام، يفقدون وجودهم عند هؤلاء، فتغير الحكم وتغيرت العشرات من الأحكام بما يخالف القرآن وسنة رسول الله وأهل البيت، وتغير الوضوء بما يخالف أحكام القرآن، وكذلك الصلاة والحج والخُمس وعشرات الأحكام، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، ونبه كثيرا على أن يَحذَرَ المسلمون من ذلك التغيير الذي ستقوم به الأمة من بعده، وبين معالم الخطر بشكل صريح في أكثر من مناسبة، كما في الأحاديث التالية.

روى الحاكم في المستدرك عن حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة). ورواه السيوطي وغيره كثير.

وروى في كنز العمال وغيره عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

وروى أحمد والحاكم والسيوطي وابن حبان عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

لاحظوا التغيير والتبديل، كيف بدأ بالحكم في عهد أبي بكر، وانتُزِعَ حق الحكم من أمير المؤمنين عليه السلام، وتغير الحكم ووضع في غير المحل الذي اختاره الله تعالى له، وما أن جاء عهد الخليفة الثالث حتى كانت الصلاة قد ضيعت وتغير شكلها، وتغير الوضوء وكذلك عشرات الأحكام، كل ذلك تغير بما يخالف أمر الله ورسوله.

وانظر إلى الروايات التالية واستنبط حال الصحابة المنتجبين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، كيف صاروا لا يستطيعون أن يجهروا ولا أن يُظهروا شكل الصلاة الحقيقي كما أمر الله تعالى، وكما كان يصليها رسول الله وأمير المؤمنين علي عليهما الصلاة والسلام.

ثم ماهي حقيقة تلك الفتن التي تجعل حذيفة رضي الله عنه وغيره من الصحابة المنتجبين يُخفون ويُسرون صلاتهم عن الخلفاء؟.

ومعلوم أن حذيفة رضي الله تعالى عنه توفي في أواخر خلافة الخليفة الثالث، وقيل مرض مرضا شديدا، ولزم بيته وتوفي بعد مقتل عثمان بأربعين يوما، أي أن الخوف والفتنة التي عاشها أولئك الصحابة المنتجبون، كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فترة مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى مسلم في صحيحه، وأحمد في المسند، وبن ماجة، وفي كنز العمال عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام، قال، فقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون. لعلكم أن تبتلوا، قال، فابتلينا. حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا).

روى البخاري في صحيحه عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت (دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئا، إلا أنهم يصلون جميعا.) ومعناه لا أعرف شيئا من الشريعة لم يتغير عما كان عليه إلا أنهم يصلون جميعا أي مجتمعين..

وقال في فتح الباري تعقيبا على الحديث (لأن حال الناس في زمن النبوة، كان أتم مما صار إليه بعدها، ثم كان في زمن الشيخين أتم مما صار إليه بعدهما، وكأن ذلك صدر من أبي الدرداء في أواخر عمره، وكان ذلك في أواخر خلافة

عثمان، فيا ليت شعري إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند أبي الدرداء، فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إلى هذا الزمان).

وروى البخاري في باب تضييع الصلاة عن أنس قال (ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: الصلاة؟ قال: أليس ضعيتم ما ضعيتم فيها).

وروى الترمذي عن أنس قال (ما أعرف شيئا مما كنا عليه على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فقلت: أين الصلاة؟ قال: أو لم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم).

ويؤكد الصحابي عمران بن حصين ومطرف بن عبد الله، حصول النقض في آخرهن، وهي الصلاة عندما صليا خلف أمير المؤمنين علي عليه السلام، وتنهدا واعترفا بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام ذكرهما بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى البخاري في صحيحه، وكذلك في بقية الصحاح والسنن عن مطرف بن عبد الله قال: (صليت خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنا وعمران بن حصين، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما قضى الصلاة، أخذ بيدي عمران بن حصين فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال: لقد صلى بنا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما بالنسبة إلى أحوال المنافقين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه يصفها وصفا دقيقا لايقبل التأويل، ويؤكد على حقيقة حديث الثقلين في أن عدم التمسك بالكتاب والعترة معناه الضلال والزيغ عن جادة الحق وعن الصراط المستقيم.

روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال (إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأما اليوم: فإنما هو الكفر بعد الإيمان).

وروى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان قال: (إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا يومئذ يُسرُّون واليوم يجهرون).

وإنني أتساءل، أين أجهزة الدولة عن أولئك المجاهرين بكفرهم؟. وأين عمر ابن الخطاب وشدته وجلادته في الله كما يدعون؟. ولماذا لا يخاف أولئك المجاهرون الذين على ما يبدوا من الأحاديث كانت لهم سطوة وسلطة، ويتمتعون بحصانة قوية وقرار، جعلت الصحابة المنتجبين يخشونهم ويخشون الرد عليهم؟ .... فهذه مرحلة خطيرة من تاريخنا الإسلامي لا بد من إعادة النظر فيها ببصيرة وإنصاف.

وبقي الوضع والتغيير والإبتعاد عن أحكام الله، وبقيت محاصرة وعُزلة أهل البيت عليهم السلام قائمة إلى أن قتل عثمان بسبب تجاوزاته التي ملأت السهل والوعر، ومخالفته لأحكام القرآن والسنة النبوية.

وبسبب الفتن والمحن التي عانى منها المسلمون، فإنهم تنبهوا لضرورة وجود أهل البيت عليهم السلام، وتذكروا وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أكد عليه من حقائق وفضائل في حق أهل البيت عليهم السلام، وتذكر المسلمون بأن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، هم سفينة النجاة، التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك، وأنه لا يمكن لهم الخلاص من كل الفتن والمحن ومهاوي الضلال التي عاشوها من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بسبب فصلهم لدور أهل البيت عليهم السلام، فقرروا التمرد على مخططات أشياخ قريش في إبعاد العترة الطاهرة عن واقع الحياة، وتنبهوا إلى ضرورة مبايعة إمام زمانهم، لأنهم أدركوا أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، ومن لم يعرف ويبايع إمامه الذي ارتضاه الله تعالى له ضل عن دينه، وهو الواقع الذي عاشه المسلمون بعد وفاة رسول الله وحتى مبايعة الإمام علي عليه السلام، فقرروا مبايعة إمام زمانهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام:

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الشقشقية متحدثا واصفا قصة مبايعته قال (فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَ شُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ، نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَ مَرَقَتْ أُخْرَى، وَ قَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ .بَلَى وَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوْهَا، وَ لَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَ رَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ).

وما أن تمت مبايعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتى بدأ بالعمل على إعادة ما ترك الناس من أحكام القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وقام بإعادة عشرات الأحكام وتطبيقاتها إلى وضعها الصحيح، فقام بتطبيق آية الوضوء وأعاده على وفق أحكام القرآن الكريم، حتى يتقبل الله طاعة الناس وعباداتهم، ثم أعاد شكل الصلاة وفق صلاة رسول الله وشهد كما ذكرنا الكثير من الصحابة كما في كتب الحديث أنه ذكرهم بصلاة رسول الله، لأنهم منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصلوها كما كان يصليها رسول الله إلا ما كان من صلاتهم مع إمامهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأعاد حج التمتع كما فرض الله ورسوله، وتوقف النظام الطبقي في العطاء الذي غيره عمر بن الخطاب حيث ساوى في العطاء كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوقف العشرات من البدع التي كانت تطبق في العهود التي سبقت عهده كصلاة التراويح وغيرها من البدع.

فلقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام ومنذ اليوم الأول على إصلاح الفصم والفصل بين القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، الذي تم من يوم أن رفع

الخلفاء شعار حسبنا كتاب الله. فأعاد المسلمين إلى العروة الوثقى وإلى الصراط المستقيم، وأوشك أن يبحر بسفينة الناجين سفينة أهل البيت عليهم السلام، ويقود الأمة إلى شاطئ الهداية بعيدا عن الضلال، فما الذي حصل؟.

حرب المسلمين ضد خلافة أمير المؤمنين:

فعند وصول خبر مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام إلى من تصدوا منذ البداية للصد عن سبيل الله، وكذلك وصول الخبر إلى كل المنافقين وإلى المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، استفزهم الأمر واستنفرهم، لأنه خالف الواقع الذي رسمه أشياخ قريش لهم، ولم يكن متوقعا لديهم عودة العروة الوثقى إلى معترك الحياة التشريعية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية، ففي تلك العودة إفشال لكل مخططاتهم، وضياع كامل لكل مصالحهم، فاستنفروا كل قواهم لمواجهة تلك الدولة الوليدة، التي إن بقي على رأسها أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، وإمام المتقين، والصراط المستقيم، فإنهم وعلى حسب معرفتهم بعلي عليه السلام، سوف لن تقوم لهم ولمخططاتهم قائمة، وسوف يكون مصير تراثهم الذي ورثوه عمن سبقهم إلى زوال، فبدأت محاربة أمير المؤمنين عليه السلام، واستُغلت كل الطاقات وحتى الشيطانية الخبيثة منها، من أجل أن لا يترك مجال لأمير المؤمنين لتطبيق كتاب الله وسنة نبيه، ومن أجل الوصول إلى حالة الفوضى واللاإستقرار في دولته عليه السلام، ومن أجل ضربها إقتصاديا حتى تبلغ معاناة الناس ذروتها، فبالتالي تسقط دولة الحق، ويعود الأمر كما كان عليه قبل أن يتسلم الإمام مهامه في إمامة الناس وقيادتهم.

وعندما يحصل ذلك الهدف لمن نَصَبوا العداء لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام مرة أخرى، فإنهم سوف يعتبرون ذلك انتصارا ووفاءً لأشياخهم من قريش الذين أسسوا للجيل الجديد من أن يحافظ على تراث الأجداد، ويتمسك به، وكلنا نتذكر أبيات الشعر التي تمثل بها يزيد لعنة الله عليه، عندما قَتَلَ

الإمامَ أبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه في كربلاء يوم عاشوراء، وقام بسبي نسائهم وعلى رأسهم العقيلة زينب، قال يزيد يومها فرحا:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ومعروف أن ذلك التراث ليس هو الحُكم فقط، بل هو الإبقاء على عملية الفصل والفصم بين الكتاب والعترة الطاهرة (الذين أمر الله تعالى ورسوله بالتمسك بهما معا) وأن لا يسمح لأهل البيت النبوي الشريف الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، الذين من أحبهم فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله، من أن يكون لهم أي ظهور.

فكان من أهم ماورثه أولئك النواصب، عدم السماح لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام أن يكون لهم دور أو وجود في الحياة بأي شكل من الأشكال، حتى ولو أدى ذلك إلى القتل أو السجن أو الحرق أو نهب الأموال والأعراض والحقوق، وهذا ما شهد عليه التاريخ وكل العصور التي تلت عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسنأتي على بعض التفاصيل التاريخية فيما يتعلق بظلم واضطهاد أهل البيت وشيعتهم بحسب ما يسمح به بحثنا المتواضع هذا.

لقد كانت الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واضحة الموقف في عداء أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فبالرغم من كل ما عاناه أمير المؤمنين عليه السلام من الأذى والضغائن والأحقاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الأمر كان أشد وأوسع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ولقد أشار الرسول الأكرم إلى ذلك الواقع في عشرات الروايات التي سمعها ووعاها كل المسلمين في ذلك الوقت، فهناك الأحاديث التي تأمر بمحبة أهل البيت وموالاتهم، وهناك الأحاديث التي تنهى عن بغضهم ومعاداتهم أو موالاة أعدائهم، وهناك الروايات العديدة في فضائلهم، وهناك الأحاديث التي تأمر بالموالاة والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، وتبين ما أعد الله تعالى لهم

ولشيعتهم من الثواب الجزيل، والمنازل الرفيعة، والرضوان الأكبر في الآخرة، وغيرها من الأحاديث النبوية التي تصف حجم الأذى والمعاناة والظلم والبغض والحقد والحسد، الذي سوف يتعرض له أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل البيت وشيعتهم، وهذا الكم الهائل من الأحاديث لا نستطيع استيعابه كله في هذا البحث المختصر، ولذلك فإن على كل مسلم منصف، يسعى لمرضاة ربه، وطاعة نبيه، والفوز بشفاعة الرسول وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، والنجاة من عذاب الحريق في الآخرة، عليه أن يراجع كل تلك الروايات ليتعرف على حقيقة أئمة المسلمين وأحقيتهم، وحتى يعرف المسلم الباحث عن الحق الغائب المغيب وإلى أي حد وصل الأمر بأعداء أهل البيت عليهم السلام، حيث تجاوزوا حدود الممكن في الظلم والإعتداء والإفتراء والحسد والضغينة والعنف ضد أهل البيت عليهم السلام، الذين قد أوصى الله تعالى في القرآن الكريم والرسول الكريم في الحديث الشريف، بمودتهم وحبهم وولايتهم ومتابعتهم والإقتداء بهم والإهتداء بهديهم.

فبالإضافة إلى اغتصاب حقوق أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء وأهل البيت عليهم السلام، والهجوم على بيوتهم وحرقها، والإعتداء على السيدة فاطمة الزهراء وإسقاط جنينها وضربها حتى أنها توفيت بعد أيام من الإعتداء عليها.

فلقد وصل الأمر أن عددا من الصحابة كانوا لا يطيقون ذكر اسم علي عليه السلام، ومنهم من هدده عليه السلام بالإفتراء عليه واتهامه بالسرقة من أجل أن يرضخ لرغباته ومنهم من لاحقه في رزقه وسمعته، كل ذلك كما قلنا من أجل إبعاده عن موقعيته الربانية وعزله عنها. ومخالفة محتويات ومضامين حديث الثقلين.

روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت (لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض، وكان بين العباس ورجل آخر).

قال عبيد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة: فقال لي: وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب.

روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن علي بن أبي طالب قال، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، فقال: إن لك في الجنة أحسن منها. ثم مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال: لك في الجنة أحسن منها. حتى مررنا بسبع حدائق، كل ذلك أقول: ما أحسنها، ويقول: لك في الجنة أحسن منها. فلما خلا لي الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: (ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي. قال: قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك).

ورواه في مجمع الزوائد أيضا ولكن عن ابن عباس قال: خرجت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام في حشان المدينة، فمررنا بحديقة فقال علي: ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله! فقال: حديقتك في الجنة أحسن منها. ثم أومأ بيده إلى رأسه ولحيته، ثم بكى حتى علا بكاؤه، قلت: ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

وروى الخوارزمي وابن المغازلي الشافعي والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: (يا عليّ، حربُك حربي، وسِلمك سلمي).

وروى الطبراني وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين (أنا حربٌ لمن حاربكم، وسِلم لمن سالمكم).

وعليه فإن من حارب عليا فقد حارب رسول الله، ومن حارب أهل البيت فقد حارب رسول الله، ومن حارب رسول الله فقد حارب الله، أي أن حرب علي عليه السلام هي حرب الله ورسوله، ولذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حربك حربي، تحذيرا وتنبيها للمسلمين حتى يقفوا مع الله ورسوله في الحكم على ما حصل من حروب بين علي عليه السلام وبين أعداءه، بل وحتى يدافعوا عن الحق الذي مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يحاربونه

أو يقفوا موقف المتفرج أو المستمع الذي يرفض التدخل في التفريق بين الحق والباطل، أو لا يقف مع الحق أصلا ولو على الأقل بلسانه.

قال تعالى في سورة المائدة الآيتان ٣٣ - ٣٤ ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**﴾.

معركة الناكثين أو الجمل:

ونعود إلى موضوع البحث، فقد قلنا أن أعداء أمير المؤمنين بعد أن علموا بخبر بيعته، خافوا من أن تلتقي العروة الوثقى بطرفيها الكتاب والعترة الطاهرة، فاستنفروا كل طاقاتهم، وكان أول المستنفرين معاوية بن أبي سفيان وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة، التي كانت ذاهبة من المدينة إلى مكة لأداء العمرة، فلما سمعت ببيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، أدارت جملها وحشدت المسلمين لقتل أمامهم يرافقها طلحة والزبير، مدعية أنها تطالب بدم عثمان الذي كان لها دور كبير في تأليب الناس عليه، وخرجت من بيتها مخالفة بذلك أمر الله تعالى لأمهات المؤمنين ﴿**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾.

روى القرطبي في الجامع أن عمارا قال لعائشة، إن الله قد أمرك أن تقري في منزلك، فقالت: يا أبا اليقظان، ما زلت قوالا بالحق! فقال: الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك.

فخالفت أمر الله ورسوله وخرجت على إمام زمانها ولم تبايعه، وكانت النتيجة معركة الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير ودعم أساسي من معاوية بن أبي سفيان والي الشام،

ومرت بطريقها على ماء الحوأب، التي كانت علامة تحذير من رسول الله صلى الله عليه وآله لها على الخصوص، حتى لا تكون على رأس الفتنة، لكنها أصرت على حشد المسلمين ضد إمامهم الذين أمرهم الله تعالى بولايته ومتابعته، والوفاء ببيعتهم التي عقدوها له.

روى في كنز العمال عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأزواجه: أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب؟ فلما مرت عائشة ببعض مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب عليها فسألت عنه فقيل لها: هذا ماء الحوأب، فوقفت وقالت: ما أظنني إلا راجعة، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب: قيل لها: يا أم المؤمنين! إنما تصلحين بين الناس.

روى في العواصم من القواصم قال: روى قوم أن البيعة لما تمت لعليّ استأذن طلحةُ والزبير علياً في الخروج إلى مكة. فقال لهما عليّ: لعلكما تريدان البصرة والشام. فأقسما ألا يفعلا.

وكانت عائشة بمكة. وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن.

فاجتمعوا بمكة كلهم، ومعهم مروان بن الحكم. واجتمعت بنو أمية. وحرّضوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمائة ألف درهم. وأعطى لعائشة "عسكراً" جملاً اشتراه باليمن بمائتي دينار. فأرادوا الشام، فصدّهم ابن عامر وقال: لا ميعاد لكم بمعاوية، ولي بالبصرة صنائع، ولكن إليها.

فجاءوا إلى ماء الحوأب، ونبحت كلابه، فسألت عائشة، فقيل لها: هذا ماء الحوأب. فردَّت خطامها عنه، وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، التي تنبحها كلاب الحوأب؟ فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوأب، وخمسون رجلاً إليهم وكانت أول شهادة زور دارت في الإسلام.

وخرج عليٌّ إلى الكوفة، وتعسكر الفريقان والتقوا، وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة: ما تطلبون؟ قالوا: نطلب دم عثمان.

قال: قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق.

والتقى علي والزبير، فقال له عليّ: أتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم إنك تقاتلني وأنت لي ظالم؟.

ونادى عليّ عليه السلام طلحة من بعد: ما تطلب؟ قال: دم عثمان. قال: قاتل الله أولانا بدم عثمان. ألم تسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله" وأنت أول من بايعني ونكث.

وهكذا شغلوا أمير المؤمنين بالحروب والفتن، حتى لا يتمكن من تحقيق وتطبيق الحق، وحتى لا يتمكن من إعادة دور العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله تعالى أئمة للمسلمين.

فكانت معركة الجمل بقيادة عائشة هي الفتنة الكبرى التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حذر منها عائشة وبشكل صريح، وحذر أيضا بقية المسلمين، حتى لا يكونوا في صف من يريدون فصم العروة الوثقى، وإبعاد المسلمين عن الصراط المستقيم أهل البيت عليهم السلام، وإغراق الناس في بحر الهالكين.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال، قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: (هنا الفتنة – ثلاثا – من حيث يطلع قرن الشيطان).

وروى الحاكم في المستدرك عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لعلي بن أبي طالب:

(تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين بالطرقات والنهروانات، وبالشعفات).

قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله، مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: (مع علي بن أبي طالب).

وروى في كنز العمال عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وروي في كنز العمال عن علي عليه السلام قال: أمرت بقتال ثلاثة: القاسطين، والناكثين والمارقين؛ فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان.

وروى في كنز العمال عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى منزل أم سلمة، فجاء علي عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمةّ، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي.

وسنأتي على ذكر الأنواع الثلاثة الذين أُمرَ أمير المؤمنين علي عليه السلام من الله تعالى ومن رسول الله بقتالهم، وقد صنفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان قتل الناكثين في معركة الجمل، والقاسطين الباغين في معركة صفين التي قادها معاوية وعمرو بن العاص، وأما قتال المارقين فكان في معركة النهروان ضد الخوارج.

لكن الذي يجب التذكير به هو أننا نطرح ذكر تلك المعارك من باب تذكير القارئ بمحاولات وعمليات فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وإبعاد وعزل أهل البيت عليهم السلام عن دورهم الذي جعله الله لهم من خلال الإمامة وقيادة الأمة، و كذلك تذكير القارئ العزيز بأن البحث هو في حديث الثقلين والمعاني الواقعية لجملة لن يفترقا الواردة في الحديث.

فكانت معركة الجمل هي معركة الناكثين، الذين بايعوا إمام زمانهم ثم نقضوا عهدهم ونكثوا بيعتهم، ولقد قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام على نكث بيعتهم، وأيضا على تأويل القرآن الذي كانوا يؤولونه بحسب أهوائهم وشهواتهم، هكذا كانوا يفسرون الأمور ويسخرونها لمصالحهم مع أنها تخالف أمر الله ورسوله، ففي حين أن الطاعة واجبة على المسلمين لولي أمرهم، فإنهم برروا وأولوا مخالفاتهم كما يحلوا لهم، فبدلا من طاعة إمامهم خرجوا يقاتلونه، وبدلا من الوفاء ببيعتهم التي عقدوها لإمامهم فإنهم نكثوا.

ولقد ذكَرَت الأحاديث النبوية الشريفة، أحدَ أهم ألأسباب التي قاتلهم عليها أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو بالأحرى التي أُمر علي عليه السلام من ربه ونبيه بقتالهم عليها، حيث بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حقيقة المرحلة ودقائقها وبين أيضا وجهة الحق، حتى يكون المسلمون على حذر شديد.

روى الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فانقطعت نعله، فتخلف عليٌّ يخصفها، فمشى قليلا ثم قال (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله).

فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر. قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا. ولكن خاصف النعل، يعني: عليا.

فأتيناه فبشرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ورواه في كنز العمال ومجمع الزوائد، ورواه أبو يعلى وقال رجاله رجال الصحيح.

وروى في كنز العمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله).

وليس مجال البحث هنا هو سرد تفاصيل المعركة، فمن أراد ذلك فهناك مؤلفات خاصة تبحث في ذلك، لكننا نذكر هنا فقط ما يلزم لبحثنا وترابطه مع حديث الثقلين.

معركة صفين:

وبعد أن انتهت معركة الجمل أو معركة الناكثين، التي لم تحقق أهدافها بالنسبة لأعداء أمير المؤمنين، فإنهم انتقلوا إلى مِعوَلٍ آخر من معاول فصم وفصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وذلك من خلال مقدمات ونتائج كان منها انقسام المسلمين في أغلبهم مع الفئة الباغية فئة معاوية وعمرو بن العاص ومن والاهما من الصحابة، ضد أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاسطين أي الباغين. قال تعالى ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾ .والقاسطون هم العادلون عن الحق، والحق هو أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ولقد نبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلك المعركة، وحذر المسلمين من أن يكونوا مع الفئة الباغية، خصوصا عندما قال في عشرات المناسبات (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيث دار).

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما، أن يلتزم مع فئة علي عليه السلام، وكان كثيرا ما يجعله علامة على تمييز الفئة المحقة من التي على الباطل، وإليك جملة من الأحاديث التي توضح وتبين ميزان الحق في معركة صفين.

روى البخاري في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما كثير عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ويح عمار: تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار).

وروى السيوطي عن بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عمار يزول مع الحق حيث يزول).

وروى السيوطي في الجامع الصغير وبن عساكر عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحق حيث زال، وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئا).

وروى السيوطي عن بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق). ورواه الطبراني.

روى في كنز العمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه: (يا عمار بن ياسر، إن رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس كلهم واديا غيره، فاسلك مع علي، فإنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى).

وروى في كنز العمال حديثا عن الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في رواية عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق، فقلت له: يا أبا أيوب! قد كرمك الله بصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبنزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟. تستقبل هؤلاء مرة وهؤلاء مرة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عَهدَ إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم، وعَهدَ إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم – يعني معاوية وأصحابه – وعَهدَ إلينا أن نقاتل مع علي المارقين فلم أرهم بعد. ورواه الطبراني وفي مجمع الزوائد.

والناظر المدقق في هذه الروايات، يتأكد من أحقية علي عليه السلام، فالأمر الإلهي على لسان النبي الأكرم واضح من خلال الأحاديث المذكورة أن علي مأمور بقتال الأصناف الثلاثة، وأنه على الحق ومع الحق، ومن خالفه على الباطل ومع الباطل.

وأما لمن كان عنده شك في أمير المؤمنين عليه السلام، فأنني لا أظنه يشك في الميزان الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان عمار بن ياسر كما بينت الأحاديث الصحيحة، علامة فارقة وواضحة المعالم وسهلة المنال، للتمييز بين الفئة المحقة والفئة الباغية.

معركة النهروان:

ثم جاءت المعركة الثالثة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج، وهي معركة المارقين الذين خرجوا على إمامهم وحتى أنهم رموه بالكفر وأوجبوا على أنفسهم قتاله، واعتبروا قتال أمير المؤمنين عليا عليه السلام هو الجهاد الحقيقي في سبيل الله، واعتبروا قتل أمير المؤمنين عليه السلام يفتح لهم أبواب الجنة الثمانية يدخلون إلى الجنة من أيها شاؤوا.

ولقد أخبر رسولنا الكريم الرحيم المسلمين بحقيقة أؤلئك المارقين من دين الله، وبين أوصافهم، وأخبر بأن أمير المؤمنين عليا عليه السلام هو الذي سيقتلهم وينتصر عليهم.

روى الحاكم في المستدرك عن أبي بكرة قال،قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن أقواما من أمتي أشدة ذلقة ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن المأجور من قتلهم).

وروى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجع حتى يرد السهم على فوقه، وهم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال، التحليق). والتحليق في الحديث ليس فقط معناه حلق الشعر والشارب، وإنما المقصود الإهلاك والإفساد، أن من سيماء أولئك الخوارج في كل عصر إفساد وإهلاك المسلمين وتكفيرهم وتنفيرهم من الدين ومن أحكامه وعقائده وإعطاء صورا مشوهة عن حقيقته، وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر، وأن لا يبقوا شيئا من معالم الدين حتى يذهبوا بها، وهذا واقعهم اليوم كما كان في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى السيوطي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عن ذي الخويصرة: (إن من ضئضيء هذا قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام أنه سوف يقتل أحد شياطينهم ويدعى ذو الثدية، الذي حضر في يوم من الأيام وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حضر إلى المسجد النبوي الشريف، حيث

أمر رسول الله أبا بكر وعمر بقتله، لكنهما خالفا الأمر النبوي، وبعد ذلك أرسل رسول الله أمير المؤمنين عليا ليقتل ذلك الشيطان فلم يجده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام إنك يوما لابد قاتله.

روى في مجمع الزوائد وغيره عن أنس بن مالك قال: كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، فذكرناه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه، فلم يعرفه ووصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره، إذ طلع الرجل قلنا: ها هو ذا.

فقال النبي: إنكم لتخبروني عن رجل، إن على وجهه سفعة من الشيطان. فأقبل الرجل، حتى وقف عليهم ولم يسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نشدتك بالله، هل قلت حين وقفت على المجلس، ما في القوم أحد أفضل مني؟. قال: اللهم نعم.

ثم دخل يصلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من يقتل الرجل؟.

فقال أبو بكر: أنا. فدخل عليه فوجده، قائماً يصلي فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلي، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل المصلين! فخرج، فقال رسول الله: ما فعلت؟. قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي، وقد نهيت عن قتل المصلين.

قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً وجهه فقال عمر: أبو بكر أفضل مني! فخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مه؟. قال: وجدته واضعاً وجهه فكرهت أن أقتله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من يقتل الرجل؟. فقال علي عليه السلام: أنا. فقال: أنت إن أدركته. قال: فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مه. قال: ما وجدته. قال: لو قتل ما اختلف في أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم.

قال موسى: سمعت محمد بن كعب يقول: هو الذي قتله علي، ذو الثدية. في النهروان وهو شيطان الردهة.

وبعد كل تلك المحاولات لفصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وإبعاد أهل البيت عن دورهم في الحياة والمجتمع قاموا بقتل أمير المؤمنين سلام الله تعالى عليه، فكانت المحاولة الأكثر خطرا، حيث قام المسلمون بقتل خليفتهم وإمامهم الذي بايعوه وعاهدوه على الوفاء.

ومع أن الذي نفذ عملية القتل هو بن ملجم لعنة الله عليه أشقى الآخرين. حيث قام بن ملجم لعنه الله الذي رباه عمر بن الخطب في مصر تحت ولاية عمرو بن العاص بقتل أمير المؤمنين سلام الله عليه في الكوفة في التاسع عشر من شهر رمضان في مسجد الكوفة وهو في محرابه والعجيب إن الصحابة في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانوا يعلمون بأمر قتل الإمام علي ابن أبي طالب سلام الله عليه، وكذلك اسم قاتله وأوصافه، فكيف بعد كل ذلك يقربونه ويمكنونه من الناس مدعين إنه عالم بالفقه والقرآن.

قال ابن حجر في لسان الميزان: قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر: عبد الرحمن بن ملجم المرادي احد بني مدرك، أي حي من مراد ، شهد فتح مصر واختط بها وبني بها دارا، ويقال أن عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقرب منه لأنه كان من قراء القرآن وكان فارس قومه المعدود فيهم بمصر ، وكان قرأ على معاذ بن جبل وكان من العباد، ويقال أنه كان أرسل صبيغ بن عسل إلى عمر يسال عن مشكل القرآن، وقيل إن عمر كتب إلى عمرو أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه ، فوسع له فكان داره إلى جنب دار ابن عديس وهو الذي قتل علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال السمعاني في الأنساب يقال أن عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقرب منه وقيل إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه، فوسع له مكان داره التي في الراية.

إلا أنني أستطيع أن أدعي أن المسلمين الذين خططوا وأسسوا لفصل الكتاب عن العترة الطاهرة وقالوا حسبنا كتاب الله، والذين رفضوا وصية رسول الله، والذين عملوا على الحط من شأن أهل البيت، والذين فعلوا ما فعلوا لإبعاد أهل البيت وعزلهم وظلمهم واغتصاب حقوقهم وطمس أحقيتهم، هؤلاء هم في الحقيقة الذي أوجدوا كل المبررات لقتال وقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا كان الذي نفذ سماه الله ورسوله أشقى الآخرين، فماذا يُدعى أؤلئك الذين أسسوا أساس الظلم ضد رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة وأزكى التسليم.

روى في فتح الباري شرح صحيح البخاري وغيره عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك يا علي.

وهكذا وكما لاحظت أخي المؤمن أن أمير المؤمنين عليه السلام تولى خلافة المسلمين خمس سنوات إلا قليلا، كانت كلها حروب ضده، شغله بها المسلمون حتى لا يتمكن من القيام بدوره الرئيسي في الحياة، وكما ذكرت فإن رسول الله قد تحدث عن كل تلك الحروب وعن قادتها وعن الناس الذين معها، وأخبر بأن أمير المؤمنين سوف يقاتلهم وأنه مع الحق، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدد الوصية على المسلمين بأن يكونوا في صف الفئة الحق، وأن يحذروا فئة الباطل من الناكثين والقاسطين والمارقين، لكنهم بقوا على متابعة وموالاة أشياخ قريش الذين رفضوا أمر الله ووصية رسوله وألبوا المسلمين على إمام زمانهم فكان لهم ما أرادوا.

مبايعة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

ثم بعد استشهاد أمير المؤمنين جاءت المحاولة المباشرة والفعلية والتي كان من أهم متطلبات فئة كبيرة جدا من المسلمين فيها، هو رفض دور أهل البيت عليهم السلام وبشكل صريح وعلني، وكانت أكبر عملية استثمار من قبل معاوية

وبني أمية للوضع الذي حقق ما أراد الأشياخ من قريش، الذين أورثوا معاوية أن يرفع لواء تراث البغض والحقد على أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم السلام.

فلقد جند معاوية بن أبي سفيان الذي عينه أبوبكر واليا للشام بدلا من أخيه يزيد، واستبقاه عمر بن الخطاب واليا عليها بالرغم من مخالفاته الظاهرة لأحكام الدين ومفارقته الحياة الإسلامية وتجرئه على مخالفاتها، فإن عمر الخليفة العادل كما يقولون، تركه واليا على المسلمين في الشام، ولقد شكا المؤمنون تصرفات معاوية المخالفة للإسلام وأحكامه إلى عمر بن الخطاب حتى يعزله ويريح المسلمين منه إلا أن جواب عمر كان (دعوه فإنه كسرى العرب) وبالتالي فإن معاوية قد حصل على صكوك الغفران وعلى الإذن في الإستمرار بمخالفاته دون رقيب أوحسيب.

روى بن حجر في الإصابة قال، قال البغوي حدثنا عمي عن الزبير حدثني محمد بن علي قال كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال هذا كسرى العرب.

ومع أن الله تعالى حذر المسلمين من أمثال معاوية وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن الخليفة الأول والثاني والثالث كانوا الداعمين الأساسيين لمعاوية وأمثاله.

قال تعالى في سورة إبراهيم الآية: ٢٨ ﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار**﴾.

روى البخاري في تاريخه، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه، عن عمر بن الخطاب في قوله :﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا**﴾ قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية. فأما بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر. وأما بنو أمية، فمتعوا إلى حين.

وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، وابن مردويه والحاكم وصححه من طرق، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله :﴿**ألم ترى إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا**﴾ قال: هما الأفجران من قريش،

بنو أمية وبنو المغيرة. فأما بنو المغيرة، فقطع الله دابرهم يوم بدر. وأما بنو أمية، فمتعوا إلى حين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه، أنه سئل عن ﴿**الذين بدلوا نعمة الله كفرا**﴾ قال: بنو أمية وبنو مخزوم.

وقال تعالى في سورة البقرة الآية ٢١١ ﴿**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب**﴾ .وذلك لأنهم بدلوا وجحدوا إرادة الله تعالى وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله، فنعمة الله تعالى علينا هي محمد وآل بيته عليهم السلام، وهؤلاء جحدوها وبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، فبذلك ضلوا وزلوا واستحقوا العقاب الشديد.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية ٧ ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور**﴾.

فمعاوية بن أبي سفيان وبنوا أمية هم الذين بدلوا نعمة ولاية أهل البيت عليهم السلام، وغيروا وبدلوا في عقائد الدين وأحكامه، وهذا ما سنوضحه خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ثم إنه بعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام، بايع المسلمون الإمام الحسن بن علي عليه السلام إماما وخليفة لهم، لكن معاوية بن أبي سفيان رفض الإعتراف بأحد أفراد أهل البيت، ورفض الإنضواء تحت السمع والطاعة لإمام زمانه الذي جعله الله الإمام الثاني للمسلمين من الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام.

فمعاوية الذي فعل كل ما فعل مع أمير المؤمنين علي حتى يتخلص من عودة دور أهل البيت عليهم السلام إلى معترك الحياة، وهو الآن يقف في مواجهة مع الإمام الحسن عليه السلام، فبدأ يخطط ومعه ثلة من الصحابة الذين هم على شاكلته، من أجل محو حقيقة أهل البيت مرة أخرى، وإبعادهم عن طريق تحقيق غاياته ومراميه، فجمع الجموع وجيش الجيوش وبذل الأموال للصد عن سبيل الله وصراطه المستقيم ولقتال إمام زمانه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام،

مع أنه يعلم أنه في حالة تمرده على إمام زمانه وخليفته فإن حكم الإسلام في حقه هو القتل.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما).

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سمعه يقول: (ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه أن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر). وفي رواية (فاضربوه بالسيف كائنا من كان).

هذا هو حكم الإسلام في معاوية ومن وافقه على فعله، إلا أنه استمر في مهاجمة الإمام الحسن ووجه الجيوش للعراق، فما كان من الإمام الحسن عليه السلام وحرصا على دماء المسلمين، الذين لو تواجهوا مع معاوية فأنه سوف تراق دماء الآلاف من كلا الطرفين وهذا ما لا يمكن لإمام من أهل بيت النبوة والرحمة كالإمام الحسن المجتبى أن يقبل به.

فقرر الصلح مع معاوية على أن تكون الخلافة بعد معاوية للحسن إذا كان موجودا أو للإمام الحسين، ووافق معاوية على ذلك الأمر، ثم استقل بالملك، حين سلم إليه الحسن بن علي عليهما السلام الإمرة سنة أربعين للهجرة، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمي ذلك عام الجماعة، وذلك وعلى حسب ما يدعون.

فهل كان المسلمون متفرقين عندما اجتمعت الكلمة لأهل بيت النبي؟. وهل كان أعداؤهم يعتبرون أهل البيت من عوامل التفرقة بين المسلمين؟ وهل صار أهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقال أن من ركب سفينتهم فقد نجى من الهلاك والضلال، فهل صار أهل البيت هم عامل تفرقة؟. حتى إذا قفز معاوية على الحكم واغتصب الملك، عم المسلمين السرور وصاروا يطلقون على ذلك العام عام الجماعة لأن المسلمين اجتمعت كلمتهم.

في الحقيقة لقد اجتمع المسلمون الموالون لمعاوية وعمرو بن العاص ومن معهم على معصية الله ورسوله، واجتمعوا على أن يفصموا العروة الوثقى التي

لا انفصام لها، واجتمعوا على رفض ونبذ الصراط المستقيم، واجتمعوا على اتباع الضلال وموالاته وترك الهدى. هذا هو في الحقيقة ما اجتمعوا عليه.

مع أنهم يعرفون أن حكم الله في معاوية هو القتل، لأنه خرج على إمام زمانه وتمرد عليه ورفض طاعته.

روى السيوطي قال أخرج ابن جرير، عن سهل بن سعد قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني أمية وبني الحكم ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأنزل الله ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة، وأنزل الله في ذلك ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة**﴾ يعني الحكم وولده.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أريت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك: فأنزل الله ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾.

ثم بعد أن تم لمعاوية ما أراد، سار الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنورة، واستشهد فيها سنة ٥٠ مسموما، دس له معاوية بن أبي سفيان السم حتى يتخلص منه.

بعض ما فعل معاوية ضد أهل البيت عليهم السلام:

بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، تربع معاوية بن أبي سفيان على سدة الحكم، وبدأ منذ يومه الأول في استكمال مخططات فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، بل اتخذت الإنحرافات في عهده منحى جديدا أكثر خطورة على الإسلام

عموما وعلى أهل البيت خصوصا، فلقد أعلن الحرب صراحة وبشكل لم يسبق له مثيل ضد أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

فبعد أن قام بدعم الحركات والحروب ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن دس السم للإمام الحسن عليه السلام، بدأ بتبني سياسات أوسع وأعمق ضد العترة الطاهرة، وهي كما قلنا استكمالا لما أَسَسَ له أشياخ قريش، الذين مهدوا الطريق وجعلوها سهلة ميسورة من أجل أن ينفذ معاوية الأدوار النهائية للقضاء التام على أهل البيت وأشياعهم، وعزلهم عن دورهم.

ولقد نجح معاوية بن أبي سفيان في الدور الذي تبناه نجاحا منقطع النظير، لأسباب عديدة، منها سياسة التجهيل التي فرضها الأوائل على المسلمين، ومنها نسيان وتناسي موقعية أهل البيت عليهم السلام كما فرضها الله تعالى، ومنها نسيان المسلمين السنة النبوية الشريفة، بسبب المنع الصارم من تدوينها بل والمعاقبة على ذلك، ومنها الحط من شأن أهل البيت عليهم السلام، وفصلهم عن الحياة واستبدالهم بشخصيات لم يجعل الله لها شأنا، تلك الشخصيات التي استغل معاوية وجود العديد منها معه حيث اتخذهم من بطانته، وجعل عليهم هالة كبيرة من القدسية، حتى إذا ما قالوا شيئا أو وضعوا حديثا نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كانت الآذان لهم صاغية والطاعة لما يقولون واجبه، والتشكيك بما يقولون جريمة كبرى.

ومن سياسات معاوية أيضا تكميم الأفواه، وبذل الأموال والعطايا والهدايا من أجل شراء الذمم، وغير ذلك من الغايات التي تحقق له ولجماعته ما يريد، ومن أجل رفع شأنه وشأن من والاه، ومن أجل أن يلتف ذوي الأهواء والشهوات من محبي الدنيا حوله ومن أجل تأييد ودعم كل غاياته ومخططاته.

ولا أريد في هذا المقام سرد مرحلة معاوية بن أبي سفيان بتفاصيلها، فهناك ما جمعه علماؤنا الأجلاء موجود في مؤلفات عديدة تبحث المرحلة بدقة، ولكنني سوف أذكر بعض ما قام به معاوية ضد أهل البيت عليهم السلام من أجل تغيير الإرادة الإلهية التي جعلت لأهل البيت عليهم السلام ذلك الدور الأساسي المقترن بالكتاب والذي لن ينفصل أبدا ولن يفترق ولن يتفرق أبدا.

ولكن معاوية ذلك التلميذ المجتهد والمطيع لأشياخه قرر أن يتحدى الإرادة الإلهية ويعلن الحرب ضدها، فبدأت مرحلة من أخطر المراحل في تأريخ الإسلام وانقسم الناس إلى قسمين.

الأول: الذي بقي متمسكا بما أمر الله تعالى بالتمسك به، والذين صمدوا أمام كل تأثيرات حرب معاوية، صمدوا وثبتوا على إيمانهم والتزامهم وطاعتهم لله ولرسوله، لا يحيدون عن ذلك قيد أنملة ولو كلفهم ذلك أرواحهم وأموالهم، هذا القسم من المسلمين الذين أوفوا بما عاهدوا الله عليه هم الذين سماهم الله ورسوله بالمؤمنين، الذين اتبعوا الرسول وشايعوا عليا عليه السلام فسماهم الله ورسوله بأسماء كثيرة وجليلة، منها أنهم هم المؤمنون وأهمها أنهم خير البرية، وأنهم سيقدمون على الله تعالى راضين مرضيين.

روى السيوطي في الدر المنثور قال، أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال، لما نزلت ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله :﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب، تُدعون غرا محجلين.

وروى السيوطي وبن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾، فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

وأما القسم الثاني: وهم معاوية بن أبي سفيان ومن تبعه ووالاه على تغيير الإرادة الإلهية، والذين أطلقوا على أنفسهم أهل السنة والجماعة، الذين قادوا المسلمين في زمنهم وحتى يومنا هذا إلى الإنحراف الكبير والخطير عن خط

الهداية، والتزموا خط الضلال وقادوا المسلمين في هذا الخط وأغرقوهم في بحر الهالكين حتى يومنا هذا، بل أنهم جعلوا الشرعية المطلقة لخطهم وفرضوها على المسلمين، فصاروا يحكمون على خطهم الذي هو خط الضلال بأنه هو خط أهل الملة وما سواه باطل، مع أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة قد بينت خط الهدى وميزته تمييزا واضحا عن خط الضلال، وهو ما أكد عليه الحديث الشريف الذي نحن بصدد شرحه ألا وهو حديث الثقلين، وكذلك حديث السفينة حيث يقول صلى الله عليه وآله (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك)، وغيرها من الأحاديث التي مر ذكر كثير منها في هذا البحث.

سب ولعن أمير المؤمنين بأمر معاوية:

إن من الأعمال الخطيرة التي قام بها معاوية في عهده، ونشرها في بلاد المسلمين، هي إعلان لعن وسب وشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث اتخذ المسلمون ذلك سنة متبعة واجبة، يطبقونها في حياتهم وفي خطبهم من على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. حتى صار اللعن والشتم سنة مفروضة وعادة متبعة استمرت أكثر من سبعين عاما، حتى إذا ما نسي أحد الخطباء سب ولعن أمير المؤمنين في خطبته، فإن الحاضرين في المسجد يبدؤون بالصراخ عليه لقد نسيت السنة أي سنة لعن وسب أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن المهم أن يعرف المسلمون أن تسمية خط معاوية بن أبي سفيان بأهل السنة والجماعة، أن السنة هي سنة لعن وسب وشتم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الجماعة فهو اسم أطلقوه على أنفسهم بعدما رفضوا أن يكونوا تحت راية أهل البيت عليهم السلام وبعد أن تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الحكم، فأطلقوا على ذلك العام الذي أقصوا فيه أهل البيت ورفضوا طاعتهم، أطلقوا عليه تسمية عام الجماعة، فهم إذن أهل سنة شتم ولعن وسب علي بن أبي طالب علبه السلام وأهل الجماعة التي اتفقت على

إقصاء وإبعاد وعزل أهل البيت عليهم السلام عن أي دور لهم في الحياة والمجتمع.

وقد افتخر المسلمون كثيرا وما زالوا بتلك التسمية ويعتبرون كل من يحملها ويدخل تحت مضامينها من الفرقة الناجية، وأما من يخالفهم فهو من الفرقة الضالة.

فهل نسي المسلمون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الموجود في صحيح البخاري وغيره من الصحاح عندما قال لعمار (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يتحدي الإرادة الإلهية والأمر الإلهي ويعمل على فصم الكتاب عن العترة الطاهرة العروة الوثقى التي لا انفصام لها والتي لن تفترق ولن تتفرق؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يشتم ويلعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي من سبه فقد سب الله تعالى؟.

وهل يكون المسلم من الفرقة الناجية عندما يخالف أمر الله ورسوله ويرفض التمسك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام معا، الذي إن تمسك بهما فإنه لن يضل أبدا، وإذا تركهما أو ترك أحدهما فإنه قطعا من الضالين؟.

لقد كان ذلك اللعن والشتم لعلي عليه السلام على مسمع ومرأى كل المسلمين، وكانت تصدر الأوامر من معاوية بن أبي سفيان بتأييد من عدد كبير من الصحابة الذي كانوا من بطانته، مع أنهم كلهم سمعوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي تحذر من سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسأذكر بعض الروايات التي تؤكد هذا المعنى وأيضا بعض الحوادث التي تؤكد حصول ذلك الأمر الخطير والمشين في زمن معاوية من قبل المسلمين، بل وربما كان يحصل السب والشتم واللعن لعلي عليه السلام قبل مرحلة معاوية بكثير.

روى مسلم وغيره عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال) أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟. فقال: أما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلن أسبه. لأن

تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ..... الحديث). وفي رواية الحاكم (ما منعك أن تسب ابن أبي طالب).

لاحظوا الروايات فإن معاوية كان يأمر الناس أن يسبوا أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الحديث يأمر معاوية سعدا الصحابي بأن يسب أمير المؤمنين، وهنا دلالة واضحة على أن سب ولعن أمير المؤمنين عليه السلام كان أمرا طبيعيا وكان منتشرا على نطاق واسع، وبدلا من أن يستنكر الناس السب واللعن، فإن معاوية في الحديث المذكور يستنكر عدم استجابة سعد بن أبي وقاص لأمر معاوية.

وروى الحاكم في المستدرك أن المغيرة بن شعبة سب علي بن أبي طالب، فقام إليه زيد بن أرقم. فقال: يا مغيرة، ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن سب الأموات، فلم تسب عليا وقد مات؟.

هذه الرواية تبين أن الصحابة الذين التفوا حول معاوية، كانوا على رأس المعلنين لسب وشتم ولعن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لا يستطيع أن ينكر عليهم ذلك إلا المنتجبون من الصحابة والناس الذين كانوا يوالون أمير المؤمنين، وإليك أخي المسلم المنصف الرواية التالية.

فقد روى في مجمع الزوائد عن أبي بكر بن خالد بن عرفطة، أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغني أنكم تعرضون علي سب علي بن أبي طالب بالكوفة، فهل سببته؟ قال: معاذ الله، والذي نفس سعد بيده لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي شيئاً لو وضع المنشار على مفرقي ما سببته أبداً. ورواه أبويعلى وغيره.

تبين الرواية كيف كان زبانية معاوية يعرضون على الناس سب وشتم أمير المؤمنين، وأن من يعلم فضائل أمير المؤمنين وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فإنه لا يجرؤ على التلفظ بها، كما في الحديث السابق وكما في الحديث الذي قبله عندما قال زيد بن أرقم للمغيرة بن شعبة إن الرجل قد مات فهلا كففت عن سب الأموات.

وروى الحاكم عن أنس قال: (دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس: اسكت عن سب علي....).

وروى أحمد في المسند عن عبد الله بن ظالم المازني قال) لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي....).

وروى الطبري في التاريخ أن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين وأمّره عليها دعاه وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة (لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم.(

وروى الحاكم في المستدرك والهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سلمة: يا أبا عبد الله! أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم ثم لا تغيرون؟ قلت: ومن يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: يسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه. وفي روايات أخرى أن أم سلمة قالت (أيسب رسول الله فيكم على المنابر؟.).

وروى أحمد في مسنده عن عطاء بن يسار قال: جاء رجل فوقع في علي وفي عمار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة، فقالت أما علي فلست قائلة لك فيه شيئا، وأما عمار فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يخير بين أمرين إلا اختار أرشدهما.

وروى الحاكم في المستدرك والسيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي مليكة قال: جاء رجل من أهل الشام، فسب عليا رضي الله عنه عند ابن عباس رضي الله عنهما، فحصبه ابن عباس رضي الله عنهما وقال: يا عدو الله آذيت رسول الله ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾.

وروى أحمد والحاكم وغيرهما كثير عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس عند ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا ابن عباس، إما أن تقوم معنا، وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء. قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم. قال: وهو

يومئذ صحيح، قبل أن يعمى. قال: فابتدؤوا، فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا. قال: فجاء ينفض ثوبه، ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل، له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره ..... الحديث). وفي رواية الطبراني قال (فرجع ينفض ثوبه ويقول أف أف وقعوا في رجل قيل فيه ما أقول لكم ألآن وقعوا في علي بن أبي طالب وقد قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ..... الحديث).

هذا بعض ما أفصحت عنه الروايات في سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما تركته هو أضعاف ما ذكرت.

وأما بالنسبة للأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي يحذر فيها من سب علي عليه السلام وأن من سب عليا فقد سب الله ورسوله، فإليك بعضا منها.

فقد روى أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والسيوطي في الجامع الصغير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله).

وروى الحاكم في المستدرك عن أبي عبد الله الجدلي قال، حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي.

فأجابها رجل، جلف، جاف: لبيك يا أمتاه. قالت، يسب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ناديكم. قال: وأنى ذلك؟. قالت: فعلي بن أبي طالب. قال: إنا لنقول أشياء، نريد عرض الدنيا. قالت: فإني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله تعالى).

وروى الشبلنجي الشافعي في نور الأبصار وابن المغازلي في المناقب وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة وغيرهم كثير أن النبي صلى الله عليه وآله قال (من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار).

ثم لم يكتف معاوية بفرض اللعن والسب ضد أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، بل إنه أصدر مرسوما ونشره في كافة أمصار الدولة

الأموية، ويتضمن ذلك المرسوم عدة إجراءات من خلال عدة مراحل، كلها من أجل القضاء على أهل البيت وشيعتهم.

وقبل ذكر تفاصيل ذلك المرسوم أي كتاب معاوية إلى أمصار الدولة، الذي فَرض على المسلمين توجهات جديدة كأنها دين جديد.

فإنني أشدد على أن ذلك الكتاب هو الذي غير مسار حياة المسلمين، وكان بمثابة الضربة القاضية للعقيدة الإسلامية وأحكامها، كما ويجب على كل مسلم أن يعرف أن غالبية أهل السنة والجماعة يُحَكِمونَ ذلك الكتاب والآثار الخطيرة التي انبثقت عنه وترتبت عليه في كل نواحي حياتهم، وإن أغلب ما يستندون إليه من قوانين وتشريعات ومصادر، كانت وما زالت بحسب ذلك الكتاب وما انبثق عنه.

فقد كان الضمان الأكيد لانحراف الأمة الإسلامية عن الخط الإلهي الصحيح، وكان الضمان الأكيد لإبعاد المسلمين عن أهل البيت عليهم السلام، وكان أيضا الضمان الأكيد لفرض شخصيات بدل أهل البيت والأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام، حتى تكون مصدرا شرعيا يستلهم منه المسلمون كافة تشريعاتهم وقوانينهم.

ويستطيع كل منصف صاحب عقل سليم أن يتيقن من ذلك بمجرد نظرة سريعة لصحيح البخاري مثلا، ويقارن عدد روايات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي عاش الإسلام منذ نعومة أظفاره وعايش الوحي منذ بداية تنزله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى آخر لحظات الوحي في حياة رسول الله.

قارن أخي المسلم بين عدد ما يروون عنه عليه السلام، مع روايات أبي هريرة مثلا الذي أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بسنة ونصف على الأكثر، فبالمقارنة تجد أن هناك أمرا لا يقبله المنطق ولا العقل السليم النبيه، فأين قضى أمير المؤمنين علي عليه السلام عمره، وهو الذي قال عنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه باب مدينة العلم، وأنه يبين للمسلمين ما يختلفون فيه بعد رسول الله، وهو الذي قال له رسول الله يا علي بك يهتدي

المهتدون من بعدي، فأين دوره عليه السلام عند معاوية وأتباعه؟. وأين أثر ذلك الكم الهائل من الأحاديث النبوية الشريفة التي توجه المسلمين لولاية أهل البيت وإتباعهم والإقتداء بهديهم؟. لماذا لم يتمسك معاوية وأتباعه بضمانة عدم الضلال والسير على خط الهدى حتى الجنة؟. أين حديث الثقلين وأثره السلوكي في حياة أهل السنة والجماعة؟. أين التمسك بالآيات القرآنية التي تبين موقعية أهل البيت في الحياة الإيمانية؟. أين حديث الولاية وحديث الطير وحديث السفينة وحديث الدار وحديث المنزلة وحديث بيعة الغدير وحديث الأئمة بعدي إثنى عشر كلهم من بني هاشم؟. بماذا يفسر علماء أهل السنة والجماعة ذلك الكم الهائل من الأحاديث في حق أهل البيت عليهم السلام؟. وهل كانت تلك الآلاف المؤلفة من الأحاديث كلاما عاديا وهباءً منثورا، أم أنها كانت كلام من لا ينطق عن الهوى؟. أين أحاديث فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة رسول الله وسيدة نساء العالمين؟. أين أحاديث وعلم ريحانتي رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين اللذين قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا؟. فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يهذي وحاشاه من ذلك عندما كان يأمر المسلمين بولاية أهل البيت؟. وهل كان أبو هريرة مثلا أحرص من علي عليه السلام على دين الله حتى يقال عنه أنه راوية الإسلام؟. وهل نسي رسول الله وعلي عليهما الصلاة والسلام ولم ينس أبو هريرة؟.

إنني لو أترك للقلم تعداد الأسئلة لما توقف عن ذلك، ولكنني أستطيع أن أختزل جواب كل تلك الأسئلة بجواب واحد، وهو كتاب معاوية إلى الأمصار، وهدفه الرئيسي استكمال عملية فصم الكتاب عن العترة الطاهرة، واستكمال عملية رفع شعار حسبنا كتاب الله التي أسس لها الأوائل من أشياخ قريش من أجل عزل وطمس دور أهل البيت عليهم السلام، أو بالأحرى تحدي الإرادة الإلهية ورفضها والتمرد عليها واستبدالها بإرادة قرشية ذات أبعاد وتوجهات معادية لله ولرسوله ولأهل البيت وشيعتهم، ويا ليتهم صدقوا بتطبيق شعار حسبنا كتاب الله فإنهم رفعوه ليموهوا على الأمة ويضللوها.

ذلك أن الذين رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، لم يطبقوا مقولتهم تلك التي رفعوها وانطلت على أغلب المسلمين، بل إنهم تركوا كل الآيات في كتاب الله التي تأمر بطاعة رسول الله، وكل الآيات التي تحذر من مخالفته صلى الله عليه وآله، وتلك التي تبين أن ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وكذلك الآيات التي تبين أنه لا ينطق عن الهوى، وأن كلامه صلى الله عليه وآله وحي من الله، والآيات التي تشير إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله تعالى، وأنه إذا قضى الله ورسوله أمرا فإن ذلك يوجب عليهم عدم التردد والسمع والطاعة والإستسلام لأمر الله ورسوله.

وهكذا استمرت مخالفة الكتاب، وعدم السمع والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله، واستمرت عملية التخطيط والتطبيق منذ العصر الأول، من أجل إزاحة دور أهل البيت عليهم السلام، وعزلهم تماما عن كل نواحي الحياة، ونجحوا في ذلك، ومهدوا وأسسوا لدور معاوية بن أبي سفيان، الذي حكم أمة نسيت قيمها ومبادئها، وضيعت أغلب ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى الصلاة قد ضيعوها كما ذكرنا في البحث عن عدد من الصحابة الذين شهدوا بذلك، فكانت الفرصة مهيأة لمعاوية بن أبي سفيان حتى يصدر كتابه إلى الأمصار بكل سهولة ويسر، ويجد المسلمين كلهم آذان صاغية لأمره.

كتاب معاوية الذي غير الدين:

وإليك كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى ولاته وعماله على بلاد المسلمين، وفي محتوياته الأوامر بأخطر عمليات تحريف الدين، والنهج القويم، وللتفريق بين طرفي العروة الوثقى، وتحدي الإرادة الإلهية.

روى بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال روى المدائني قال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب - يعني الإمام علي وأهل بيته - أي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

فقام الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون عليا ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءا حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق، أن لا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته عليهم السلام شهادة، وأن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة، إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حينا.

وكتب معاوية إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين (أبي بكر وعمر)، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب (الإمام علي عليه السلام) وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضائله.

قرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ولا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك

على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، نكلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه.

ونتيجة لكتاب معاوية ظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين، الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها ... انتهى.

إنني أعتقد جازما أن هذا الكتاب الخطير يفصح عن نفسه لكل مسلم منصف عاقل، فمن مجرد دراسة سطحية لتفاصيله، وبما يحمله من قواعد أساسية وانحرافات، وما يحتويه من تأسيس لمرحلة الضلال، يتبين بشكل لا يدع مجالا للشك أن عملية نسف قواعد الدين ووضع قواعد جديدة له، قد بدأت بعد أن لقي ذلك الكتاب قبولا واسعا عند المسلمين وبعد أن وجد تطبيقا دقيقا من قبلهم.

فقد بدأ بمرحلة السب والشتم واللعن لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى إذا انتشر ذلك وشاع، فإنه بعد ذلك لا يمكن للمسلمين أن يعتقدوا بموقعية إمامهم ودوره

الأساسي في تبيان أحكام الإسلام الصحيحة النقية الصافية، ومن الذي يجرؤ على مخالفة أمر الخليفة، الذي أعطى لنفسه قدسية بين الناس وكأنه نائب عن الله في إدارة شؤون الأرض والناس.

ثم إن في سب وشتم الإمام علي عليه السلام، تجرؤ وتطاول على الذات الإلهية وذلك حسب ما ورد في الأحاديث، فإذا صار الأمر طبيعيا بين الناس، بحيث يتقبله الآمر والشاتم والمستمع برحابة صدر وعن رضى وإقرار، فإنه بعد ذلك يسهل على الآمر وهو معاوية أن يفرض من القواعد والأسس ما شاء، لترسيخ إنهاء دور أهل البيت عليهم السلام نهائيا من الحياة، بل ومن قلوب الناس ومشاعرهم، بل وأكثر من ذلك، حيث صار أهل البيت وشيعتهم هم أعداء الدين والأمة الذين يجب على المسلمين مجاهدتهم وملاحقتهم وقتلهم وتعذيبهم ويستحلون دماءهم وأموالهم وحقوقهم، وهذا ما أتاح كل الفرص لمعاوية وبطانته لبلوغ أبعد مدى في محاربة الدين وأهل البيت عليهم السلام، وفرض دين جديد للناس لا زال المسلمون وحتى اليوم يتعبدون الله تعالى به، معتقدين أن رضى الله تعالى يكون من خلال تطبيقه ومتابعته.

ولست أبالغ فيما أقول فإنه يكفي المسلمين من آثار كتاب معاوية وجود وضاعي الحديث النبوي الشريف، الذين أنشأ معاوية لهم جهازا خاصا في دولته، يشبه المطابخ السياسية في أيامنا هذه، حيث كانوا يضعون الروايات بما يشاء الحكام وبما تشاء أهواؤهم ونفوسهم المريضة، وبحسب ما تقتضيه السياسة، وينسبون ذلك للنبي كذبا وزورا وبهتانا، فيتمسك المسلم بذلك الحديث الذي صُمِمَ خصيصا لإبعاد الناس عن ولاية أهل البيت أو موالاة أعدائهم، أو تحليل حرام أوتحريم حلال، أو بفرض فضائل لأناس كانوا من أشد الأعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو بتكفير شخصيات كان لها الدور البارز والكبير في حماية الدعوة الإسلامية وصيانة الدين، أو تبرير أفعال مشينة فعلها الحاكم مخالفا بذلك النصوص الشرعية القطعية، أو بوضع أحاديث تطعن في عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، أو تبين أنه كان يسهو أو يجتهد فيخطئ ويصيب، أو بتحريف

أسباب النزول لآيات معينة كانت قد نزلت في أهل البيت عليهم السلام، أو بإلصاق أفعال قد فعلها الحاكم ومن أجل تبرير فعله ينسبون فعلها لرسول الله صلى الله عليه وآله، وغير ذلك من الأسباب والغايات التي تخدم مخططات معاوية وأشياخ قريش الذين أسسوا لمعاوية بن أبي سفيان للوصول إلى هذه المرحلة الخطيرة من التغيير والتبديل في الدين وقواعده وعقائده وأحكامه.

مخالفات معاوية لأحكام الدين بغضا لعلي:

وبتوجيه الناس ضد أهل البيت عليهم السلام، عمل معاوية على إخفاء كل مخازيه وعيوبه ومخالفاته لأحكام الله ورسوله، ووضع له الوضاعون بدلا منها فضائل على شكل أحاديث نسبوها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الله تعالى لابد وأن يقيم الحجة دائما حتى يتميز الخبيث من الطيب، فقد روت صحاح ومسانيد أهل السنة العشرات من مخالفات معاوية وفسقه ومجونه، تلك الروايات التي طالما أخفاها العلماء عن المسلمين دفاعا عن معاوية حتى تبقى صورته لامعة براقة أمام الناس، وإليك بعض الحقائق على سبيل المثال وليس الحصر.

فقد روى أحمد في المسند عن عبد الله بن بريدة قال (دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وأخرج بن عساكر في تاريخه من طريق عمير بن رفاعة قال (مر على عبادة بن الصامت وهو في الشام قطارة تحمل الخمر فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل لا، بل: خمر تباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها وأبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة يقول له: أما تمسك عنا أخاك عبادة؟ أما بالغدوات فيغدوا إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا أو عيبنا، فأمسك

عنا أخاك، فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة فقال له: يا عبادة! مالك ولمعاوية؟ ذره وما حمل، فإن الله يقول: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم. قال: يا أبا هريرة؟ لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة، فهذه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بايعناه عليها فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الله له بما بايع عليه نبيه. فلم يكلمه أبو هريرة بشيء)..

أخرج ابن عساكر في تاريخه، وابن سفيان في مسنده، وابن قانع وابن مندة من طريق محمد بن كعب القرظي قال (غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان، ومعاوية أمير على الشام فمرت به روايا خمر لمعاوية، فقام إليها برمحه فبقر كل راوية منها فناوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية فقال: دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرا، و أحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبقرن بطنه أو لأموتن دونه). ورواه بن حجر في الإصابة وبن الأثير في أسد الغابة.

وروى بن ماجة وبن حبان وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (شارب الخمر كعابد وثن. وفي لفظ: مدمن خمر كعابد وثن).

وأخرج مالك والنسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار: أن معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا إلا مثلا بمثل. فقال معاوية: ما أرى بهذا بأسا فقال له أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها).

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه).

روى أحمد والطبراني عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجا، قدمنا معه مكة قال: فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة، قال: وكان عثمان حين أتم الصلاة فإذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخر أربعا أربعا، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة، فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة، فلما صلى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان ابن الحكم وعمرو بن عثمان فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به، فقال لهما: وما ذاك؟ قال: فقالا له: ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة، قال: فقال لهما: ويحكما و هل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أبي بكر، قالا: فإن ابن عمك قد أتمها وإن خلافك إياه له عيب، قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا.

قال الأميني في كتاب من حياة معاوية تعليقا على هذا الحديث (أنظر إلى مبلغ هؤلاء الرجال أبناء بيت أمية من الدين، ولعبهم بطقوس الإسلام، وجرأتهم على الله وتغيير سنته، وإحداثهم في الصلاة، وهي أفضل ما بنيت عليه البيضاء الحنيفية، وانظر إلى ابن هند، حلف الخمر والربا، كيف يترك ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجد هو عمله عليه، ووافقه هو مع أبي بكر وعمر، ثم يعدل عنه لمحض أن ابن عمه غير حكم الشريعة فيه، وأن مروان بن الحكم طريد رسول الله وابن طريده، الوزغ ابن الوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان النبي العظيم، وصاحبه عمرو بن عثمان ما راقهما إتباعه السنة، فاستهان مخالفتها دون أن يعيب ابن عمه بعمله، فأحيى أحدوثة ذي قرباه، وأمات سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، غير مكترث لما سمعته أذن الدنيا عن ابن عمر: الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر فزه به من خليفة للمسلمين وألف زه).

وروى الشافعي في كتاب الأم من طريق الزهري قال (لم يؤذن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدين حتى أحدث ذلك معاوية بالشام فأحدثه الحجاج بالمدينة حين أمر عليها).

وفي المحلى لابن حزم قال (أحدث بنو أمية تأخير الخروج إلى العيد وتقديم الخطبة قبل الصلاة والأذان والإقامة).

وروى في مروج الذهب (أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه وبره وأحسن إليه وقال له: أبلغ عليا أني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل. ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: أن عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير).

وروى الشافعي في كتابه الأم من طريق أنس بن مالك قال (صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين من كل مكان: يا معاوية؟ أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن وكبر حين يهوي ساجدا).

وذكر الطحاوي (إن بني أمية كانوا يتركون التكبير في الخفض دون الرفع، وما هذه بأول سنة تركوها).

وروى النسائي في سننه، والبيهقي في السنن الكبرى، عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد! مالي لا أسمع الناس يلبون؟ فقلت: يخافون معاوية. فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم أنف معاوية، اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي.

وقال السندي في تعليق سنن النسائي: (من بغض علي) أي لأجل بغضه، أي وهو كان يتقيد بالسنن فهؤلاء تركوها بغضا له.

وروى الطبري وكنز العمال عن ابن عباس قال (لعن الله فلانا إنه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم يعني يوم عرفة، لأن عليا كان يلبي فيه).

وروى أبو داود في سننه قال (وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو بن الأسود ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فرجع المقدام فقال له معاوية أتراها مصيبة؟ فقال: ولم لا أراها مصيبة؟ وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجره فقال: هذا مني وحسين من علي.

فقال الأسدي: جمرة أطفأها الله عز وجل قال فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك وأسمعك ما تكره، ثم قال: يا معاوية! إن أنا صدقت فصدقني. وإن أنا كذبت فكذبني، قال: أفعل. قال فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم. قال: فأنشدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن لبس الذهب؟ قال نعم. قال: فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية! فقال معاوية: قد علمت أني لن أنجو منك يا مقدام!).

هذه بعض المخالفات العلنية قام بها معاوية أمام كل الناس دون أن يخشى من أحد، ولقد تبين من عدد كبير من الروايات، أن معاوية كان يقوم بممارسة وتطبيق تلك المخالفات ويدعوا إليها ليخالف أمير المؤمنين عليا عليه السلام الذي كان المثل الأعلى في الإلتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد كان معاوية يعلن صراحة أن كل ما يظهر من علي وأتباعه فخالفوه، ومن ينظر في كتب الفقه والفقه المقارن، يتبين له بوضوح أن الأحكام والسنن التي طبقها أمير المؤمنين عليه السلام متبعا بذلك أمر الله تعالى وأمر رسوله بتفصيله الكامل، كان معاوية ومن أسس له يخالفون ذلك ويطبقون عكسه تماما، ويعلنون مخالفة ذلك صراحة، فكما مر في رواية سابقة تجد أن معاوية ترك التلبية بغضا لعلي عليه السلام.

فتغيرت الأحكام والعقائد والسنن بما يخالف أمر الله وأمر رسوله ولا يرضيه تعالى، واستبدلت بما يرضي معاوية وأشياخه ومن والاه حقدا وبغضا لعلي وأهل البيت عليهم السلام، وكأن الدين والشرع ليس من الله تعالى، حتى أن الذين جاؤوا بعد معاوية من علمائهم، يرفضون كل الأحكام التي ظهرت وتميز بها مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويعلنون رفضها ويغيرونها حتى وإن كانت بما يأمر به الشارع المقدس.

وإليك بعض صور تغيير الأحكام والتي خالفها العلماء، الذين ساروا على خطى معاوية، وأعلنوا مخالفتهم لها لأن أهل البيت وشيعتهم طبقوها.

فمنها حذف بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وغيرها من سور القرآن الكريم في الصلاة، وذلك أن معاوية هو الذي فعل ذلك بالرغم من الأدلة العقلية والنقلية المتضافرة والتي تدل على أن البسملة آية من الفاتحة.

وكذلك تغيير أفعال الوضوء بما يخالف القرآن الكريم حيث فرض الغسل بدل المسح الذي أمر الله تعالى به وفعله رسول الله وعشرات الصحابة ولأن الإمام

علي عليه السلام وأهل البيت التزموا بهذا الأمر الإلهي فقد خالف أتباع معاوية ويزيد ذلك، حسدا وبغضا لعلي وأهل البيت عليهم السلام.

وكذلك الكثير من أحكام الصلاة تغير، وحذف من الأذان جملة حي على خير العمل لأنها صارت شعارا لعلي عليه السلام وشيعته.

وتغيرت أحكام الصوم من ناحية توقيت الإفطار لأن أهل البيت عليهم السلام وحسب القرآن الكريم يتمون الصيام إلى الليل، فخالفهم أتباع معاوية في ذلك، وكذلك بالنسبة إلى مواقيت الصلاة، والكثير من أحكام الحج وأنواعه كلها تغيرت حسدا وبغضا لعلي عليه السلام.

وعلى هذا سار من جاء بعد فترة معاوية ويزيد فإنهم اتبعوا تلك السياسة في كل نواحي الحياة، فكانوا يغيرون ماهو ثابت في السنة الشريفة لأن عليا وأهل البيت وشيعتهم يطبقون ذلك الثابت من سنة رسول الله وشريعة رب العالمين حسدا وبغضا لأهل البيت وأتباعهم.

اتباع العلماء سنة تغيير الأحكام بغضا لعلي:

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة المطبوع بهامش الميزان للشعراني ١: ٨٨، قال (السنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي. وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: التسنيم أولى لأن التسطيح صار شعارا للشيعة).

وقال الغزالي والماوردي (إن تسطيح القبور هو المشروع لكن لما جعلته الرافضة _ أي أتباع مدرسة أهل البيت_ شعارا لهم عدلنا عنه إلى التسنيم).

وقال مصنف الهداية من الحنفية (إن المشروع التختم في اليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار).

وأول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية كما في ربيع الأبرار للزمخشري.

وقال الحافظ العراقي في بيان كيفية إسدال طرف العمامة (فهل المشروع إرخاؤه من الجانب الأيسر كما هو المعتاد أو الأيمن لشرفه؟. لم أر ما يدل على تعيين الأيمن إلا في حديث ضعيف عند الطبراني، وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثم يردها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم، إلا أنه صار شعارا للإمامية، فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم. شرح المواهب للزرقاني ٥: ١٣.

وقال الزمخشري في تفسيره ٢: ٤٣٩ (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: هو الذي يصلي عليكم. وقوله تعالى: وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم. وقوله صلى الله عليه وسلم: أللهم صل على آل أبي أوفى. ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو: إنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه، لأن ذلك شعار لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم).

وقال ابن تيمية في منهاجه ٢: ١٤٣ عند بيان التشبه بالروافض (ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم، فإنه وإن لم يكن الترك واجبا لذلك لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الرافضي، و مصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب).

وقال ابن حجر في فتح الباري ١١: ١٤٢: تنبيه (اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل: يشرع مطلقا. وقيل: بل تبعا ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة. ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني).

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان ٤: ١٤٢ (قال في عقد الدرر واللئالئ: المستحب في ذلك اليوم – يعني يوم عاشوراء – فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرهما، ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعة والروافض والخوارج أيضا. يعني لا يجعل

ذلك اليوم يوم عيد أو يوم مأتم، فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للإكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح، فإن ترك السنة سنة إذا كان شعارا لأهل البدعة كالتختم باليمين فإنه في الأصل سنة لكنه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في شرح القهستاني.(

ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضي الله عنه، فقد تشبه بالروافض، خصوصا إذا كان بألفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين.

وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه بالروافض.

ثم إنه لما جاء عصر تدوين الحديث، كان من أهم شروط الراوي أن يكون من أتباع ومؤيدي معاوية وأشياخه وسياساته، وأن يكون مبغضا للإمام علي عليه السلام، وكذلك اشترطوا في راوي الحديث أن لا يكون من محبي الإمام علي عليه السلام وأن لا يكون من أتباعه عليه السلام. ومن أراد معرفة أحوال الرجال وشروط قبولهم أو رفضهم بحسب حبهم أو بغضهم لأمير المؤمنين عليه السلام، فليراجع كتابنا سبيل المستبصرين تحت بحث اغتيال السنة النبوية، وليراجع أيضا كتب علم الرجال وأحوالهم عند أهل السنة يجد حقيقة شروط قبول الراوي أو رفضه أنها كانت ولا زالت بحسب حب أو بغض أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

فما الذي تحقق نتيجة لهذه الشروط؟.

إن الذي تحقق من ذلك، أن دونت السنة بعد القرن الثاني للهجرة أي بعد انقطاع كبير فيما بين عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعصر التدوين، فدون في الكتب الكثير مما وضعه الوضاعون وأرادته السلطة الحاكمة، وثبتت أشياء لم تكن من سنة رسول الله بل مما فرضه الوضاعون بأمر الحكام.

ثم جاء علماء المذاهب الإسلامية التي وجدت بعد القرن الثاني الهجري، وأسسوا مذاهبهم على أصل ما وصل إليهم من إرادة معاوية ويزيد وأشياخهم، وبنوا أحكام مذاهبهم على ذلك، وأغلق باب الإجتهاد، وفرض الحكام على

المسلمين علماء من علماء السلاطين، ولم يجيزوا أخذ الفتوى إلا منهم، وقالوا لا يفتى ومالك في المدينة، مع العلم أن الإمام جعفر بن محمد الصادق كان في نفس الوقت في المدينة المنورة، لكن الحاكم وبأمره ذاك قام بعزل الإمام عن دوره في تبيان الهدى للناس، ثم فرض كتاب الموطأ على الناس وقيل أنه الكتاب الثاني بعد كتاب الله، ثم بعد ذلك فرضت كتب أخرى كصحيح البخاري واعتبر أفضل كتاب بعد كتاب الله، ومرة صار صحيح مسلم في تلك المرتبة ومرة أخرى صار كتاب سنن أبي داوود حائزا تلك الدرجة الرفيعة من الإعتبار، وفي فترة من فترات الحكم العباسي منع الناس من تسمية أبناءهم بإسم علي، وصار تداول الإسم ممنوعا وكل من سمى ابنه بإسم علي يعتبر خارجا عن القانون.

وهكذا ثبتت قواعد فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وصار الناس لا يعرفون إلا ما فرضه الحكام عليهم من العلماء وحتى من الحديث النبوي أو ما يتبناه الحاكم من مذاهب في العقائد والأحكام التي أسس لها في عصر معاوية وعصر الوضاعين، فصار عامة الناس لا يتبعون إلا ما تقرره أجهزة الخلفاء ولا يعرفون غيره، وبالتالي استكملت الأدوار التي أرادها أعداء الإرادة الإلهية.

فلربما يتعبد المسلم بحكم يعتبره شرعيا وهو في الأصل من وضع أجهزة السلطة فيما مضى، وهو في الحقيقة بعيد عن خط الهداية خط السنة النبوية الصحيحة، وربما يكون الواجب متروكا وما يفعله مخالف له والعكس ربما يكون أيضا صحيحا أي أنه تفعل أمور على أنها واجبات وهي في الأصل ليست كذلك.

وكل ذلك نتيجة لتحدي ومحاربة الإرادة الإلهية في ولاية أهل البيت عليهم السلام ومخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك العمل بحديث الثقلين، الذي هو الضمانة الأكيدة في إتباع الهدى واجتناب الضلال.

ولذلك فإن كل ما وصلت إليه الأمة من التخلف والضياع والضلال، كان نتيجة لفصم العروة الوثقى الكتاب وأهل البيت عليهم السلام، وطمس حقيقة الصراط المستقيم، وعزل وإقصاء أهل البيت عن دورهم المجعول من الله سبحانه وتعالى في هداية الناس وتبصيرهم وإرشادهم إلى حقيقة دين ومنهج الله العظيم.

إن المدقق في المراحل التي تلت عملية السب والشتم وإعلان ذلك على المنابر، يتبين له حقيقة الإنحراف والتغيير والتبديل التي حصلت في الأمة، فكيف لأمةٍ أن تهتدي وهي تحارب الله ورسوله وأهل البيت وشيعتهم؟. وكيف لأمة أن تنجو من الضلال والهلاك وهي لم تركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، بل وعملت على تحطيمها وإغراقها؟.

وكيف لأمة أن تهتدي إلى الحق والصواب والهدى، وقد عملت ولا زالت تعمل على فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، وعملت ولا زالت تعمل على محاربة أهل البيت وشيعتهم؟.

حتى إن الواحد منا اليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين، لا يجرؤ أن يذكر حديث الثقلين، أو أي حديث يتعلق بفضائل أهل البيت عليهم السلام، ولا يجرؤ على إظهار ولايته وتمسكه بأهل البيت عليهم السلام.

إنني أدعو كل المسلمين إلى ضرورة مطالعة هذه المرحلة من التاريخ، حتى يكتشفوا حقيقة ماهم عليه، وحتى يتعرفوا على حقائق لطالما عمل العلماء على إخفائها وتغييبها عن المسلمين، حتى لا يتبين الرشد من الغي، فهناك العشرات من المؤلفات التي تبحث المرحلة بتفاصيلها، ومن أهمها كتاب من حياة معاوية للعلامة الأميني وعشرات غيرها. حيث تبين وتوضح كيفية تطبيقات معاوية بن أبي سفيان لعملية ملاحقة وقتل أهل البيت وشيعتهم في العراق واليمن ومكة والمدينة وغيرها من أمصار المسلمين من خلال بعثاته المتلاحقة والتي كان يقودها عدد كبير من صحابة رسول الله كبسر بن أبي أرطأة وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وزياد بن سمية وغيرهم.

لقد بالغ معاوية في تشويه صورة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، واستخدم كما ذكرنا عددا كبيرا من الصحابة الذين كانوا من بطانته، مثل أبي هريرة وعمرو وسمرة وغيرهم، حيث أنهم ساعدوه كثيرا في وضع روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله تخدم مخططاته وترسخ له قواعد الدولة الأموية وقواعد الدين الجديد، وسأقدم بعض النماذج من عمليات الوضع

تلك التي كان لها الدور الكبير في إبعاد دور أهل البيت عن الحياة وطمس حقيقتهم وأحقيتهم.

روى بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال (أعطى معاوية بن أبي سفيان سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾ إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. وإن قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ .نزلت في ابن ملجم أشقى مراد).

روى في شرح نهج البلاغة قال (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً!! وقال يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسي بالنار؟. والله لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرماً، وإن المدينة حرمي، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها!!. فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة).

وقد توضحت عمليات وضع الحديث من خلال قراءة كتاب معاوية، حيث أمر بإشاعة فضائل لأشخاص لم يجعل الله تعالى لهم فضيلة، وطمس كثيرا من الفضائل لشخصيات رفعها الله تعالى، وجعل الإيمان في فئة والنفاق في فئة أخرى، ووضع أحاديث في أحكام معينة تخدمه وتخدم حكومته، وشطب كل ما يعتبر ضده وضد دولته وسلطته، بل واستطاع أن يحول كل ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه من ذم ولعنات إلى فضائل، والناس اليوم تبع لكل ما ورد في كتابه المشؤوم.

ثم إن من جرائم معاوية ضد علي عليه السلام وشيعته قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي الأنصاري وأصحابه الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه

وآله (سيقتل بعذراء أناس، يغضب الله لهم وأهل السماء). رواه السيوطي وابن حجر.

وذنبهم أنهم رفضوا البراءة من علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا من الثابتين على الوفاء بعهدهم بالتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة، حتى أنهم كانوا يفضحون ويكشفون كل مخازي وانحرافات معاوية بن أبي سفيان وبطانته ومن والاه، لا يخشون في الله لومة لائم.

ومن جرائمه أيضا قتل عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر، وما كانت تهمتهم إلا مولاة أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، والثبات على ذلك طلبا لمرضاة الله تعالى.

وهكذا استمر معاوية في عمليات طمس معالم الدين المحمدي واستبداله بدينه الجديد، من خلال فصل الكتاب عن العترة أولا، ثم استبدال العترة الطاهرة بغيرهم على حسب مزاجه وهواه، ثم ترك الكتاب عن طريق تأويله بما يخالف مراد الله تعالى ويوافق أهواء السلطة الحاكمة، التي قامت وتأسست على بغض علي عليه السلام وملاحقة أهل البيت وشيعتهم وقتلهم وتشريدهم وظلمهم وأذاهم كما بينت ذلك كتب الحديث وكتب السير والتاريخ، وكذلك الروايات المتواترة المتعلقة بذلك التاريخ المخزي الذي يندى له الجبين.

وهكذا نسي الناس معالم الدين وأعلامه، وضاعت الأحكام، واختلفت العقائد، ومحيت السنة النبوية، وصار الحكم بالهوى. وانتشر الفسق والمجون وصار شرب الخمر مستباحا، بعد أن استبيحت أعراض المسلمين في حملات معاوية على أمصار المسلمين، لقتل وملاحقة أهل البيت وأتباعهم، راجع أخي المؤمن ماذا فعل بسر بن أرطأة في المدينة ومكة واليمن؟. وماذا فعل كل ولاة معاوية في بلاد المسلمين؟. ماذا فعل المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص وأبو هريرة وزياد بن سمية وغيرهم من أعلام دين معاوية الجديد، الذين جعل معاوية سمعتهم في أعلى مرتبة ومنحهم الألقاب الرفيعة جزاءً لهم على مساعدته في وضع قواعد دين جديد يخلو من أي أثر أو دور لأهل البيت عليهم السلام فيه.

ثم من أجل تثبيت قواعد الدولة الأموية، وترسيخ ما بدأه أشياخ قريش واستكمله معاوية لفصل وعزل وطمس حقائق وحقوق أهل البيت عليهم السلام، واستمرارا في محاربة أحباب الله وأصفياءه من العترة الطاهرة، واستمرارا في محاربة الإرادة الإلهية، التي جعلت أهل البيت عليهم السلام هم الأئمة والقدوة الذين تجب على الناس مودتهم وموالاتهم وإتباعهم والإقتداء بهديهم، قام معاوية بن أبي سفيان وبعد أن دس السم للإمام الحسن بن علي عليهما السلام مما أدى إلى استشهاده، قام بنقض العهد الذي أبرمه مع الإمام الحسن عليه السلام في أن تكون الخلافة بعد معاوية للإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام.

بيعة يزيد:

قام معاوية بن أبي سفيان وبتأييد من بطانته بدعوة المسلمين لبيعة ابنه يزيد، وكان ابتداء الأمر من الصحابي المغيرة بن شعبة، فأرسل معاوية إلى ولاته يحثهم على دعوة الناس لبيعة يزيد.

وقد كان تركيز معاوية وبطانته على انتزاع البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، حيث وجه معاوية كتابا إلى واليه على المدينة مروان بن الحكم اللعين بن اللعين الوزغ بن الوزغ، يطلب منه انتزاع البيعة من الحسين عليه السلام وبأي وسيلة كانت حتى ولو أدى ذلك إلى قتله ومن معه، لكن الإمام الحسين عليه السلام رفض أن يعقد البيعة للفاسق يزيد، حتى لا تطمس البقية الباقية من دين الإسلام، وحتى لا تعتبر بيعته مصادقة من أهل البيت على دين معاوية الجديد وإقرارا به.

ثم إن يزيد بن معاوية أرسل إلى واليه في المدينة لينتزع البيعة من الحسين عليه السلام، لأنه بذلك يسهل عليه انتزاع البيعة من بقية الناس ولكن الإمام الحسين عليه السلام رفض، ورفض ذلك أيضا يوم الطف أن يتنازل عن موقفه، وخطبة الإمام الحسين عليه السلام المشهورة التي أعلن فيها موقفه صريحا بكل عزة وفخر قائلا (لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار

العبيد، ألا وأن الدعي بن الدعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

هكذا كان موقف الإمام الحسين عليه السلام موقف العزة والإباء، موقف المؤتمن على المسلمين ودينهم، فعليك السلام يا أبا الأحرار يا أبا عبد الله، ونحن نرددها معك ونقول هيهات منا الذلة.

ماذا فعل يزيد لفصم عرى الدين؟.

ومات معاوية الذي خلف من بعده ابنه يزيد السكير الخمير الفاسق، وحكم دولة تسير على دين ونهج معاوية وأشياخه، وبدأ يزيد في تطبيق تعاليم والده، واستكمال الدور الرئيسي الذي قامت عليه دولتهم، وهو إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن واقع الحياة بل والإنتقام منهم والتفاخر في ذلك.

ومن أعظم الرزايا وأشدها في تاريخ المسلمين التي قام بها يزيد لعنة الله عليه لمحو أي أثر لأهل البيت عليهم السلام، هي قتل أبي عبد الله الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

لقد فعل ذلك يزيد ليستكمل الأدوار التي انتهت إليه من أبيه وأشياخه القرشيين، الذين كان من أول أمرهم رفض الإرادة الإلهية الصريحة في إمامة أهل البيت عليهم السلام، وردوا على الله ورسوله بل إنهم حاربوا إرادة الله وحاربوا كل من التزم بها ولم يقف إلى جانبهم في دعوتهم تلك، فجاء دور اللعين يزيد ليستكمل الحرب على أهل البيت عليهم السلام ويُتِمَ القضاء على دين الإسلام ويمحوه من الوجود ليبقي على دين معاوية بين الناس.

وهكذا انتهى الأمر إلى أن ضاع الدين وطمست معالمه، ليحل محله دين جديد، لا يعرف الناس غيره، بحيث صار الخليفة الأموي يزيد اللعين هو أمير المؤمنين في نظر الناس وهو المشرع الذي على الأمة طاعته.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

فلما وصلت الأمور إلى هذا الحد بل وربما أبعد منه، تحرك الإمام الحسين عليه السلام، لينهض بالأمة من أجل بعث الدين المحمدي من جديد، وليعيد رسم معالمه، وبيان عقائده وأحكامه، وليعيد الكتاب والعترة الطاهرة إلى الوجود، وليعيد معالم العروة الوثقى والصراط المستقيم من جديد، فهو الإمام الذي فرض الله طاعته على كل المسلمين، وهو الذي ورث من أخيه الإمام الحسن عليه السلام ومن أبيه الإمام أمير المؤمنين عليا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل معالم الدين وتفصيلاته كما أرادها الله سبحانه وتعالى، كيف لا وهو الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا).

هذا الحديث الذي روته كل صحاح ومسانيد المسلمين، يعتبر من أهم الوصايا النبوية الشريفة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين من بعده حتى يلجأوا إليها إذا صار حال الأمة ضياعا، فقد جعل الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام معلما من معالم الدين ومصباحا من مصابيح الهدى، ونورا يستضاء به إذا ما وقعت الفتن، وتاه الناس عن السبيل القويم والصراط المستقيم.

فهذا الحديث من الوصايا الهامة للمسلمين مثل حديث الثقلين وحديث السفينة أو مجموع الأحاديث التي تُنَوهُ وتوضح حقيقة أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم، وأنهم هم علامات الحق وميزان الهدى في كل زمان ومكان، حتى يستطيع المسلمون أن يميزوا بين طريق الحق وبين طريق الضلال.

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه رحمة للعالمين وعلى خلق عظيم وكلامه وحي وصدق وحق، يرسم خطا عاما وفي أغلب الأحيان مفصلا، لكل مرحلة من مراحل حياة المسلمين، وكان عليه وآله الصلاة والسلام يبين ويوضح لأمته ما يستطيعون من خلاله الوقوف على الحق واجتناب الضلال ودعاته، فقد كان كثيرا يحذر الناس من أئمة الجور والضلال قائلا (إن أخوف

ما أخاف عليكم، الأئمة المضلون) أي أنه صلى الله عليه وآله أقام حجة الله البالغة على الناس كافة في كل عصر وفي كل زمان ومكان.

ففي حديث الثقلين يبن صلى الله عليه وآله معالم طريق الهدى، التي من اتبعها فإنه لن يضل أبدا، وهذا يعنى أنه سيكون في الأمة ضلال كبير ودعاة كثر يروجون ذلك الضلال، فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وفصل عن كيفية النجاة من ذلك الضلال والوقاية منه.

وكذلك عندما يرسم النبي الأكرم معالم ما يجب على الأمة التمسك به أي الكتاب والعترة وأنهما لن يتفرقا ولن يفترقا، وعندما يحذر من الضلال ويبين كيفية الخلاص منه، وعندما يتحدث عن إمامنا المهدي عجل الله فرجه الشريف وأنه سيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، فإن ذلك يعني أن الأمة سوف تترك التمسك بالكتاب وتترك الإعتصام بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، بل وأنه سوف تكون هناك المحاولات تلو المحاولات من أجل طمس هوية أهل البيت عليهم السلام، وعزلهم عن دورهم الذي اجتباهم الله له، في الأخذ بيد المستضعفين، وحماية المؤمنين، وتبيان خط الهداية والنجاة للأمة في حال حدوث الفتن، أو عند انفصال الناس عن إتباع خط الهداية وسقوطهم من سفينة النجاة سفينة أهل البيت عليهم السلام التي من ركبها فقد نجا ومن تخلف عنها فقد غرق وهلك.

وكذلك عندما نأتي إلى مرحلة يزيد بن معاوية وهي مرحلة من المراحل الخطيرة التي وصلت فيها الأمة إلى حالة خطيرة من الضياع والفتن، حيث لم يبق من الإسلام شيء، واستبدلت العقائد والأحكام بعقائد وأحكام جديدة، وسلك الناس فيها مسالك الضلال والإنحراف عن الصراط المستقيم، وتاهوا عن سفينة الناجين أهل البيت عليهم السلام.

فكان لابد من أن يتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تلك المرحلة ويبين خطورتها وشدة فتنها، وكان لابد له صلى الله عليه وآله أن يبين راية الهدى، ويوضح دور مَعلَم من أهم معالم الإيمان، ومصباحا من أهم مصابيح الهدى، وكان لابد له صلى الله عليه وآله أن يكشف عن ربان سفينة أهل البيت

عليهم السلام في تلك المرحلة الخطيرة وهو الإمام الثالث من أئمة أهل البيت عليهم السلام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام.

فكان مما نبه عليه صلى الله عليه وآله وكشفه للناس وأوصاهم به أن قال في عشرات المرات على مرأى ومسمع كل المسلمين (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط).

أراد رسول الله أن يكون مع أمته في حال ضياعها ليأخذ بيدها ويأخذ بأيدي المسلمين والمستضعفين، إلى أن يكونوا مع الإمام الحسين عيه السلام، فأشار أن حسين مني محمدي المنشأ ولا يُبَلِغ عني إلا أنا أو رجل مني، ولا يستطيع أن يقود الأمة إلا أنا أو رجل مني، ولن تنجوا الأمة إلا بي أو برجل مني.

فها هو صلى الله عليه وآله يقول لهم حسين مني فهو حامل رسالتي وهو الذي يهديكم إلى رضى الله تعالى وإلى النجاة من عذابه، وهو الذي يجمع شملكم ويردكم إلى الصراط المستقيم إذا تفرقت الأمة عن أهل البيت عليهم السلام واقتدت بغيرهم ولم تتبعهم، بل وعادتهم وكفرت بحقوقهم وأحقيتهم، وإذا قفز الناس من سفينة الناجين وسقطوا في بحر الهالكين.

فإذا صرتم إلى ذلك الحال فها هو الإمام الحسين مني أي من رسول الله ولا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني.

ثم يضيف صلى الله عليه وآله فيقول وأنا من حسين، وهذا يعني أنه إذا تاه المسلمون عن دين الله وساروا على مناهج معاوية ويزيد، وإذا طمست معالم الدين الإسلامي وضاعت عقائده وأحكامه، فإن بعث دين محمد من جديد سوف يكون على يد الإمام الحسين عليه السلام. فهو الذي سوف يبعث ما محاه وطمسه معاوية وأشياخه من جديد، وهو الذي سوف يضرب على جثة الدين التي قتلها أعداء أهل البيت بجهاز الصعقة الكهربائية، الذي سيجعل قلب الأمة ينبض من جديد، ويعيد العقول إلى التفكير بالعروة الوثقى والصراط المستقيم، حتى يبدأ المؤمنون بركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام من أجل أن توصلهم إلى بر الآمنين من الفزع الأكبر يوم الدين.

ولكن الأمور دائما تنقسم إلى أحياءٍ وأموات وكما قال تعالى في سورة الروم الآية٥٢ – ٥٣ ﴿**فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون**﴾.

فلم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الحديث فقط لتوضيح معالم مرحلة اللعين يزيد، بل إنه استمر يحدث عن تلك المرحلة ومن جوانب متعددة عقلية ومشاعرية واجتماعية، مادية وروحانية، حتى يطرق جميع جوانب النفس البشرية وحتى لا يبقى أي مبرر لأحد، وحتى تقام الحجة البالغة فلله الحجة البالغة.

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ولاية أهل البيت وإمامتهم، وأمر المسلمين أن يقفوا في صف الإمام الحسين وأن ينصروه، وأن يحبوه ولا يظلموه، وجعل محبة الحسين عليه السلام من محبته، وبين أن من أحب الحسين فقد أحب الله، وأن الله يحب من أحب حسينا، وكشف أن الأمة سوف تكون في عصر الإمام الحسين قسم معه ومن أنصاره ومحبيه وأتباعه، وقسم آخر مع يزيد اللعين ومن أسس له ومن تبعه على ظلم وحسد وبغض أحباب الله أهل البيت عليهم السلام، ذلك القسم وبقيادة يزيد سوف يقتلون الإمام الحسين في يوم يغضب الله فيه وتبكي عليه السماء والأرض، حتى أنه صلى الله عليه وآله بين موقع المكان الذي سيقتل فيه الإمام الحسين عليه السلام.

ثم قيد عليه وآله الصلاة والسلام المسلمين في كل زمان ومكان بقيود كثيرة من أجل دوام لفت نظرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وإلى أهل البيت وولايتهم حتى لا يقال أن الإمام الحسين قد مضى عصره وانتهى الأمر ولا دخل للأمة بما فعله السابقون.

روى أبو داوود وغيره كثير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها – وقال مرة فأنكرها – كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها).

روى الحاكم في المستدرك عن بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لو أن رجلا صفن بين الركن والمقام، فصلى، وصام، ثم لقي الله

وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار). رواه في كنز العمال ومجمع الزوائد والطبراني وبن حبان.

ولكن المسلمين اليوم لا يلتفتون إلى كل تلك الوصايا البينات الواضحات، التي بينها ووضحها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، إذ أن المسلمين لا زالوا وحتى اليوم يخافون من معاوية ويزيد، ويخافون من ذكر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، فالكل طوع أمر معاوية ويزيد ولو أدى ذلك إلى معصية الله تعالى ومخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إن الأمة لا زالت وحتى اليوم تعادي أهل البيت وشيعتهم، وتظلمهم وتفتري عليهم، وتكفرهم وتستبيح دماءهم كما يجري اليوم في مناطق متعددة من العالم ضد أهل البيت وشيعتهم، وكل ذلك طاعة لمعاوية ويزيد، وكأن كتاب معاوية إلى أمصار الدولة الإسلامية والذي ذكرناه في البحث يتجدد في كل يوم، ويحفظه المسلمون ويطبقونه بحذافيره، وكأنه أمر إلهي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم أني أبرأ إليك مما فعل معاوية ويزيد وأشياخهم وأتباعهم، اللهم إني أتقرب إليك بحب أهل بيت نبيك، وأتقرب إليك بموالاتهم واتباعهم والإقتداء بهديهم وطاعتهم كما أمرت أنت ياربنا ويا سيدنا ومولانا، اللهم إنني أوالي من والوا وأعادي من عادوا، وأنصر من نصرهم، وأُبغض من أبغضهم، فاجعلني والمؤمنين مع من نحب، وثبتنا على صراطك المستقيم، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

لقد قام يزيد اللعين وبقرار منه وإقرار وبتنفيذ جيش الدولة الأموية، بقتل الإمام الحسين عليه السلام في سبعة عشر من أهل بيت رسول الله وثلة من صحابة الحسين عليهم رضوان الله تعالى، يوم عاشوراء على أرض كربلاء في حادثة الطف، التي تقشعر الأبدان عند سماعها فكيف بمن أبصرها وعاش أحداثها، حيث لم يرقب يزيد وشياطينه إلاً ولا ذمةً في الحسين وأهل بيته وأبنائه وأصحابه، الذين ما خرجوا إلا دفاعا عن دين الإسلام، دين المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم، خرجوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويحرروا الناس من عبادة الجبت والطاغوت إلى عبادة الواحد الأحد.

يقول الإمام الحسين عليه السلام (لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، ناكثا عهده، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله).

لهذا نهض الحسين عليه السلام، لإصلاح ما قد فسد في الأمة، ولم يخرج من أجل دنيا أو منصب أو ساعيا وراء سمعة، وإنما خرج ونهض طلبا للإصلاح، كيف لا وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: (حسين مني وأنا من حسين).

لقد أجمع يزيد اللعين وجلاوزته على القضاء على الإمام الحسين عليه السلام وعلى نهضته، فحاصروه وقطعوا عنه الماء، وأرهبوا وقتلوا وسجنوا وآذوا من كان من أنصاره سلام الله تعالى عليه، ثم قاموا بمهاجمة معسكره واعتدوا على الأطفال والنساء، وقتلوا أصحابه واحدا بعد واحد، وقتلوا من كان معه من أبناءه ومن أبناء الإمام الحسن عليه السلام، وحتى الرضع منهم من خلال مشاهد لا يمكن لإنسان أن يتحملها حتى ولو كان كافرا، حتى أن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن قتلوا من معه قال لشمر وعمر بن سعد بن أبي وقاص وبقية المجرمين الذين كانوا معهم قال لهم مخاطبا (إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم).

ولكن الطبيعة البهيمية الشيطانية التي كانت عند يزيد وشياطينه، فعلتها، وقاموا بقتل ابن بنت نبيهم في أبشع صورة من صور الإعتداء والإنتقام من رسول الله محمد وأهل بيته عليهم السلام، وداسوا على جسده الشريف بحوافر خيولهم، وقطعوا الرأس الشريف، وتركوا جسد الإمام الحسين في ساحة الجريمة، ثم حملوا الرأس الشريف والرؤوس المقطعة، وسبوا نساء أهل البيت

بعد أن سرقوا ونهبوا كل ما كان في حوزتهم، وسار موكب الرأس الشريف ومعه السيدة زينب بنت أمير المؤمنين، وكذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين ومن بقي من النساء والأطفال، وطافوا بهم البلاد حتى وصلوا إلى دمشق عاصمة الأمويين، ووضع الرأس الشريف بين يدي اللعين يزيد، وأنشأ قائلا معبرا عن ما ورثه من حقد وبغض وضغينة للإسلام وأهل البيت عليهم السلام، متحديا إرادة الله تعالى، معلنا الحرب على الله ووحيه ورسوله وأهل البيت عليهم السلام، شامتا منتشيا، قائلا:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهكذا فرح يزيد اللعين وشياطينه، بالجريمة التي اقترفوها، وأعلنوا ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم مقتل إمام عظيم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعلوا ذلك اليوم عيدا يفرحون به، ويحتفلون بجريمتهم التي بكت عليها السماء والأرض، كما ورد في العديد من الروايات.

ولا زال الكثير من المسلمين وللأسف يحتفلون بذلك اليوم ويعتبرونه يوم فرح، حيث دفع الأمويون الأموال الطائلة لوضاعي الحديث، من أجل أن يضعوا لهم أحاديث مكذوبة تجعل من ذلك اليوم يوم عيد وفرح وسرور، ما عدا تلك الطائفة من المؤمنين شيعة أهل البيت عليهم السلام، الذين يحزنون أشد الحزن في يوم الذكرى الأليمة يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ويعبرون عن حزنهم ومواساتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي بكى الحسين يوم ولادته وأخبره جبريل عليه السلام بذلك، وخرج رسول الله باكيا مسمعا بكاءه ونشيجه لأصحابه، قائلا لهم أن الأمة ستفتن من بعده وأن الحسين مقتول، حيث بين رسول الله أن مقتل الحسين عليه السلام فتنة عظيمة للأمة في كل زمان ومكان.

إنني أدعوا نفسي وكل المسلمين أن يقرؤوا مقتل الحسين عليه السلام، والإستماع لقصة مقتله عليه السلام، فالإمكانيات موجودة من خلال المؤلفات الكثيرة وكذلك من خلال المحطات الفضائية، والحجة قائمة واضحة بينة، ولكنني أحب أن أذكُرَ ببعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في صحاح ومسانيد المسلمين، ليتعرف المسلم على ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسين عليه السلام وقضيته التي يجهلها أغلب المسلمين وغيبت عنهم عن قصد متعمد وسابق إصرار، وما سأذكره من روايات هو للتعريف بالحسين وقضيته عليه السلام على شكل مختصر، وإلا فإن ما هو موجود في الحسين وأهل البيت عليهم السلام عموما أكثر بكثير، ولا يمكن لنا في هذا البحث الموضوعي أن نشير إلى جل روايات الحسين وسرد تفاصيل مقتله عليه السلام، ولكنني أشير وأذكر بمحطات هامة لكل قضية تتعلق بحديث الثقلين ولو على سبيل الإختصار.

روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة).

وروى أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم والسيوطي والضياء، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عن الحسن والحسين عليهما السلام (هما ريحانتاي من الدنيا).

وروى الطبراني وفي كنز العمال وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من أحب هذين، يعني الحسن والحسين، وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة).

وروى السيوطي والديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي).

وقد مر من خلال البحث العديد من الروايات التي تأمر بمحبة أهل البيت عليهم السلام، والتحذير من ظلمهم وأذيتهم، ولكنني أضيف هنا ما يتعلق ببحثنا.

فقد روى المتقي الهندي في كنز العمال والبغوي وابن السكن والباوردي وابن منده وابن عساكر وابن حجر في الإصابة، عن أنس بن الحارث، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض من أرض العراق، يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منهم فلينصره).

وروى في كنز العمال وغيره كثير عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالسا ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخلن علي أحد، فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام فسمعت نشيج النبي صلى الله عليه وسلم يبكي، فاطلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: والله! ما علمت به حتى دخل، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن جبريل كان معنا في البيت فقال: أتحبه؟ فقلت: أما من حب الدنيا فنعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من ترابها، فأراه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: أرض كربلاء، قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أرض كرب وبلاء).

وروى أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس بن مالك، قال: (أن ملك القطر استأذن ربه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له، فقال النبي لأم سلمة: املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد. قال: وجاء الحسين بن علي ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتحبه؟ قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به. فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها. قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء).

وروى الطبراني والهيثمي في مجمع الزوائد عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منكب وهو على ظهره، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتحبه يا محمد؟ قال: يا جبريل وما لي لا أحب ابني!. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك، فمد جبريل

عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا واسمها الطف، فلما ذهب جبريل من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتزمه في يده يبكي، فقال: يا عائشة إن جبريل أخبرني أن ابني حسين مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستفتن بعدي. ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه).

روى أحمد في المسند عن عبد الله بن يحيى، عن أبيه: أنه سار مع علي عليه السلام، وكان صاحب مطهرته، فلما جاؤوا نينوى وهو منطلق إلى صفين. فنادى علي عليه السلام: إصبر أبا عبد الله، إصبر أبا عبد الله، بشط الفرات. قلت: وماذا تريد؟

قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، فقلت: ما أبكاك يا رسول الله؟

قال: بلى، قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات.

قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟

قال: فمد يده فقبض قبضة من تراب، فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.

وروى في كنز العمال وغيره كثير عن شيبان بن مخرم قال: إني لمع علي عليه السلام، إذ أتى كربلاء فقال (يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر).

وروى بن كثير في البداية والنهاية، قال، روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب عليه السلام (أنه مر بكربلاء عند أشجار الحنظل، وهو ذاهب إلى صفين، فسأل عن اسمها، فقيل: كربلاء. فقال: كربٌ وبلاء.

فنزل فصلى عند شجرة هناك ثم قال: يقتل ههنا شهداء هم خير الشهداء، يدخلون الجنة بغير حساب، وأشار إلى مكان هناك، فعلّموه بشيء فقتل فيه الحسين عليه السلام).

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني عن أبي هرثمة قال كنت مع علي رضي الله تعالى عنه بنهري كربلاء فمر بشجرة تحتها بعر غزلان فأخذ منه قبضة فشمها ثم قال (يحشر من هذا الظهر سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب).

وروى المناوي في فيض القدير وغيره كثير قال (ولما نزل الحسين عليه السلام بكربلاء سأل عن اسمها فقيل كربلاء، فقال كرب وبلاء فكان ما كان).

وروى في كنز العمال عن محمد بن عمرو بن حسين قال (كنا مع الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، فنظر إلى شمر ذي الجوشن، فقال: صدق الله ورسوله!. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي! وكان شمر أبرص).

وروى بن كثير في البداية والنهاية قال، وقد حكى أبو الجناب الكلبي وغيره، أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح الجن على الحسين عليه السلام وهن يقلن:

مسح الرسول جبينه فله بريقٌ في الخدود

أبواه من عليا قريشٍ جده خير الجدود

وروى بن كثير وابن عساكر (أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم، فوجدوا في كنسية مكتوباً:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب؟

فسألوهم من كتب هذا؟ فقالوا: إن هذا مكتوب ههنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة).

وروي عن أكثر من مصدر من مصادر المسلمين، أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدم هذا البيت:

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب؟.

وروى أحمد في المسند عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم، فقلت: بأبي

وأمي يا رسول الله، ما هذا؟. قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم.

قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم.

وروى بن أبي الدنيا: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله، فقال له أصحابه: لِمَ يا ابن عباس؟.

فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه زجاجة من دم.

فقال: أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله. فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه، وتلك الساعة، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة.

وروى الترمذي عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه ولحيته التراب. فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وروى بن كثير ومحمد بن سعد عن شهر بن حوشب قال (إنا لعند أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسمعنا صارخةً، فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة، فقالت: قتل الحسين. فقالت أم سلمة: قد فعلوها، ملأ الله قبورهم - أو بيوتهم -عليهم ناراً، ووقعت مغشياً عليها، وقمنا).

وروى أحمد بن حنبل في المسند عن عمار قال: سمعت أم سلمة قالت: (سمعت الجن يبكين على الحسين، وسمعت الجن تنوح على الحسين).

وروى أيضا عن هاشم بن هاشم، عن أمه، عن أم سلمة قالت: سمعت الجن ينحن على الحسين وهن يقلن:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم ونبي ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل

وروى الحاكم في المستدرك وبن كثير في البداية والنهاية وغيرهما عن ابن عباس. قال (أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً).

إنني أدرك أن هذا البحث هو بحث في حديث الثقلين، ولكن كما ذكرت أن هذا الحديث يعتبر محورا من محاور الإسلام المركزية، التي تدور حولها أغلب قضايا الإسلام بل كلها إذا صح التعبير، ولذلك أخي الكريم وكما أثبت لك في بداية البحث فإنك تجد أن المسائل كلها مترابطة ترابطا وثيقا بأهل البيت عليهم السلام وإمامتهم وولايتهم، فنحن لا زلنا في وضع عنوانين لجملة من حديث الثقلين وهي (لن يتفرقا أي الكتاب والعترة)، ولا زلنا نذكر ما قام به المسلمون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من محاولات ومخططات لفصل أهل البيت عليهم السلام عن الكتاب، ولمحو حقوقهم وأحقيتهم، وطمس هويتهم.

فهل انتصر يزيد اللعين وشياطينهم في حربهم ضد رسول الله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام؟.

لقد تنبه المسلمون بعد استشهاد أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام إلى الحقيقة التي غيبها معاوية ويزيد وأشياخهم، وبدأت نهضة الحسين تؤتي أكلها، وبدأ المسلمون يلتفون حول راية أهل البيت عليهم السلام، وانتشر الأتباع والشيعة في كثير من أرجاء الدولة الأموية، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وهو دائما وأبداً الصادق المصدوق عندما قال: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا)، وبُعِثَ دين محمد من جديد، ولولا نهضة الحسين عليه السلام، لطمست كل معالم الدين، ولذابت تعاليم الإسلام الحقيقي، ولكن إرادة الله تعالى شاءت أن يُبعَثَ الدين من جديد على يد الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك قيل (أن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء).

ماذا فعل المسلمون بعد يزيد؟:

وأما ما قام به المسلمون بعد مرحلة يزيد من أفعال، إستكمالا لعملية فصل العروة الوثقى والإبقاء على ما وصل إليهم من السلطة الحاكمة، من خلال القواعد والأحكام الناتجة عن الحقد والضغينة لرسول الله وأهل بيته، ومن خلال كتاب معاوية إلى المسلمين، واستكمالا لمحاربة الإرادة الإلهية، يشكل الثمرة التي أراد المتآمرون على رسول الله ووصيه علي بن أبي طالب أن يصلوا إليها.

فقد قام الأمويون وبني مروان ومن والاهم وسار على خطاهم وانتهج نهجهم، بالبناء على ما أسس له معاوية ويزيد وأشياخهم، وقام الخلفاء من بني أمية وبني الحكم بعمليات عزل وفصل العترة الطاهرة عن الكتاب وعن المجتمع من خلال عمليات الملاحقة والقتل والتشريد لأئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وطمسوا أدوارهم الأساسية في نشر الدين والمحافظة على عقائده وأحكامه، ثم استكملت الأدوار من قبل العباسيين الذين كانوا أشد وأغلظ ممن سبقهم من الأمويين، الذين قتلوا وسجنوا وشردوا الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، بل إنهم قاموا بعدة محاولات لنبش وإزالة والإعتداء على مقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومقام الإمام الحسين عليه السلام وبقية الأئمة من أهل البيت، ومشهور في كتب التاريخ ما فعله العباسيون مع الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام إلى الإمام العسكري عليه السلام، ومذكور أيضا كيف عانى أتباعهم وشيعتهم من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد استكمالا لما دعى إليه معاوية ويزيد في طمس حقيقة أهل البيت وأحقيتهم، ثم جاء بعدهم صلاح الدين الأيوبي الذي قام بقتل أربعين ألفا من أتباع أهل البيت في يوم واحد عندما دخل إلى مصر على أنقاض الدولة الفاطمية، وكذلك فعل من جاء بعدهم، كان دائما هدفهم الأول ليس التفريق بين الكتاب والعترة الطاهرة فقط، وإنما قمع أية محاولة للجمع بينهما من جديد كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الكريم.

ولا زالت قضية أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حتى اليوم ينظر إليها بنظرة معاوية ويزيد ومن كان قبلهم، فلا زال أهل السنة والجماعة يعملون على فصل

العروة الوثقى، ورفع شعار حسبنا كتاب الله، ومنع وقمع كل المحاولات للجمع بين الكتاب الكريم والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، ويحاربون محاولات الجمع تلك بكافة الوسائل المتاحة لهم والإمكانيات التي يسخرها الكفار والمشركين لهم، ولا زالوا ينظرون إلى أهل البيت وشيعتهم نظرة ريبة وتشكيك واستنكار، ولا زالوا ينظرون إليهم نظرة تكفير وتفسيق، ولا يجرؤ أحد منهم أن يبحث في أهل البيت ومظلوميتهم، أو في حقهم وأحقيتهم، وكأن أصحاب شعار حسبنا كتاب الله الذين ردوا على رسول الله، ورفضوا وصيته، وحاربوا إرادة الله تعالى، كأنهم موجودون وعلى رأس السلطة الحاكمة، يهددون ويحرقون وينتهكون الحرمات، ويبقرون بطون الحوامل، ويسجنون، ويختطفون، ويقتلون وينكلون بالمؤمنين والمؤمنات في كل مكان، بأبشع صور القتل والتنكيل، فها نحن نرى المجازر تلو المجازر ضد أهل البيت وأتباعهم وعلماءهم وشيعتهم ولا تجد منكرا ينكر على المسلم قتل أخيه المسلم، فهاهم العلماء يستحلون دماء المسلمين فالتاريخ يعيد نفسه، والجميع ساكتون عن الحق ومن لم يسكت يشمت، ومن يتكلم يُكَفِرُ ويفسق المسلمين، والحال هو هو نفسه، فكما تمت مهاجمة بيت أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء بضعة النبي عليهما السلام، فها هي بيوت المؤمنين تهاجم في كل مكان في العراق وباكستان وأفغانستان وغيرها من دول العالم الإسلامي، وكما اغتصبت الحقوق وانتهكت الحرمات بالأمس فها هي تغتصب وتنتهك اليوم، وكما قتل الإمام علي عليه السلام ولاقى ذلك العمل المخزي التأييد والترحيب والقبول من طائفة كبيرة من المسلمين في ذلك الوقت، فإن علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقتلون اليوم بدم بارد، ويلقى ذلك العمل تأييدا واسعا من قبل المسلمين ولا ينكرونه، وكما قتل الإمام الحسين عليه السلام وقطعت رأسه وقتل أبناءه وأصحابه، يقتل المؤمنون اليوم كما الأمس، والمسلمون راضون بذلك، يتفرجون بعين الراضي والساكت، وبعين الشامت، وبعين اللامبالي الذي نسي الله تعالى فأنساه الله نفسه، فمعاوية ويزيد وأشياخهم وزبانيتهم وأتباعهم هم نفسهم اليوم وخوارج الأمس هم خوارج

اليوم، وواقع اليوم هو نفس واقع الأمس يتجدد في كل عصر وبأشكال متعددة تناسب كل زمان ومكان.

بينما يعاني المؤمنون في كل مكان ويعيشون الغربة، حتى بين بني دينهم وجلدتهم وليس لهم ملجأ إلا الله تعالى الذي لا يخلف وعده، والذي سينصر المؤمنين المستضعفين، ويمن عليهم بالنصر والأمن بظهور الإمام الموعود المهدي المنتظر.

اللهم عجل فرجه الشريف، ومن علينا بالفرج والنصر، فلقد وصل الظلم إلى أبعد مدى تعرفه العقول، وأنت يا ألله الناصر والمستعان ولا حول ولا قوة إلا بك.

قال تعالى في سورة القصص الآية ٥ ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾.

الأئمة من أهل البيت وشيعتهم:

روى الصدوق عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه عليّ بن الحسين بن علي، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، مَن العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه.

وكما عملت الغالبية من المسلمين على فصل الكتاب عن العترة الطاهرة، فإن هناك من عمل على تعزيز الصلة بينهما، والثبات على إرادة الله تعالى ووصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتطبيقها في كل نواحي الحياة.

فمنذ أن أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام وبمحبتهم وولايتهم وإمامتهم، كان هناك العشرات من الصحابة الذين تشيعوا لأمير المؤمنين عليه السلام، استجابة للأمر الإلهي واتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومضى هذا الخط في السير على ولاية ومشايعة أهل البيت

عليهم السلام جيلا بعد جيل، لا يضرهم خذلان المتخاذلين ولا بغض المبغضين، ولا ظلم الظالمين، بل زادهم كل ما فعله أعداء الإرادة الإلهية صبرا وثباتا وعزيمة على التمسك بالعروة الوثقى والسير على خط الهدى وسبيل النجاة.

فقد قيد الشيعة أنفسهم بكل القيود الربانية التي فيها رضى الله سبحانه وتعالى، لا يخشون في الله لومة لائم، متحملين كل ما تحمله تلك القيود من تبعات، وتفرضه من واجبات في سبيل طاعة الله ورسوله، ونيل رضوان الله الأكبر، فلولا محافظة أئمة أهل البيت على القرآن وعلى السنة النبوية الصحيحة لضاعت أركان الدين ومعالم أحكام الدين، فهم أسباب الهدى ومنارات العلم من تمسك بهم فإنه لن يضل أبدا، وهذا يعني أنهم يمتلكون كل أسباب الهدى وعندهم كل معارف الدين التي يحتاجها المسلمون في كل زمان وفي كل مكان.

لقد شهد كل المسلمين بل وأصحاب الديانات الأخرى بأعلمية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من الإمام علي عليه السلام وحتى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذلك شهدوا بعدلهم وورعهم وعباداتهم وتقواهم، وكل ما يخطر على البال من فضائل وأخلاق أو سلوك يدل على سمو أشخاصهم وأرواحهم، وقد شهد بذلك العدو قبل الصديق، وهذه كتب التاريخ والسير بين أيدي كل المسلمين، لا يمكن أن تجد بها مذمة واحدة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، بل إنها تشهد بعلمهم وفقههم وورعهم، ومع كل ذلك فلم يأتم بهم غير الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين ثبتوا على محبتهم وولايتهم وبذلوا كل غال ونفيس في سبيل ذلك.

لقد تمرس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في العلم الرباني، وآتاهم الله تعالى من العلم الذي لم ينقطع عن مشكاة النبوة طرفة عين، ففي حين كان الخلفاء يمنعون الناس عن تدوين السنة النبوية ومعاني آيات الكتاب، لم ينقطع أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، فقد شغلهم الصفق بالأسواق ولم ينشغل عليه السلام بذلك، كيف لا وهو الذي سيبين لأمة محمد ما يختلفون فيه من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي سيقاتلهم على التأويل كما قاتلهم

رسول الله صلى الله عليه وآله على التنزيل، وهو الإمام الذي يُقتدى به، يقاتَلُ من ورائه ويُتَقى به، وهو الذي أمر الله تعالى بحبه وولايته وإمامته، فقد ملكه الله تعالى كل مقومات الإمامة التي توجب على كل المسلمين تقديمه في كل شيء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال تعالى في سورة يونس الآية ٣٥ ﴿**أفمن يَهدي إلى الحق أحق أن يُتبع أمن لا يهِدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾.

وهذه كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة تعترف بوجود الصحيفة العلوية، التي دونها أمير المؤمنين عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وبخط أمير المؤمنين عليه السلام.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما بطرق متعددة ومتون مختلفة أحاديث الصحيفة العلوية الموجودة عند أهل البيت عليهم السلام، حيث اعترف كل علماء أهل السنة والجماعة بوجود تلك الصحيفة التي تحتوي على كل الأحكام الشرعية ومعاني الآيات القرآنية وأقرووا بها بالرغم من محاولات التقليل من شأنها.

فعن يزيد بن شريك بن طارق قال: (رأيت عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر يخطب فسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب اللَّه، وما في هذه الصحيفة).

وكذلك كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يأخذون علمهم من إمام إلى إمام عن رسول الله، وكان الواحد منهم يقول حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله، فلم ينقطع علم الدين عنهم ولم يلجأووا للرأي أو القياس، ولم يثبت عنهم ولو حادثة واحدة قالوا فيها لا ندري، ولم يثبت عن أحد غيرهم قال للناس بكل جرأة وثقة قوية سلوني قبل أن تفقدوني، ولم تستعص عليهم مسألة كما استعصت على غيرهم عشرات المسائل، حتى شهد بذلك أبو بكر وعمر وغيرهم، حيث شهدوا أمام الناس بذلك، فكثيرا ما كان يقول أبوبكر لولا علي لهلك أبو بكر، وكذلك قالها عمر بن الخطاب لولا علي لهلك عمر، وقال لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وهناك عشرات

الشواهد من التاريخ تجدها في كتب الحديث والسير تبين فضلهم وعلمهم وأعلميتهم وفقههم.

وليس الأمر مقتصر على الإمام علي عليه السلام، بل إن الأمر ينطبق على كل الأئمة عليهم السلام، فكان علمهم وفضلهم وفقههم وورعهم من الأمور المسلم بها عند كل الناس.

ولذلك فإن الشيعة طبقوا حديث الثقلين من خلال التمسك بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأخذوا بضمانة عدم الضلال باتباع وصية رسول الله، وحافظوا عبر التاريخ على ملازمة الكتاب والعترة الطاهرة، ولم يستجيبوا لدعوات الفصل بينهما، ولم يقبلوا شعار حسبنا كتاب الله، بل إنهم التزموا بأمر الله تعالى وأطاعوا إرادته، فكانوا كما أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله خير البرية.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ألم تسمع قول الله :﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جائت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ .فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل علي عليه السلام، قالوا: جاء خير البرية.

وروى في كنز العمال وغيره عن علي عليه السلام قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت وشيعتك في الجنة.

وروى في كنز العمال، ومجمع الزوائد والطبراني وبن عساكر وغيرهم، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي (يا علي، إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا).

وروى في كنز العمال ومجمع الزوائد وغيرهما عن عبد الله بن أبي نجي أن علياً أتى يوم البصير بذهب وفضة فقال: ابيضي واصفري وغري غيري، غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك، فشق قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس فدخلوا عليه، قال: إن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضيين مرضيين، ويقدم عليك عدوك غضاب مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريد الإقماح.

وروى في مجمع الزوائد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال (يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز منها، وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة).

روى الحاكم في المستدرك عن ميناء بن أبي ميناء، مولى عبد الرحمن بن عوف قال خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول (أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة).

روى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن أن الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام قال (نحن وشيعتنا أصحاب اليمين).

لقد ركبوا سفينة أهل البيت عليهم السلام، فكانوا من الناجين ولذلك نطلق عليهم الفرقة الناجية، وطبقوا حديث الولاية، وحديث الثقلين، في حين نسي الآخرون

أهل البيت ونسوا الأحاديث التي تدعوا لولايتهم، ونسوا الآيات التي تشير إلى فضلهم وعلو مقامهم، وأذكر مرة أن أحدهم قال لي إن الشيعة يقولون في الأذان أن عليا ولي الله، فقلت وأنا أشهد بذلك ويجب عليك ذلك أيضا، فقال وكيف ذلك، قلت ألم تسمع بحديث الولاية، قال لا، فسردت عليه الحديث مع بيان تواتره عند كل طوائف المسلمين، فأجاب بأنه أول مرة في حياته يعلم بوجود مثل هذا الحديث عندنا، فقلت له هناك عشرات الآيات والأحاديث لو قرأتها عليك لقلت مثل جوابك هذا، لأن حقيقة الفرقة الناجية والتي غيبها علماء أهل السنة والجماعة اتباعا لمعاوية وأشياخه وتلامذته، لو ظهرت لأطفأ نورها كل شيء، ولظهرت الحقيقة التي غيبها أعداء الدين، ولما تأخر الناس عن اتباعها والإستضاءة بنورها والإهتداء بهديها، ولذلك فإن الشيطان وأعوانه يحاربونها بكل قوة، وهو ما تشاهده اليوم من قتل وتدمير ومؤامرات تحاك ضد الشيعة في العراق وغيرها من بقاع الأرض، وأما بقية المسلمين فلقد انتهى منهم إبليس منذ أن فصلوا الكتاب عن العترة الطاهرة ورفضوا ضمانة الهدى فساروا في طريق الضلال.

وعليه فإن خط التشيع ومن تبناه منذ أن دعى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس إلى الإلتزام به وأوصاهم بالتمسك به، هو الخط الذي الذي حافظ على صلة الوصل بين الكتاب والعترة الطاهرة، وتمثل بوجود الأئمة الأثني عشر الذين أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامتهم وسماهم بأسمائهم، وأوضح أنهم الأمام علي والحسن والحسين وتسعة من أبناء الحسين عليهم الصلاة والسلام آخرهم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفرج عن الأمة بظهوره، حتى تملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا وضلالا منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وانتشار دعوات التفريق بين الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام إلى يوم قيام القائم عليه السلام، حيث لم تبق فئة من المسلمين تعمل على التمسك بوصية رسول الله والدفاع عن إرادة الله تعالى بولاية أهل البيت وإمامتهم سوى الشيعة، الذين

والوا أمير المؤمنين وأطاعوا الله ورسوله فيه وفي الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، واتبعوهم وانتهجوا نهجهم، واستضاءوا بنورهم واهتدوا بهديهم، وثبتوا وصبروا على ذلك طول السنين ولازالوا على صبرهم وثباتهم حتى يظهر الله وعده ويعز المؤمنين بنصره، إنه لا يخلف الميعاد.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له: اللّهمّ وإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه ولا ينقطع مواده، وانّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ أولئك الأقلّون عدداً والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدين، الأئمة الهادين الذين يتأدّبون بآدابهم وينهجون نهجهم.

فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون وأباه المسرفون، أولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه، ودانوا بالتقيّة عن دينهم والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق، وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويمحق الباطل، ها، ها، طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم.

قال تعالى في سورة النور الآية: ٥٥ ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾.

حتى يردا علي الحوض

ذكرنا فيما سبق أن البداية كانت منذ بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، عندما نصب أمير المؤمنين علياً عليه السلام خاصة عندما قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وعندما أعلن للمسلمين أن علياً عليه السلام وصيه وخليفته من بعده.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى ومن خلال حديث الثقلين وأحاديث أخرى غيره بأنه تارك في المسلمين من بعده كتاب الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام وأمر بالتمسك بهما معا، وربط الكتاب والعترة الطاهرة بالحوض، بعد أن بين ماهية الحوض وأهميته بالنسبة للناس في يوم الموقف العظيم.

ثم أعلن صلى الله عليه وآله أن البداية كانت من هناك من حيث ابتدأت رحلة الثقلين معا الكتاب والعترة الطاهرة، وأعلم الناس أن الكتاب والعترة – أي الثقلين – أثناء تلك الرحلة لن يفترقا ولن يتفرقا، وذكرنا عن أحوال من بقي متمسكا بإرادة الله تعالى ووصية رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وكذلك أحوال من خطط وعمل ولازال يعمل على محاربة الإرادة الإلهية ووصية رسول الله من أجل فصل الكتاب عن العترة الطاهرة والمحافظة على عدم الجمع بينهما.

وكذلك بينا أن التمسك بالثقلين هو أهم سبب من أسباب النجاة، وأفضل ضمانة لإجتناب طريق الضلال والإلتزام بخط الهداية، من أجل الوصول إلى الغاية التي أعلن عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تلك البداية التي ابتدأها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي رحلة الثقلين والتشيع لأمير المؤمنين عليه السلام والتمسك بخط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ونصل هنا في هذه المرحلة من نظراتنا وبحثنا في حديث الثقلين، إلى نهاية الغاية التي توصل إليها رحلة الثقلين وهي الحوض، حيث اللقاء هناك والورود هناك على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فتكشف الحقائق وتتوضح بشكل علني وملموس، فينقسم الناس إلى فئتين فئة الواردين

الشاربين الذين يستقبلهم النبي محمد وأمير المؤمنين علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وأما الفئة الأخرى فهم الذين يذودهم أمير المؤمنين عليه السلام ويمنعهم من الورود على الحوض، ويحال بين الحوض وبينهم، فيحرمون من الشرب منه.

ولذلك فإن من تمسك بالثقلين في الدنيا والتزم إرادة الله تعالى وطبق وصية رسول الله وعرف حقيقة الحوض في الدنيا، فإنه لن يضل طريقه في الدنيا ولن يضل طريق الورود على رسول الله وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام في الآخرة، وكذلك من شرب من حوض الدنيا وكوثرها فإنه لا محالة وارد على الحوض في الآخرة وشارب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

وأما من ترك إرادة الله تعالى ووصية رسوله ولم يتمسك بالثقلين في الدنيا، وسلك طريقا غير مأمون العاقبة، ولم يشرب من حوض علم وهداية أهل البيت في الدنيا فإنه سوف يضل طريق الحوض في الآخرة، ولن يشرب منه وسوف يذاد عنه هناك، حيث ترك ضمانة الهداية وضمانة الورود على الحوض، ولم يتمسك بما أمر الله ورسوله بالتمسك به، وترك طاعة الله ورسوله، فمن ترك تطبيق مضامين حديث الثقلين فإنه هالك لا محالة ولن يرد على الحوض.

علي ساقي الكوثر:

وهنا يجب أن ندرك أن الأدلة الشرعية عند كل طوائف المسلمين جاءت لتؤكد أن الإمام علي عليه السلام هو ساقي الكوثر وهو الذي يعرف أعداءه ومحبيه ويميز بينهم حيث يقرب المحب الموالي ويذود المبغض المنافق، وسأذكر بعضا من تلك الأدلة التي تأكد هذا المعنى.

روى في مجمع الزوائد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (يا رسول الله أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟. قال: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز منها، وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة ثم قرأ رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم :﴿**إخواناً على سرر متقابلين**﴾ لا ينظر أحد في قفا صاحبه. ورواه الطبراني في الأوسط.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: (أنت أمامي يوم القيامة، فيدفع إلي لواء الحمد فأدفعه إليك، وأنت تذود الناس عن حوضي).

وروى في مجمع الزوائد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن حوضي). ورواه الطبراني.

وروى في مجمع الزوائد عن عبد الله بن إجارة بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو على المنبر يقول: (أنا أذود عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الإبل عن حياضهم). ورواه الطبراني

علي قسيم الجنة والنار:

إن كل ما ورد يبين أن قضية ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته هي محور أساسي من محاور يوم القيامة، وهذا ما غفل عنه خلق كثير، حتى أن المسلمين غفلوا عن أن أمير المؤمنين عليه السلام هو قسيم الجنة والنار، أي به يتحدد من كان من أهل الجنة ومن من أهل النار. حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق).

وبالتالي صار من يحب عليا ويواليه في الجنة، ومن يبغضه ويعاديه في النار.

روى في كنز العمال والمناقب للخوارزمي والدارقطني في العلل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال (أنا قسيم النار).

قال بن الأثير والقتيبي (أراد أن الناس فريقان: فريق معي وهم على هُدى، وفريق عليّ وهم على ضَلال، فأنا قسيم النار نصف في الجنة معي ونصف عليّ في النار).

وروى بن كثير في البداية والنهاية وفي فرائد السمطين عن علي عليه السلام أنه قال (أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي).

وروى في بصائر الدرجات عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل، فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يُدخل الجنة من يشاء، و ينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يُدخل النار من يشاء).

وروي في بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال علي عليه السلام (أنا قسيم الجنة و النار، أدخل أوليائي الجنة، و أدخل أعدائي النار).

وروى في بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (أنا قسيم الله بين الجنة و النار، لا يدخلهما داخل إلا على قسمين و أنا الفاروق الأكبر).

وروى في كشف الغمة أن المأمون قال للإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام، (يا أبا الحسن أخبرني عن جدك علي بن أبي طالب عليه السلام، بأيّ وجهٍ هو قسيم الجنّة والنّار. فقال: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله ابن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حُبّ علي إيمان وبغضه كفر. فقال: بلى. قال الرضا عليه السلام: فقسّم الجنة والنّار. فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

وروى في نثر الدرر سئل أحمد بن حنبل عن قول الناس: علي قسيم الجنة والنار فقال (هذا صحيح لأن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، والمؤمن في الجنة والمنافق في النار).

وعلى الأعراف رجال:

ومن أهم مشاهد يوم القيامة التي تبين حقيقة ما ذكرنا، وتبين أهمية تطبيق حديث الثقلين في الدنيا، وأهمية ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وأن تحقيق إمامة أهل البيت في الدنيا هو النجاة في القيامة، ذلك المشهد الذي تصفه سورة الأعراف بشكل واضح جلي، حيث يصف دور أهل البيت عليهم السلام ومحاورتهم الناس يوم القيامة، ويبين دورهم في الأخذ بأيدي شيعتهم إلى الجنة أمام أعدائهم، بعد تلك المحاورة.

وهذه الآيات هي من الآيات التي حاول دعاة فصل الكتاب عن العترة الطاهرة صرف معناها عن المعنى الحقيقي لها، بالرغم من أنها واضحة المعنى والدلالة في أنها تشير إلى مقام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى في سورة الأعراف الآيات: ٤٦ - ٤٩ ﴿**وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون، وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾.

وعلى الأعراف رجال أي على أعراف السور؛ وهي شرفه. ومنه عرف الفرس وعرف الديك.

روى عبدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف الشيء المشرف. وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف سور له عرف كعرف الديك. والأعراف في اللغة: المكان المشرف؛ جمع عرف.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله ﴿**وبينهما حجاب**﴾ قال: هو السور وهو الأعراف، وإنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس.

روى في المناقب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام (أنت يا علي والأوصياء من ولدك أعراف الله بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه).

وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ فقال هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله.

وذكر الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في قول الله عز وجل :﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ .قال: الأعراف موضع عال على الصراط، عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، رضي الله عنهم، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه.

وذكر الشوكاني في فتح القدير في قوله تعالى ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ الأعراف جمع عرف وهي شرفات السور المضروب بينهم ومنه عرف الفرس وعرف الديك والأعراف لغة المكان المرتفع، وهذا الكلام خارج مخرج المدح كما في قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وقال الشوكاني: وقد اختلف العلماء في أصحاب الأعراف من هم؟. فقيل هم الشهداء. وقيل هم فضلاء المؤمنين فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس. وقيل هم قوم أنبياء. وقيل هم العباس وحمزة وعلي وجعفر الطيار يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسوادها.

ونعود إلى تفسير الآيات، يقول تعالى ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ أي على شرفات سور الأعراف وعلى أعلى وأشرف موقع منه، وهذا يدل على رفعة وعلو مقام من يقف عليه، ويشرف على الناس منه، ولذلك قال في وصفهم أنهم رجال، وكلمة رجال هنا هي على سبيل التدليل بنوعية من يقف على شرفات الأعراف، وأنهم من نوع خاص من الرجال فهي على سبيل المدح، ففي القرآن الكريم غالبا ما تأتي كلمة رجال ويراد بها معنى شرعيا خاصا كآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

﴿**يعرفون كلا بسيماهم**﴾ أي أنه من أوصاف أولئك الرجال أنهم خبراء في أحوال الناس، يعرفون المحب من المبغض، وهذا لا ينطبق إلا على النبي

والإمام علي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وإلى ذلك أشارت الأحاديث الشريفة عند كل المسلمين، فيعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسوادها، قال تعالى في سورة آل عمران الآيات ١٠٦-١٠٧ ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه،فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون**﴾.

ثم يقول تعالى ﴿**ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**﴾ أي أن أصحاب الأعراف من الأئمة من آل محمد ينادون على المؤمنين، ويحيونهم في ذلك الموقف العظيم، ويُطَمئِنون المؤمنين أتباعهم وأشياعهم وكذلك المؤمنين الذين استوت سيئاتهم وحسناتهم، بأن شفاعة أهل البيت سوف تنالهم، ويدخلون الجنة بإذن الله بعد أن يبدل الله سيئاتهم حسنات بسبب حبهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

قال تعالى في سورة الفرقان الآية: ٧٠ ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما**﴾.

روى في تفسير الصافي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، حبنا أهل البيت يكفر الذنوب، ويضاعف الحسنات، وإن الله ليتحمل من محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد، إلا ما كان منهم على إضرار وظلم للمؤمنين، فيقول للسيئات كوني حسنات..

وروى في الأمالي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل ﴿**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾، فقال يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، لا يطلع على حسابه أحدا من الناس، فيعرفه ذنوبه حتى إذا أقر بسيئاته، قال الله عز وجل للكتبة بدلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة.

لكن أؤلئك المذنبين من شيعة أهل البيت، لم يتكلوا على أعمالهم في دخول الجنة، وإنما كانوا يطمعون بشفاعة أئمتهم عليهم السلام، التي كانوا يطمعون بها في الدنيا وفي الموقف العظيم، والتي تؤهل الموالين إلى دخول الجنة، ولكنهم كانوا ينتظرون انتهاء الحوار بين أئمتهم وبين أعدائهم الظالمين لهم، وفي هذه الأثناء كانوا ينظرون إلى أصحاب النار أعداء الإرادة الإلهية وأعداء وصي رسول الله الذين ظلموا وآذوا الله ورسوله في أهل البيت، ﴿**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**﴾ أي ربنا وإن كنا مقصرين في كثير من الأعمال فلقد كنا من المؤمنين الذين أطاعوا إرادتك وطبقوا وصية رسولك ووالينا أمير المؤمنين وعادينا أعداءه، ربنا فلا تجعلنا مع أولئك الظالمين الذين ظلموا محمدا وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

﴿**ونادى أصحاب الأعراف**﴾ والمنادي هنا هم آل محمد الذين هم أصحاب الأعراف وسادته ﴿**رجالا يعرفونهم بسيماهم**﴾ لأن أصحاب الأعراف أهل العلم والمعرفة، يعرفون محبيهم من مبغضيهم، فينادون على رجال من عتاة مبغضيهم وعلى ظالميهم وظالمي شيعتهم، يعرفونهم بعلامات معينة منها سواد وجوههم، فيقولون لهم ﴿**ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون**﴾ أي ما الذي استفدتم من جمعكم الذي جمعتموه ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام في المعارك التي جمعتم وحشدتم ضده، وما أغنى عنكم جمعكم الذي جمعتم ضد الإمام الحسن وضد الإمام أبي عبد الله الحسين في كربلاء، وما أغنت عنكم جموعكم التي جمعتموها ضد أهل البيت وضد فكرهم وثقافتهم المحمدية البيضاء، وقد كنتم استكبرتم وترفعتم عن طاعة الله في إرادته، وتركتم وصية نبيكم في إمامة أمير المؤمنين، ونقضتم كل العهود التي قطعتموها لرسول الله، ثم لم تستكفوا بذلك بل إنكم ظلمتم أهل البيت وقتلتموهم، وظلمتم أتباعهم، واستهزأتم بهم، وكفرتموهم وصددتم الناس عنهم وعن سبيلهم. لكنهم صبروا وثبتوا على إيمانهم مقابل ظلمكم وحشودكم وجمعكم، إنهم اليوم هنا بعد رحلة طويلة من الإيمان والإخلاص والولاء والطاعة والإلتزام بالثقلين وبحب أصحاب

وسادة الأعراف أهل البيت عليهم السلام، ثم يقول الأئمة عليهم السلام للظالمين والمنافقين، وهم يشيرون إلى المؤمنين أشياعهم ﴿**أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته**﴾ أي أيها الظالمون لمحمد وأهل بيته وشيعتهم، أهؤلاء أي شيعة أهل البيت، الذين استهزأتم بهم، وحكمتم عليهم بالكفر، واستبعدتم أن تنالهم رحمة الله تعالى، هاهم انظروا إليهم، هؤلاء هم شيعة محمد وأهل بيت محمد.

ثم يتوجه أصحاب وسادة الأعراف بالكلام إلى شيعة أهل البيت عليهم الصلاة والرحمة و السلام، قائلين لهم ﴿**ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾.

وهنا ينتهي هذا المشهد الرائع من سورة الأعراف الذي يقسم فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام الناس يوم القيامة، فيدخل المحبين إلى الجنة والمبغضين الظالمين إلى النار، فكما وصفت الأحاديث التي ذكرنا جملة منها أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار، وكانت هذه الآيات من سورة الأعراف تؤكد نفس المعنى وبشكل أوسع.

أئمتنا من أهل البيت وفدنا إلى الله:

ثم إن كل الناس يوم القيامة يأتون على الحوض، يتقدمهم أئمتهم الذين كانوا يقتدون بهم في الدنيا، فمن كان إمامه في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه في يوم القيامة أيضا إمامه يرد عليه الحوض ويعرفه، ويقدمه ويسقيه، فإمامه هو صاحب الأمر على الحوض، وهو الساقي بأمر الله عليه، الذي يقرب من تمسك به ووالاه واهتدى بهديه في الدنيا كما أمر الله تعالى ورسوله الكريم. ويذود من خالف أمر الله وترك وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وترك التمسك بولايته وإمامته عليه السلام في الدنيا أثناء رحلة الثقلين إلى الحوض.

قال تعالى في سورة الإسراء الآية: ٧١ ﴿**يوم ندعوا كل أناس بإمامهم**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾ قال: إمام هدى وإمام ضلالة.

وروى السيوطي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (اجعلوا أئمتكم خياركم؛ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون).

فالقضية يوم القيامة ليست الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، فكل المسلمين يوم القيامة يقبلون على الله تعالى وهم مؤمنون بنبوة محمد، ولا يختلف في ذلك أحد، وإنما القضية يومئذ في مضمون الرسالة المحمدية وهو الإمامة وما يتعلق بها، وهي القضية التي اختلف المسلمون فيها، وهو ما بينته الآية السابقة والحديث المذكور.

أحوال المخالفين على الحوض:

تلك كانت بعض أحوال من أقبل على الله يوم القيامة مطيعاٍ لإرادة الله تعالى متمسكا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ملتزما بإمامة أمير المؤمنين علياً عليه السلام والأئمة من ولده، راكبا سفينة أهل البيت عليهم السلام مستنيراً بمصابيح الهدى مقتديا بأعلام الورى محبا لهم ولأوليائهم، معاديا لأعدائهم، لا يخشى في الله لومة لائم.

وأما بالنسبة لأحوال المخالفين، الذين لم يطيعوا الله تعالى في إرادته، ولم يلتفتوا إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وتركوا التمسك بأهل البيت وإمامتهم، ونقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل بيعة الغدير وبعدها، فإن حالهم مختلف عن حال المؤمنين، وسيكون ورودهم على الحوض وكشف أحوالهم هناك صدمة شديدة لمن والاهم، واقتدى بتركهم ورفضهم ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، كما أمر الله تعالى وأوصى رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا ما ينبه المسلمين لتلك الحقيقة في كل الأحوال وفي الحل والترحال، وهي حقيقة الورود على الحوض، وأهمية ذلك اليوم العظيم وعلاقة الورود على الحوض والشرب منه مع أهل البيت والتمسك بهم وولايتهم ومتابعتهم والإقتداء بنورهم وهديهم.

ومما يدلل على أهمية أية موضوع، كثرة التحدث عنه ولفت النظر إليه، وهذا ما أكدت عليه مئات الروايات التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ربطت موضوع الحوض وعلاقته بولاية أهل البيت عليهم السلام، وأن العنوان الكبير لصحائف الناس يوم القيامة وعلى الحوض هو حب علي وولايته أو بغض علي ومعاداته.

فقد روى في كنز العمال، والسيوطي في الجامع الصغير، والمناوي وغيرهم كثير عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب).

ولذلك فإنني سوف أتعرض لبعض الروايات التي تتعلق بالمعنى الذي ذهبنا إليه.

وتبين كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يربط عشرات الأوامر والنواهي بقضية الحوض والورود عليه أو التحذير من عدم الورود عليه وإليك جملة منها على سبيل المثال وليس الحصر.

روى السيوطي في الجامع الصغير عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله (عفوا تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض).

وروى الحاكم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (إنه سيكون أمراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم، ولا تعينوهم على ظلمهم، فإنه من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلن يرد علي الحوض).

وروى في كنز العمال عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (صنفان من أمتي لا يردان علي الحوض ولا يدخلان الجنة: القدرية والمرجئة).

وروى في كنز العمال عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اسمعوا قلنا سمعنا قال: اسمعوا ثلاثا، إنه سيكون عليكم أمراء

يكذبون ويظلمون فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولا أنا منه ولن يرد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض).

وروى في كنز العمال عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ليتني أرى إخواني وردوا علي الحوض، فأستقبلهم بالآنية فيها الشراب فأسقيهم من حوضي قبل أن يدخلوا الجنة، قيل: يا رسول الله، ألسنا أخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني من آمن بي ولم يرني).

وروى السيوطي في الجامع الصغير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لتزدحمن هذه الأمة على الحوض ازدحام إبل وردت لخمس).

وروى الحاكم في المستدرك عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال،قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (أولكم واردا على الحوض، أولكم إسلاما، علي بن أبي طالب).

وروى البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للأنصار (إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الحوض، قال أنس: فلم نصبر).

كانت تلك بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يحث الناس على أن يهتموا بقضية الورود على الحوض في الآخرة، حيث أظهر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، ارتباط الحوض ارتباطا وثيقا مع أمير المؤمنين عليه السلام ومع أهل البيت ومع أهم قضية محورية عند المسلمين وهي ولاية أهل البيت وإمامتهم، ولذلك قال في حديث الثقلين عن الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام أنهما لن يفترقا ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، وأن القضية الأساسية في ذلك الموقف العظيم، هي مظلومية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد ورد في صحاح ومسانيد أهل السنة والجماعة وبشكل لايقبل التأويل ما يبين ذلك المعنى ويؤكد عليه.

فقد روى البخاري في صحيحه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة).

وأما لوصف حال من يذاد عن الحوض من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحال من غير وبدل ونقض عهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يتمسك بإمامته وإمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، بل وعمل على طمس حقوقهم وأحقيتهم، وظَلَمَهُم وآذاهُم، وعمل على الفصل والتفريق بين الكتاب والعترة الطاهرة، وصد عن سبيل إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فإليك جملة يسيرة مما ورد عند أهل السنة والجماعة من أحاديث تبين حقيقة أمر أولئك.

روى الطبري في جامع البيان عن قتاده، في قوله تعالى :﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ ... الآية، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقولن رب أصحابي أصحابي، فليقالن إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وقوله :﴿**وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله**﴾ هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل :﴿**ففي رحمة الله هم فيها خالدون**﴾.

وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يرد علي الحوض رجال من أصحابي، فيحلَّؤون عنه، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى).

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي، اختُلِجوا دوني، فأقولن أي رب أصيحابي أصيحابي، فيقالن لي، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

وروى البخاري في صحيحه عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول:

سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم

ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم). قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدِّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: (إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي).

وروى أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (فأقول أصحابي أصحابي فقيل إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك قال فأقول بعدا بعدا أو قال سحقا سحقا لمن بدل بعدي).

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين**﴾ .وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن إناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح :﴿**وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله – الحكيم**﴾.

لاحظوا الروايات بشكل دقيق ومنصف، إنها تبين نوعية أولئك الذين يذودهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الحوض في القيامة، إنهم كانوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين رآهم في حياته وعاش معهم وصحبهم، وهم الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الثامن عشر من ذي الحجة يوم خطبة الغدير، عندما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليا عليه السلام إماما لكل المسلمين من بعده، فبايعه المسلمون على ذلك، لكن الكثير من الصحابة انقلب على تلك البيعة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وغيروا وبدلوا ونقضوا عهودهم، وأنكروا ما عاهدوا الله ورسوله والمؤمنين عليه، وعملوا على التفريق بين الكتاب والعترة، وأعلنوا ذلك عندما رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، ونسوا حظا مما ذكروا به، ورفضوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام التي كانت عن إرادة إلهية صريحة لطالما بينها رسول الله صلى الله عليه وآله من بداية بعثته وحتى آخر لحظة من حياته.

قال تعالى في سورة المائدة الآية ١٣ ﴿**ونسوا حظا مما ذكروا به**﴾ .روى الطبري وغيره في معنى الآية عن الحسن، قال: تركوا عرى دينهم ووظائف الله جل ثناؤه التي لا تقبل الأعمال إلا بها.

وروى السيوطي والطبراني وغيرهما كثير عن بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعافاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل).

أما فيما يتعلق بنقض العهود وعرى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد وردت عشرات الآيات والأحاديث في ذلك أقدم جملة مختصرة جدا منها.

روى الحاكم في المستدرك عن بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليكونن أئمة مضلون، وليخرجن على أثر ذلك الدجالون الثلاثة. (وروى أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك والسيوطي وصححه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، و آخرهن الصلاة).

وقال تعالى في سورة البقرة الآية: ٢٧ ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون**﴾.

ولذلك كانت تلك الأحاديث التي ذكرنا قسما منها، تبين حال أولئك الصحابة المبدلين ومن اقتدى بهم ممن جاء بعدهم، حيث تصف الأحاديث طرد أولئك عن الحوض، لأنهم رفضوا الورود عليه في الدنيا وفرقوا الناس عنه، وصدوا عن سبيله، فهم اليوم يذادون عن الحوض في الآخرة ويحال بينهم وبينه، وتتكشف أحوالهم على حقيقتها في ذلك الموقف العظيم، حيث ينادى على الملأ هناك، أن هؤلاء غيروا وبدلوا بعد رسول الله، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم، سحقا سحقا.

والعجيب في الأمر أن كل تلك الأحاديث التي تدعوا للتمسك بأهل البيت عليهم السلام، والتي تربط بين الحوض وأهل البيت، وتلك التي تبين حال المخالفين، قد سمعها ووعاها أولئك الصحابة ومن تبعهم، لكنهم أصروا على محاربة الإرادة الإلهية ووصية رسول الله، وكان همهم العمل على فصل وتشتيت أمر الله والصد عنه، ولولا إرادة الله تعالى والتأكيد من رسول الله كما في حديث الثقلين على أن الكتاب والعترة لن يفترقا ولن يتفرقا حتى يردا على رسول الله وهو على الحوض، لنجح أولئك في إرادتهم، وانتهى أمر الدين إلى أبد الآبدين.

لكن تمسك أهل البيت وشيعتهم بالكتاب والعترة الطاهرة معا والعمل على حمايتهما والدفاع عنهما، هو الذي أظهر حقيقة تلك الإرادة الإلهية وإظهارها في كل زمان ومكان، فإن القوة لله جميعا وهو فوق كل ذي علم عليم، وبقيت الحقيقة واضحة المعالم، بأن كتاب الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام لن يتفرقا حتى يردا على الحوض معا، ولن تفلح شعارات المبغضين، ولا مخططات الحاسدين، ولا كل ما فعلوا للصد عن سبيل أهل البيت عليهم السلام، ولينصرن الله من ينصره، ويقف معه لنصرة إرادته، ورفع شأن من رفع الله شأنهم، يوالي من والوا، ويعادي من عادوا، وسوف يكون إن شاء الله تعالى من الواردين على الحوض، الشاربين منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

وإني سائلكم كيف تخلفوني فيهما

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي).

بعد أن بين رسول الله صلى الله عليه وآله الإرادة الإلهية، وأوصى المسلمين بالتمسك والعمل بها، وحث على حب ومودة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم والإقتداء بهم، وعين للأمة وبأمر من ربه اثني عشر إماما معصوما من أهل

البيت، أولهم أمير المؤمنين وآخرهم الإمام المهدي عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليم، وأمر الناس بمتابعتهم والإقتداء بهديهم، وبين أنهم سبيل النجاة، ومن تمسك بهم وركب سفينتهم فإنه لن يضل أبدا، ثم بين رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كل ذلك البيان الواضح أن الإرادة الإلهية في أن الكتاب والعترة الطاهرة لا يمكن لهما أن يتفرقا، ولا يستطيع أحد مهما فعل أن يفرقهما.

ثم يكمل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك البيان الشافي وصيته من خلال حديث الثقلين، فيبين أنه يوم القيامة وعندما يرد الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت على رسول الله على الحوض، حيث أنهما أول الواردين، سوف يسأل المسلمين في ذلك الموقف العظيم وبتكليف من الله تعالى عن الكتاب والعترة، حيث يكون السؤال الأساسي والمصيري هناك، كيف أخلفتموني في أهل بيتي؟ وماذا فعلتم بوصيتي؟. هل أطعتم إرادة الله تعالى وطبقتموها؟. ماذا فعلتم من بعدي في أهل بيتي؟. من منكم أيها المسلمون والاهم ووالى أولياءهم، وعادى أعداءهم؟. من منكم نصرهم ونصر أولياءهم؟. من منكم عادى أهل البيت وظلمهم وآذاهم، ووالى أعداءهم؟. من منكم خذل أهل البيت ولم ينصرهم، بل وصد عن سبيلهم؟. من منكم حارب إرادة الله تعالى ووصية رسوله في ولاية وإمامة أهل البيت؟. من منكم أوفى بعهده مع الله تعالى، ومن منكم نقض عهده وأنكره؟.

إذن علينا أن ننتبه إلى أن السؤال سوف يتركز على حب وولاية وإمامة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وعن البراءة من أعدائهم، لأنه وكما ذكرنا في البحث السابق أن أمير المؤمنين عليه السلام هو قسيم الجنة والنار، وأن عنوان صحيفة المؤمن حب علي عليه السلام، وأن حبه إيمان وبغضه كفر ونفاق، وأنه عليه السلام أول من يجثو للخصومة يوم القيامة، يخصم أعداءه ومبغضيه وظالميه الذين سلبوا حقه وأنكروه، ورفضوا الإعتراف بحقوقه وأحقيته، وتركوا نعمة الله عليهم وقابلوها بالجحود والنكران والكفر.

إنهم سوف يسألون هناك عن وليهم وإمامهم وولي نعمتهم، عن أمير المؤمنين وعن فاطمة الزهراء وعن الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، وعن الأئمة من أهل البيت التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام، ولن يكون هنالك مجال لنكران الحقيقة وطمسها وإخفاءها عن الناس، بل إن الحقيقة هناك هي التي ستطغى على أجواء ذلك الموقف العظيم، فمن أحسن في الدنيا فقد أحسن لنفسه ومن أساء فعليها، وما الله بغافل عما فعل ويفعل الظالمون.

ولقد بينت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة موضوع السؤال هناك من خلال نصوص متعددة ترتبط كلها ارتباطا وثيقا بعبارات حديث الثقلين، نبين بعضا منها حتى يستطيع القارئ رؤية الإرتباط الوثيق بينها، وتعظم القناعة في محورية حديث الثقلين ومركزيته في العقيدة والأحكام الإسلامية.

يقول الله تعالى في سورة الصافات. الآيات ٢٢ -٣٥ ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم، وقفوهم إنهم مسؤولون، ما لكم لا تناصرون، بل هم اليوم مستسلمون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين، وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين، فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون، فأغويناكم إنا كنا غاوين، فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون، إنا كذلك نفعل بالمجرمين، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾.

روى القمي في تفسير قوله تعالى ﴿**احشروا الذين ظلموا**﴾.

قال الذين ظلموا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم، وأزواجهم أي وأشباههم وروى الديلمي في مسند الفردوس، والحسكاني في شواهد التنزيل، عن أبي سعيدالخدري، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال (وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب).

وروى بن حجر في الصواعق المحرقة عن الديلمي، قال :﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾، أي عن ولاية علي و أهل البيت عليهم السلام، لأن الله أمر نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أن يُعَرِفَ الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا إلا

المودة في القربى، و المعنى انهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم، أم أضاعوها و أهملوها فتكون عليهم المطالبة و التبعة.

وروى الإمام الواحدي قال (إنهم مسؤولون عن ولاية علي وأهل البيت، فيكون الغرض من قوله، وانكم مسؤولون، تهديد أهل الخلاف لوليه ووصيه).

وقال تعالى في سورة التكاثر الآية ٨ ﴿**ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**﴾.

روى القمي عن الإمام الصادق عليه السلام قال (تسأل هذه الامة عما أنعم الله عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأهل بيته).

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له قال: (أن النعيم الذي يسأل عنه، رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حل محله من أصفياء الله، فإن الله أنعم بهم على من اتبعهم من أوليائهم).

وروى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله أبو حنيفة عن هذه الآية فقال له (ما النعيم عندك يا نعمان؟. قال القوت من الطعام والماء البارد. فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه، حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولن وقوفك بين يديه. قال فما النعيم جعلت فداك؟. فقال نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للاسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام).

وفي رواية أنه عليه السلام قال له (بلغني أنك تفسر النعيم في هذه الآية بالطعام والطيب والماء البارد في اليوم الصائف، قال نعم، قال لو دعاك رجل وأطعمك طعاما طيبا وسقاك ماءا باردا ثم امتن عليك به، إلى ما كنت تنسبه؟. قال إلى البخل. قال أفيبخل الله تعالى؟. قال: فما هو؟. قال حبنا أهل البيت).

وفي العيون عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ليس في الدنيا نعيم حقيقي. فقال له بعض الفقهاء ممن حضره فيقول الله تعالى ﴿**ثم لتسئلن يومئذ عن**

النعيم﴾ .أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد؟. فقال له الإمام الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة هو الماء البارد، وقال غيرهم هو الطعام الطيب، وقال آخرون هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن أبي عبد الله عليهم السلام (إن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عز وجل ﴿**ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم**﴾، فغضب وقال إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم بذلك، ولا يمن بذلك عليهم، والإمتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوق به؟. ولكن النعيم، حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفى بذلك، أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول).

وروى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الاية قال (إن الله عز وجل أعز وأكرم من أن يطعمكم طعاما فيسوغكموه، ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد عليهم السلام).

وروى الكليني في الكافي عن أبي خالد الكابلى قال: (دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغداء فأكلت معه طعاما ما أكلت طعاما قط أنظف منه ولا أطيب، فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد، كيف رأيت طعامك أو قال طعامنا؟. قلت جعلت فداك ما رأيت أطيب منه ولا أنظف قط، و لكنى ذكرت الآية التي في كتاب الله عز وجلّ لتسئلن يومئذ عن النعيم، قال أبو جعفر عليه السلام لا إنَّما تسألون عما أنتم عليه من الحق).

ومما يدل على أن النعيم هو ما أنعم الله علينا بمحمد وآل محمد، والنعمة هي ولاية أمير المؤمنين وإمامته، وإمامة وولاية الأئمة من ولده عليهم السلام، هو قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٣ ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

وقوله تعالى في سورة إبراهيم الآية ٢٨ ﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، وابن مردويه والحاكم وصححه من طرق، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله :﴿**ألم ترى إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا**﴾ قال: هما الأفجران من قريش، بنو أمية وبنو المغيرة. فأما بنو المغيرة، فقطع الله دابرهم يوم بدر. وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

وروى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام، أنه سئل عن ﴿**الذين بدلوا نعمة الله كفرا**﴾ قال: بنو أمية وبنو مخزوم.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية ٢١١ ﴿**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب**﴾.

وقال تعالى في سورة المائدة الآية ٧ ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور**﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف الآيتان: ٦ – ٧ ﴿**فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين**﴾.

أي أنه سوف يسألهم عن عهودهم التي قطعوها وعن شهادتهم بما أشهدوا أنفسهم عليه، وأنه سوف يسأل الأنبياء والرسل وهو أعلم، هل بلغتم إرادتي للناس، وينطبق السؤال هنا أيضا على آية التبليغ عندما قال تعالى في سورة المائدة الآية ٦٧ ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ .ومعلوم أن الآية نزلت لإعلان ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الولاية وأعلنه من خلال حديث الولاية المشهور، ثم نزلت بعد ذلك التبليغ آية إكمال الدين وتمام الحجة.

ولا تعنى آية التبليغ كتمان شيء من أمور الدين، وإنما من أجل إقامة الحجة على الناس في ولاية وإمامة علي عليه السلام، فلله الحجة البالغة، وسؤال الأنبياء لايعني التقصير وإنما من أجل الإشهاد وإقامة الحجة على الناس، ومن أجل تبيان عظمة وأهمية ما يريد الله تبليغه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك فإن الله تعالى يخاطب أنبياءه ورسله بما يشاء من أجل تبليغ الرسالة، ويشبه ذلك قوله تعالى في سورة المائدة الآية ١١٦ ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**﴾.

فلم يكن سؤال عيسى بن مريم عليه السلام توبيخا أو تهمة له، لأن الله تعالى يعلم وهو علام الغيوب أن نبي الله عيسى عليه السلام لم يقل للناس ذلك ولا يمكن له أن يقول ذلك، وقد أجاب نبي الله عيسى عليه السلام بقوله ﴿**إن كنت قلته فقد علمته**﴾ فرد ذلك إلى علمه تعالى، وقد كان الله عالما به أنه لم يقله ولكنه سأله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى إلها، ومن أجل أن تكون الحجة أبلغ وأقوى.

وقد استشهد رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآيات عندما أراد أن يحذر أصحابه وينبه أسماعهم إلى واقع السؤال والحال كيف يكون عند الحوض، فأظهر صلى الله عليه وآله أنه سوف يطالب بأصحابه، وكأنه لا يدري حالهم، فيتفاجأ بانقلابهم من بعده، فيقول سحقا سحقا ويستشهد بما حصل مع نبي الله عيسى، وهذا الإخبار بهذه الطريقة هو من أجل إقامة الحجة والبرهان.

روى الحاكم والبخاري ومسلم وغيرهم كثير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يؤخذ بناس من أصحابي ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم ﴿**وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني، كنت أنت الرقيب عليهم**﴾.

ونعود إلى الموضوع والآية التي تعنى بالسؤال، فقد روى السيوطي قي الدر المنثور قال أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس ﴿**فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين**﴾ قال: نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلغوا ﴿**فلنقصن عليهم بعلم**﴾ قال: يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون.

وقال تعالى في سورة الحجر الآيتان: ٩٢ - ٩٣ ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون**﴾.

روى القرطبي في الجامع قال، قوله تعالى :﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين**﴾ أي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا. وفي صحيح البخاري: وقال عدة من أهل العلم في قوله ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ .عن لا إله إلا الله.

قلت: وهذا قد روي مرفوعا، روى الترمذي الحكيم قال: حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ قال: عن قول لا إله إلا الله، قال أبو عبدالله: معناه عندنا عن صدق لا إله إلا الله ووفائها، وذلك أن الله تعالى ذكر في تنزيله العمل فقال :﴿**عما كانوا يعملون**﴾ ولم يقل عما كانوا يقولون.

ومعلوم أن الله تعالى قد قرن بين كلمة التوحيد وأهل البيت عليهم السلام، وجعل الإيمان بولاية أهل البيت وحقهم وأحقيتهم شرطا أساسيا لقبول كلمة التوحيد، فلا يقبل الإسلام إلا بشهادة التوحيد مقترنا معها الشهادة بالرسالة لمحمد صلى الله عليه وآله، ومعنى الشهادة بالرسالة طاعة رسول الله في كل ما يقول أو يأمر، فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

روي في مصادر أهل السنة والشيعة حديث السلسلة الذهبية عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن أجداده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عزوجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن (من) عذابي، فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها.

وفي رواية أخرى (ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي).

ومعنى الحديثين أن التوحيد وولاية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام هما حصن الله تعالى، وأن موضوع الولاية يساوي في المستوى منزلة التوحيد.

قال تعالى في سورة القصص الآيات: ٦٢ – ٦٧ ﴿**ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون، ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين، فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون، فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين**﴾.

ذكر القرطبي في الجامع عند قوله تعالى ﴿**ماذا أجبتم المرسلين**﴾ أي يقول الله لهم ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي .﴿**فعميت عليهم الأنباء يومئذ**﴾ أي خفيت عليهم الحجج، قاله مجاهد، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة و"الأنباء" الأخبار؛ سمى حججهم أنباء لأنها أخبار يخبرونها ﴿**فهم لا يتساءلون**﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج؛ لأن الله تعالى أدحض حججهم؛ قاله الضحاك وقال ابن عباس: "لا يتساءلون" أي لا ينطقون بحجة.

قارن أخي الكريم بين الآيات التي تحمل في موضوعها ومضمونها معنى السؤال وحقيقته وحقيقة المسؤول عنه مع عبارة وإني سائلكم كيف تخلفوني فيهما الواردة في حديث الثقلين، تجد ارتباطا واضحا بينا في موضوع السؤال ومضمونه وإن السؤال المحوري هناك عن أهل البيت عليهم السلام، وسيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أخلفتموني فيهما أي بالثقلين كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة المطهرة من أهل البيت عليهم السلام.

ثم إليك أخي الكريم آية المودة والتي ترتبط أيضا بموضوع ومضمون السؤال في مواقعه المختلفة. وذلك واضح من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله، بان قل لهم يا محمد أنني لا أسألكم أجرا على الرسالة، وإنما سوف أسألكم عن مودة أهل بيتي وأسالكم عن حبهم وولايتهم وإمامتهم، وأسألكم كيف أخلفتموني فيهم، فحبهم وولايتهم وإمامتهم هو أجر الرسالة.

وبعد أن بينت الآية أجر الرسالة وأن السؤال هو عن أهل البيت عليهم السلام، حثهم مرة أخرى على اقتراف الحسنة وهي ولاية أهل البيت كما بينا في أكثر من موضع، وأن من اقترف حب وولاية وإمامة أهل البيت عليهم السلام فسوف يزيده الله بأن يغفر الله تعالى له ويبدل سيئاته حسنات، ويزيده من فضله إنه غفور شكور.

قال تعالى في سورة الشورى الآية: ٢٣ ﴿**ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور وغيره كثير قال أخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى**﴾ أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها.

وأخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير ﴿**إلا المودة في القربى**﴾ قال: قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج ابن جرير عن أبي الديلم، قال: لما جيء بعلي بن الحسين عليه السلام أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أقرأت آل حم؟ قال: لا. قال: أما قرأت ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى**﴾ قال: فأنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﴿**ومن يقترف حسنة**﴾ قال: المودة لآل محمد.

وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي والحاكم، عن المطلب بن ربيعة،قال: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودر عرق بين عينيه، ثم قال: والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان، حتى يحبكم لله ولقرابتي.

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي، عن زيد بن أرقم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أذكركم الله في أهل بيتي.

وأخرج الترمذي وحسنه وابن الأنباري في المصاحف، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وأخرج الترمذي وحسنه والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي.

وأخرج ابن عدي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق.

وأخرج الطبراني، عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد، إلا ذيد يوم القيامة بسياط من نار.

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل، إلا أدخله الله النار.

وأخرج الطبراني والخطيب من طريق أبي الضحى، عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إنك قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يبلغوا الخير أو الإيمان حتى يحبوكم.

وأخرج الخطيب من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنا لنعرف الضغائن في أناس من قومنا، من وقائع أوقعناها، فقال: أما والله إنهم لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم، لقرابتي، ترجو سليم شفاعتي، ولا يرجوها بنو عبد المطلب.

سؤال القبر:

وإذا ربطنا بين الآيات والأحاديث التي ذكرناها وبين حديث الثقلين المتواتر، في العلاقة بينها وبين السؤال في القبر وما سوف نسأل عنه في القبر، فإننا نجد أيضا أن هناك حقيقة أخرى متعلقة بنفس حقيقة السؤال الذي ورد في الآيات وحديث الثقلين، تلك الحقيقة التي غيبها الصادون عن سبيل الله وهو سبيل أهل البيت عليهم السلام كما غيبوا غيرها من الحقائق، حيث أنهم أخفوا سؤالا هاما وأساسيا من ضمن الأسئلة التي سوف نسأل عنها في القبر، وهو السؤال المتعلق بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته.

فبالرغم من إخفاء وطمس تلك الحقيقة، فقد وردت في أحاديث طوائف المسلمين روايات كثيرة تؤكد السؤال عن الإمامة والولاية في القبر، وحتى أنه ورد أن جواب السؤال هو من أسباب النجاة من عذاب القبر.

روى في ميزان الحكمة عن الإمام الصادق عليه السلام فتقول: (يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجه، وصيامه، وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية عن جانب القبر للأربع، ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (أول ما يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله عز وجل، الصلوات المفروضات، وعن الزكاة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج، وعن ولايتنا أهل البيت، فان أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، فان لم يقر بولايتنا بين يدي الله عز وجل لم يقبل منه شيئا من اعماله).

وروي في مسند الإمام علي عليه السلام عن رزين بن حبيش، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إن العبد إذا دخل حضرته أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير، فأول ما يسألانه عن ربه، ثم عن نبيه، ثم عن وليه، فان أجاب نجا وان عجز عذّباه، فقال له الرجل لمن عرف ربه ونبيه ولم يعرف وليه؟ فقال: مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا**﴾ ذلك لا سبيل له، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وآله: من الولي يانبي الله؟ قال: وليكم في هذا الزمان علي عليه السلام، ومن بعده وصيه، ولكل زمان عالم يحتجّ الله به لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياؤهم ﴿**رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى**﴾ تمام ضلالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله ﴿**فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى**﴾ فإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً، فعرفهم الله بذلك، والأوصياء أصحاب الصراط وقوف عليه لا يدخل الجنة إلاّ من عرفهم ويعرفوه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه، لأنهم عرفاء الله عرفهم عليهم عند أخذ المواثيق عليهم ووصفهم في كتابه فقال جلّ وعزّ :﴿**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**﴾ هم الشهداء على أوليائهم والنبي الشهيد عليهم، أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله عليهم المواثيق بالطاعة، فجرت نبوته عليهم وذلك قول الله :﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهِيد وَجِئْنَا بِكَ عَلى هؤُلاَءِ شَهِيداً، يَوْمَئِذ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً**﴾.

فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم

بعد أن بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله إرادة الله تعالى في الكتاب والعترة وأوصى المسلمين بالتمسك بهما معا، وبين بداية رحلة الثقلين إلى آخر محطة فيها، وأعلم كل من سمعه أن التمسك بهما هو الهداية إلى طريق الحق والى الصراط المستقيم، ثم طمئن من سمعه بأن الكتاب والعترة لن يتفرقا ولن يفترقا.

وبعد ذلك حذر صلى الله عليه وآله بأنه سوف يسأل الناس ماذا فعلوا بأهل البيت حتى يتقرر مصير كل واحد منهم عند آخر محطة من رحلة الثقلين، فإن كان ممن والى وأحب أهل البيت عليهم السلام كان مؤمنا ومآل المؤمن إلى الجنة، وإن كان مبغضا معاديا جاحدا حقوق أهل البيت وأحقيتهم كان منافقا أو كافرا والمصير إلى النار والعياذ بالله.

ثم بعد أن أتم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الشرح المفصل والبلاغ المبين، وإذا به يوصى المسلمين بوصية أخرى تتعلق بالكتاب والعترة الطاهرة، وكأنه يحذر المسلمين من حال معين قد يقع المسلمون فيه ويطبقونه، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أعطاه الله تعالى علم الأولين والآخرين ببيان تلك الإشارات المتعلقة بذلك الحال، حتى يتقوا ذلك المحذور ولا يقعوا فيه.

وكان بيان ذلك الحال من خلال عبارة فلا تقدموهما أي الكتاب والعترة فتهلكوا وفي روايات لتهلكوا، ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا وفي رواية فتزلوا وفي رواية أخرى فتضلوا، ولاتعلموهم أي العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، فإنهم أعلم منكم حيث أن الكتاب هو القرآن الصامت وأهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق.

ومعنى لا تقدموهما أنه أثناء رحلة الثقلين إلى الحوض، اجعلوا الكتاب والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام دائما في المقدمة فلا تتقدموا عليهما ولا تتكبروا عليهما ولا تترفعوا عن الإقتداء بهما والإهتداء بهديهما، اجعلوهما أئمتكم حتى يكونا وفدكم إلى الله تعالى حتى يترافعا لكم بين يدي الله تعالى

وتنالوا الشفاعة بهما، وإنكم إن لم تفعلوا ذلك وتجعلوهما في المقدمة، فإن الهلاك مصيركم.

وكذلك لا تتأخروا عنهما أي لا تنحوهما جانبا أو تتركوا اتباعهما والإقتداء بهديهما الرباني المعصوم فبالتالي تزلوا وتضلوا وتهلكوا.

ولاتعلموهم أي لاتتركوا التعلم منهم والأخذ منهم واتباعهم، وتتعلموا من آرائكم وأهوائكم الناقصة والضالة، فلا تعلموهم وتفرضوا تأويلاتكم الخاطئة وأقوالكم الموضوعة وأهواءكم الفاسدة على ما جاء من عند الله تعالى، لأن ما جاء من عند الله الخالق المدبر هو العلم الحقيقي بما يصلح الإنسان ويرفعه إلى أعلى المراتب السامية، ويجنبه كل ما يضله ويضره وما ليس له فيه منفعة أو مصلحة.

فمن القضايا الأساسية والبديهية التي بينتها تلك العبارات من الحديث خاصة، ومن حديث الثقلين بشكل عام قضايا محورية ومركزية في العقيدة والأحكام غابت عن عقائد وأحكام الكثير من الطوائف الإسلامية، تتعلق تعلقا مباشرا بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، غيبها الحاقدون والحاسدون لأهل البيت عليهم السلام، الذين حاربوا إرادة الله تعالى وحاولوا وأدها في مهدها، ولا زالوا يحاربونها، مما أدى إلى طمس وتغييب حقيقة وأحقية أهل البيت عليهم السلام، فكانت النتيجة أن جهل المسلمون ذلك وغيبت عنهم الحقائق، فصار التقدم على أهل البيت عليهم السلام أمر مشروع مرغوب ممدوح، وصار الإجتهاد بالرأي والهوى والقياس مقدم على ما حمله الأئمة من أهل البيت عليهم السلام والذي يمثل إرادة الله تعالى، وصار التأخر عن أهل البيت وأتباعهم ظاهرة متفشية لا تقبل الحوار أو النقاش، بل هي خطوط حمراء يضلل من تجاوزها أو ربما يفسق أو يكفر، وصار المسلمون من على مقاعد كبريائهم ينظرون إلى أهل البيت وأتباعهم وشيعتهم نظرة دونية، فالواجب من وجهة نظرهم على أهل البيت وأتباعهم أن يتعلموا من أهواء وآراء أولئك الذين يحاولون تعليم الناس أن التفرد وإلغاء الآخر وطمسه، هو المطلوب وأن الصواب عندهم هو أن يتعلم أهل البيت وشيعتهم منهم، فهم على حد علمهم

الأعلم وهم الفرقة الناجية، هكذا ينظرون لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فقد تقدموا عليهم وتأخروا عن فكرهم وتراثهم، ثم يفرضون على أهل البيت وشيعتهم أن يتعلموا من أهوائهم وآرائهم وقياساتهم مع أن الحديث واضح في عبارته عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فإنهم أعلم منكم.

وتظهر محاولات فرض الرأي وتفسيق وتكفير الآخر وإلغائه، من خلال مخالفة النصوص الشرعية الواضحة الدلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي فعلها وأقرها أو قالها رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت وشيعتهم، فهناك عشرات الأحكام في الكتاب والسنة تمت مخالفتها، وفرضت على الآيات والأحاديث تأويلات خاطئة، أدت إلى مخالفة الكتاب والعترة الطاهرة. خذ مثلا واحدا فقط وهو آية الوضوء والتي تدل على وجوب مسح القدمين دلالة واضحة ومدعمة بأكثر من سبعين حديثا من عند أهل السنة والجماعة تدل على وجوب المسح، فضربوا بالآية عرض الحائط وتركوا أحاديثهم ورفضوا تطبيق الرسول وأئمة الهدى من أهل البيت عليهم الصلاة السلام، مقابل تأويلات أتعبوا أنفسهم في فرضها، مخالفين بذلك الكتاب والعترة وكأنهم أعلم منهما.

وهناك المئات من التروكات والمخالفات والتجاوزات للكتاب وأهل البيت عليهم السلام ضاعت عندهم أو غيبت، بالرغم من سطوع نور بيانها تقدموا عنها وتخلفوا عن أهل البيت وخالفوهم، وحاولوا أن يعلموهم من آرائهم وأهوائهم، بل وإنهم خطؤوهم وتركوا إصابة أهل البيت ومطابقتهم لمراد الله تعالى، فكانت النتيجة الهلاك والضلال والزلل، وهو الذي لا زالت غالبية الأمة عليه.

أما بالنسبة إلى القضايا الهامة والمحورية في العقيدة والأحكام والتي تبينها عبارة حديث الثقلين الأخيرة خاصة وحديث الثقلين بشكل عام فهي متعددة نتطرق إلى بعضها على سبيل الإجمال، وما ألفه علماء الأمة الأجلاء من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيه الكفاية.

عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام:

من تلك القضايا قضية العصمة للنبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والتي يوجبها حديث الثقلين ويحملها في طيات عباراته كلها، وتتجلى فيه بأجلى صورها، فمن لا يستنبط عصمة النبي والأئمة من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام من خلال هذا النص المتواتر وعجز عن استيعابها، فهو عن غيرها أعجز.

إذ كيف يمكن أن يأمر الله تعالى باتباع وطاعة من لم يحز العصمة من أعلى مراتبها، فمن طاعته واجبة والإقتداء به هدى وهداية، والتفرق عنه ضلال وزيغ، يجب أن يكون معصوما في أقواله وأفعاله، وسلوكه وتصرفاته، وسائر شؤون حياته.

وكذلك لا يمكن أن يوصي رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بالعترة الطاهرة ويؤكد بأن التمسك بهم نجاة من الضلال، وهذا معناه أنهم الحق والحق هو من الله تعالى لا يدخله النقص أو الخلل، وهم عليهم السلام حملة الحق والدعاة إليه، فكل مايقولونه ويفعلونه معصوم قطعا.

فنحن بأمر الله وإرادته ووصية رسوله، مأمورون باتباعهم وبدلالة العقل أيضا هم أحق بالإتباع، وهو ما تبينه الآية التالية.

يقول تعالى في سورة يونس الآية ٣٥ ﴿**قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يَهِدِّي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾.

ثم إنهم بالدليل النقلي والعقلي حجج الله تعالى على عباده، ولا يمكن أن تكون حجة الله متناقضة أو يدخلها الزلل، يقول تعالى في سورة الأنعام ﴿**فلله الحجة البالغة**﴾ .وهذا يقتضي عصمة النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام أولي الأمر الذين تجب علينا طاعتهم بنص القرآن الكريم.

ثم إن اقتران الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم، والأمر الإلهي يوجب التمسك بهما معا حتى صارا شيئا واحدا، والقرآن كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا يعنى العصمة، ولا يمكن أن يقترن بالمعصوم ويصير معه شيئا واحدا إلا المعصوم.

هذا ما يقرره حديث الثقلين بخصوص العصمة، وما ذكرت بخصوصها فيه الكفاية السريعة التي توصل إلى القناعة بعصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ويكفيك آية التطهير، التي تدل دلالة قطعية على عصمة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب، الآية ٣٣ ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

مفهوم الإمامة:

ومن القضايا الأساسية المركزية والمحورية في عبارات الحديث، هي موضوع الإمامة ومفهومها، والإعتقاد بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك بإمامة الحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام.

والإمامة ظاهرة من خلال كل العبارات الواردة في حديث الثقلين، فلا يُتَمَسَك إلا بالإمام، ولا يجوز التقدم على الإمام ولا يجوز التأخر عنه، فهو جُنة في الدنيا والآخرة.

وجود إمام معصوم في كل زمان:

ومن أساسيات حديث الثقلين التأكيد على ضرورة وجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام في كل عصر وزمان إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مستورا، فبناءً على مضمون الحديث وموضوعه، لا يمكن للكتاب والعترة الطاهرة أن يتفرقا أو يفترقا، والقرآن موجود ومحفوظ منذ أن أنزله الله تعالى على رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا وإلى آخر الزمان، فمن المقطوع إذن بوجود إمام معصوم من أهل البيت عليهم السلام مرتبط مع القرآن، وهذا معناه تأكيد ولادة الإمام المهدي المنتظر وظهوره ثم غيبته ونسأل الله تعالى أن يعجل في ظهوره العلني الشريف.

ولذلك فإن وجود الإمام وبناء على الحديث صار ضرورة شرعية وعقلية، فهو عليه السلام مغيب عنا، ولكنه بيننا ومعنا اللهم عجل فرجه الشريف، وأكرمنا

وجميع المؤمنين والمؤمنات برؤية طلعته البهية، واجعلنا من أنصاره وأشياعه وأتباعه.

قال ابن حجر: اعلم أن لحديث التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة)، طرقا كثيرة، وردت عن نيف وعشرين وصحابيا، وفي تلك الطرق أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف.

ولا تنافي إذ لا مانع من أنه صلى الله عليه وآله وسلم كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

ثم بعد ذلك يضيف بن حجر قائلا: سَمى رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن وعترته ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حث صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم ... ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم. وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة.

وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت، إشارة إلى عدم انقطاع العالم عن التمسك بهم إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتي ... ثم أحق من يتمسك به منهم، إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدمنا من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته الخ.

فكما لا يجوز للمسلمين أن يغيروا شيئا من كتاب الله العزيز حتى لو أجمعوا على ضرورة التغيير لتغيير الزمان وغير ذلك، وكذلك لا يجوز للمسلمين أن يتركوا أهل البيت ويتمسكوا بغيرهم حتى لو أجمعوا على ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله حكم على المسلمين وأمرهم أن يتمسكوا بالقرآن وبعترته وأهل بيته معا فلا يجوز التمسك بواحد دون الآخر.

مفهوم الإسلام ومفهوم الإيمان:

ثم إن من القضايا الهامة التي يوجبها حديث الثقلين، التفريق بين مفهوم الإسلام ومفهوم الإيمان، فالإسلام غير الإيمان، فمن حاز الإيمان فهو بالضرورة مسلم، ولكن المسلم ربما يكون مؤمنا أو ليس بمؤمن.

وهذا التفريق بين المفهومين حدده الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الحجرات الآية ١٤ ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم**﴾.

روى السيوطي في الدر المنثور قال أخرج ابن قانع وابن مردويه من طريق الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسما فأعطى أناسا ومنع آخرين، فقلت يا رسول الله: أعطيت فلانا وفلانا ومنعت فلانا وهو مؤمن، فقال: لا تقل مؤمن ولكن قل مسلم.

وقال تعالى في سورة الحجرات الآية ١٥ ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾.

وكما مر معنا من خلال البحث فإن الإيمان مرتبط بولاية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم، فكما ورد في الأحاديث أن حب علي وأهل البيت إيمان وبغضهم كفر ونفاق.

مفهوم الهدى والضلال:

ومن القضايا الهامة أيضا والمستنبطة من عبارات حديث الثقلين، مفهوم الهدى والضلال، فالهدى هو ما ارتبط بالكتاب والعترة الطاهرة معا من عقائد وأحكام وكان عن طريق أهل البيت عليهم السلام ولاة الأمر وسفن النجاة.

وأما الضلال فهو ترك التمسك بالكتاب والعترة الطاهرة معا وترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وعدم التمسك بهم وبعقائدهم وأحكامهم.

فطاعتهم هدى وعصيان أمرهم ضلال، ومن أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله، ومن أطاع الله فهو على الهدى، ومن عصاه فهو من الضالين.

مفهوم النجاة ومفهوم الهلاك:

ثم من القضايا المحورية والمركزية في الحديث، مفهوم النجاة ومفهوم الهلاك، فالنجاة هي اتباع أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم ونصرتهم والإقتداء بهديهم وسلوك صراطهم المستقيم وركوب سفينتهم عليهم السلام.

وأما الهلاك فهو ترك اتباع أهل البيت عليهم السلام وترك محبتهم وتولي غيرهم والإقتداء بعدوهم بل ومعاداتهم وبغضهم وخذلانهم.

ومفهوم الهلاك هو أيضا الغرق في بحر الضلال والزلل والظلم، نتيجة لعدم ركوب سفينة النجاة سفينة أهل البيت عليهم السلام.

روى السيوطي في الجامع الصغير والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك). ورواه البزار عن بن عباس وعن ابن الزبير. ورواه الطبراني وأبونعيم.

وروى المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي قال في شرحه لحديث السفينة المذكور: (إن مثل أهل بيتي) فاطمة وعلي وابنيهما وبنيهما عليهم السلام أهل العدل والديانة (فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) وجه التشبيه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة من قوم نوح، فأثبت المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلم لأمته بالتمسك بأهل بيته النجاة، وجعلهم وصلة إليها، ومحصوله الحث على التعلق بحبهم وحبلهم وإعظامهم شكر النعمة مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدى شكر النعمة المترادفة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان، فاستحق النيران لما أن بغضهم يوجب النار كما جاء في عدة أخبار، كيف وهم أبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج اللّه بهم على

عباده، وهم فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم وبرأهم من الآفات، وافترض مودتهم في كثير من الآيات، وهم العروة الوثقى، ومعدن التقى، واعلم أن المراد بأهل بيته في هذا المقام العلماء منهم إذ لا يحث على التمسك بغيرهم وهم الذين لا يفارقون الكتاب والسنة حتى يردوا معه على الحوض.

وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام:

ومن القضايا الهامة التي يوضحها الحديث، وجوب التعلم من أهل البيت عليهم السلام، وترك كل الآراء والإجتهادات والقياسات والتنازل عن كل ذلك مقابل الإلتزام بالأخذ عنهم والتعلم منهم على شرط أن لا نتقدم عليهم، وأن لا نتأخر عنهم.

روى الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في ينابيع المودة عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي أنا مدينة العلم و أنت بابها و لن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب، و كذب من زعم أنه يحبني و يبغضك لأنك مني و أنا منك، لحمك من لحمي، و دمك من دمي، و روحك من روحي، و سريرتك من سريرتي، و علانيتك من علانيتي، سعد من أطاعك، و شقي من عصاك، و ربح من تولاك، و خسر من عاداك، و فاز من لزمك، و هلك من فارقك، مثلك و مثل الأئمة من ولدك بعدي، مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق، و مثلهم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة.

تطابق أحوال الأنبياء مع أحوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام:

ومن القضايا الهامة في حديث الثقلين، والتي يبينها في مضامينه ومعانيه، خاصة عبارة فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تتأخروا عنهما فتضلوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم، موضوع أساسي حبذا لو اهتم المسلمون فيه، وهو الآيات القرآنية والأحاديث التي تشرح أحوال الأنبياء والرسل وقصصهم، وتطابقها مع

أحوال الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حيث أن ما حصل مع الأنبياء سلام الله تعالى عليهم من شدة وأذى وكذلك في الأحوال العامة، يترابط بشكل وثيق مع الأئمة من أهل البيت في المضمون والموضوع وفي التطبيق.

فمثلا عندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وعندما يسمي رسول الله صلى الله عليه وآله أبناء أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين ومحسن كأسماء أبناء هارون عليه السلام.

فإن ذلك يعني تطابقا معينا أراده الله تعالى لابد من استنباطه وتدبره من خلال متابعة أحوال نبي الله موسى وهارون عليهما السلام. فكما كان هارون خليفة ووزيرا لموسى عليه السلام فكذلك أمير المؤمنين.

وعندما تذكر الأحاديث أن أهل البيت في الأمة كسفينة نوح، فأن ذلك يقتضي دراسة حال نبي الله نوح عليه السلام مع أمته وقصة سفينته وقصة ابنه الذي لم يركب السفينة فكان مصيره الهلاك. فالسفينة تتطابق مع الأئمة من أهل البيت عليه السلام.

وكذلك طول عمر نبي الله نوح يتطابق مع طول عمر إمامنا المهدي المنتظر، فلا يستغرب طول عمره الشريف مع وجود من هم أطول عمرا.

وكذلك قصة غيبة سيدنا موسى عليه السلام عندما خرج خوفا من جبروت فرعون وغاب عن أمته غيبة طويلة ثم رجع إليهم بعد ذلك، فإن غيبة نبي الله موسى عليه السلام تشبه غيبة الإمام صاحب العصر والزمان.

وقصة وحال نبي الله يحيى الذي قام بنو إسرائيل بقتله وقطع رأسه، تتطابق مع قتل الإمام الحسين عليه السلام وقطع رأسه الشريف.

وكذلك أمر الله تعالى لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن يذبح ابنه اسماعيل، فاستسلم نبي الله إسماعليل عليه السلام لإرادة الله تعالى ففداه الله بالحسين عليه السلام. فهذه تشبه علم ومعرفة رسولنا محمد صلى الله عليه وآله بأن أمير المؤمنين عليه السلام مقتول من بعده وأن الحسين مقتول وكذلك حال بقية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا حال نبي الله يوسف عليه السلام الذي غاب عن أهله وإخوته، بينما كان ملكا في مصر وهم بجواره لكنهم لم يعرفوه حتى عرفهم بنفسه، فكذلك حال إمامنا صاحب العصر والزمان في غيبته.

وكذلك حال إخفاء ولادة نبي الله إبراهيم عن النمرود، وإخفاء ولادة موسى عليه السلام عن فرعون، تشبه ولادة الإمام المهدي عليه السلام وإخفائها عن طواغيت ذلك العصر.

وهكذا أحوال كل الأنبياء يجب مراجعتها بدقة والبحث عن أوجه التطابق والتشابه والإرتباط بينهم عليهم الصلاة والسلام وبين أهل البيت النبوي الشريف، لأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يمثلون واقع وأحوال الأنبياء، وما حصل مع الأنبياء يتطابق مع ما حصل معهم، وهنا تدخل محورية حديث الثقلين ليس فقط في العقيدة والأحكام وإنما في القصص القرآني أيضا.

وهذا البحث بحاجة إلى دراسة منفصلة ومفصلة، ولكنني ذكرت شيئا من معالمه، لإرتباطه بموضوع ومضمون حديث الثقلين، وحتى ألفت النظر إلى محورية حديث الثقلين في العقيدة والأحكام، وأن هناك عشرات القضايا والمفاهيم من الممكن استنباطها من هذا الحديث الشريف. كمفهوم الشفاعة، وواقع الحياة في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرها من المفاهيم الإسلامية والإيمانية، كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بحديث الثقلين وتنبثق عنه.

وبناء على ذلك فإنني لازلت اعتبر أن هذا الحديث بحاجة إلى رعاية أكبر وأكثر من قبل المسلمين وعلمائهم على وجه الخصوص، فكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وحي من الله تعالى يجب أن يحمل دوما على محمل الإحترام والتبجيل والتقدير، حتى يوفق الله تعالى لتطبيقه في كل شؤون الحياة.

خاتمة:

في نهاية البحث أقول لعلني أكون قد وفقت في تبيان محورية حديث الثقلين في الإسلام، في عقائده وأحكامه، حيث أنني قد بينت أن هذا الحديث الشريف محور إسلامي أساسي، تدور حوله وترتبط به مئات الآيات والأحاديث، وكذلك يستنبط منه عشرات القضايا الإسلامية والإيمانية المتعلقة بكثير من العقائد والأحكام، والتي بينت بعضا منها، وبشكل مترابط مع الأدلة والنصوص من القرآن والحديث الشريف. وقد تعمدت إكثار الإستدلال بالحديث الشريف من عند أهل السنة والجماعة، حتى تكون الحجة أبلغ، وحتى لا نتهم بتفسير حديث الثقلين بناءً على مؤثر خارج عن ما عندهم.

والله ولي التوفيق

الدكتور صلاح الدين الحسيني